العربي

الإنسان غداً ماذا يمكن أن يكون؟

عباس محمود العقاد



العجوز والجريدة

كهوف الرعد

محمد العربي الخطابي

تفسح المجال في افتتاحية هذا العدد للاديب المغربي المعروف محمد العربي الخطابي في حديث شيق طريف عودنا ابدا يصله بالنعي وما هو كذلك حول قضايا الالتزام والابداع . وسيلتقي القراء في العدد القادم مع حديث الشهر الذي مضى الذي يتناول فيه رئيس التحرير قضية تحديات التنمية الاقتصادية في الدول المصدرة للنفط في ضوء مدخل الدراسة الميدانية الهامة لكافة ابناء المشروع العام في الاقطار المنتجة للنفط في الجزيرة العربية التي اشرف عليها الاقتصادي القطري الدكتور علي خليفة الكواري .



أنا من عشاق المقاهي وروادها المداومين ، وقد لامني في ذلك قوم فقبلت لومهم بصدر رحب غير أني لم ارعو ، فهذه بلية ما لي عليها من سلطان .

في المقهى يتاح لي ان اتأمل وافكر وان اقرأ واكتب وكأن أحدا غير موجود . والمقهى عالم صغير مليء بالمتناقضات والمتنافرات ، تلتقي فيه أصناف من الخلائق وانماط من الناس ويكثر فيه الضجيج واللغط ، وتختلط الروائح : القهوة والشاي ودخان التبغ وانفاس الجالسين والواقفين .

هذا شاب بجانبي يقرب لا أدري ماذا ، ويتصنع يدون اشياء كتابا ، ويراقب في نفس الوقت حركاتي .

ولقد أحسست انه يريد ان يربط الحديث معي ، فما ان التقت عيناي بعينيه حتى بادرني بالتحية وقال :

ـ انا اقرأ لك ، ولست ادري كيف اصنفك .

حمدت الله على ان تصنيفي أمر يستعصي على بعض الناس . وهل انا بضاعة حتى اصنف ؟

ـ انا طالب جامعي ، أحب القراءة، وأراك ، فيما تكتبه ، تهيم في متاهات التصوف والعشق أحيانا ، ويجرفك الخيال الجامح احيانا اخرى ، في انك تكون في بعض المرات واقعيا ثابت القدمين على الارض اليابسة ، فهل انت يميني أم يساري أم ماذا ؟

قال الشاب موضحا :

ـ انا يميني حينما اجلس للكتابة والاكل فاتناول القلم أو اللقمة بيدي اليمنى . وأنا يساري حينما أمشي على يسار الطريق اذا كانت الجهة اليمنى مزدحمة بالمارة . وعلى كل حال ، ان عقيدتي تجعلني احرص على ان اكون من أصحاب الميمنة ، وأستعيذ بالله من أصحاب المشأمة !

ـ انا انما اقصد هل انت كاتب

● وزهدني في القلق معرفتي بهم — وعلمي بأن العالمين هباء

● فلا عبرت بي ساعة لا تعزني — ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

ملتزم . وهل تأخذ بأيديولوجية ما ؟

وكنت قد فهمت قصد الشاب منذ البداية الا أنني تعاميت . قلت مجيبا من سؤاله الاخير :

ـ وهل الانسان في حاجة الى أن يتوسل بأيديولوجية ما ليكون مفكرا أو اديبا ؟ ثم انني لا أحب كثيرا هذا المصطلح فقد ابتذلته الالسن والاقلام حتى بعد أو كاد عن مدلوله الاصلي . ان المفكر الفرنسي (دي تراسي) ـ الذي ابتدع لفظ الايديولوجيا ـ ومعناها علم الافكار ـ لم يكن يقصد به اكثر من نهج علمي لدراسة الافكار ونشأتها وتطورها . ثم جاء « هيجل » و « ماركس » فحشرا انفهما في المسألة وغيرا مدلول هذه الكلمة .

أنا مسلم .. وهذا يكفيني ويغنيني ومعنى ذلك انني صاحب عقيدة والعقيدة موصولة الاسباب بالله أولا ، ووثيقة الصلة بالتجربة الانسانية الشاملة ثانيا : لا حدود ولا طبقات . واذا كنت اخذ عن الغرب شيئا ـ وكثيرا ما افعل ـ فانني أغربل ما اخذ وانقيه من الشوائب التي لا تتفق مع عقيدتي وطبيعة تكويني ، ولست أترك لأي غزو سببا بابا مفتوحا ينفذ منه الى فكري . فالعقل من نعم الله الكبرى ، والقدرة على التمييز خير ما في العقل . أما الالتزام في الادب فلي فيه رأي لا أخالك مستعدا لتقبله .

قال الشاب :

ـ يهمني ان اعرف رأيك فيه .

قلت :

ـ كان المعري أول الملتزمين من الادباء في العالم ، فهو صاحب « لزوم ما لا يلزم » . وهو انما التزم ضربا من النظام الفكري ليعبر عن رأيه في الحياة والناس بموسيقى شعرية توافق ما أراده . فالتزم في القافية حرفين ، الروي وما قبله . وقد رخص له الله التزام حرف واحد ـ كما قال عنه سنين ـ والحقيقة أن المعري قد التزم أشياء أخرى . أليس هو القائل :

وزهدني في القلق معرفتي بهم
وعلمي بأن العالمين هباء

ثم . ألم يقل أيضا :

فليت البهائم لا عقول
تقيم لها الدليل ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيال
كأنهم لقوم أنبياء
فأما هؤلاء فأهل مكر
وأما الاولون فأغبياء

ربما [illegible] قائل ان المتنبي كان ملتزما أيضا ، وقد يكون هذا الكلام صحيحا [illegible] الطبيعة [illegible] الى [illegible] كان [illegible] ينحو في بعض الحكام [illegible] ، وكانت له آراء في مسائل العقيدة والحكم والخلائق ، غير أنه كان خفيا بها لا تظهر جلية في شعره ولا يستشفها الا من أوتي قدرة على البحث والتمييز . أليس المتنبي هو القائل :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقاطعني الشاب ، متقملا :



المتنبي

ـ ما هذا النوع من الالتزام أقصد ، ان الذي أريد معرفته هو ما اذا كان على الاديب أن يلتزم ، فيما يكتبه ، بقضايا بلاده وشؤون الناس .

قلت :

ـ على رسلك ! لقد فهمت قصدك ، وانما أمهد لكلامي كي يزداد وضوحا . ان الالتزام ، بالمفهوم الذي تقصده ، دعوة أطلقها بعض كتاب الغرب البارزين ، ولا سيما سارتر ، وتلقفها بعض أدبائنا الذين يفتنون أحيانا بالاشياء المستجدة كما تفتن العادة بالجديد من الازياء ، ولذلك وجوها لها من غير اعتبار لاختلاف الظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية بين الغرب والبلاد العربية . وقد ارتفعت حمى الالتزام هذه في الوقت الذي راجت فيه القشور سطحية من « الفكر الوجودي » فتصاعدت قيمة أسهم جان بول سارتر ورفيقته الكئيبة « سيمون دي بوفوار » في الاسواق العربية ، ونشطت حركة الترجمة نشاطا « تجاريا » ملحوظا في الاعوام الستين ، وخصصتها بعض المجلات العربية في مقام الاصنام المعبودة . وبقي الامر كذلك حتى انكشف سارتر على حقيقته حينما تحول الى أداة من أدوات الصهيونية بعد نكسة ١٩٦٧ .

والامر الغريب أن « سارتر » نفسه لم يكن ملتزما بالمعنى الذي أراده ، الا في مقالاته ودراساته ذات الطابع السياسي . وهو في غير ذلك من مؤلفاته الفلسفية والروائية والمسرحية حريص على بث أفكاره الوجودية في « الكون والعدم » وفي « نقد العقل الجدلي » الذي مد فيه قنطرة بين الوجودية والماركسية . ولم تخل كتبه ذات الطابع الادبي من التبشير بتصوراته الفلسفية . ففي « الغثيان » يدور بطله المثقف (روكنتان) في فراغ رهيب يصبح فيه الوجود ضربا من العدم يسوده العبث ، وحيث الحقيقة الوحيدة هي الوعي بذلك الوجود التافه الزهيد ، وقد أطلق سارتر على كتابه هذا اسما يطابق محتواه : « الغثيان » .

وفي « سن العقل » و « وقف التنفيذ » ـ وهما كتابان لسارتر أيضا ـ يبشر المؤلف بأخلاق حارية ،

قوامها : أن على الانسان أن يخترع بنفسه مصيره ، وأن يختار حريته ، وأن يقيم لنفسه سلما من القيم يؤمن بها فيتحقق تبعا وجوده الفردي بمعزل عن كل نزوع الى الرضا بما عند الآخرين . ولا يعني سارتر بالروابط الانسانية وبالصراع بين المثل الأعلى والعمل الا في مسرحياته : « الذباب » و « الباب المغلق » و « العاهر الوقور » و « الأيدي المتسخة » . فأين هو الالتزام الذي يزعم الزاعمون أن سارتر قد بشر به ؟ ألم تقيد مؤلفات سارتر الأدبية أعلاق الشبان ؟ »

وهنا قاطعني الشاب مرة أخرى وقال :

— انك تبتعد عن الموضوع ، لم بالك لا تذكر أدباء آخرين ؟

قلت :

— اذا كنت قد ذكرت سارتر — الذي لم يعد يأبه به أحد — فلأنه استحوذ مدة على عقول بعض شبابنا ومشاعرهم . والأمر المدهش حقا أن الذين تاجروا باسم هذا الكاتب البائس لم يقدموا لقرائهم أسماء لائمة يتسم أصحابها بالعمق والاصالة أمثال « سلين » السذي طاردت الصهيونية العالمية كتبه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك ما يزال اسمه لامعا مشرقا في دنيا الأدب الرفيع ، وما أقوله عن « سلين » يمكن أن يقال عن « جراهام جرين » و « مارسيل بروست » — الذي لم تتناوله الأيدي العربية بالترجمة الا أخيرا في دمشق — و « فرانسوا مورياك » الذي برع في الأدب وكرس مع ذلك قلمه الصحفي للدفاع عن حرية الشعوب المغلوبة على أمرها .

اعلم يا صديقي ، أن الأديب الحق لا يلتزم الا بفنه ولا يعنى لشيء في احساسه وعقله ، ولا دخل لأية ايديولوجية في موهبته وعطائه . نعم ، ان الأديب — بوصفه مواطنا وانسانا — له أن يهتم بشؤون بلاده ويقضايا الناس وما يعترضهم في معاشهم


سارتر


هيغل


سيمون دي بوفوار

وسعيهم من مصاعب أو معوقات ، وما يفرض عليهم من قيود ، وهو في هذه الحالة ينبغي له أن يلتزم بنفسه لا بفنه ، أي أن يكون حاضرا بذاته في قلب المحنة يشارك الناس في معاناتهم ويقاسمهم آلامهم وأفراحهم ، فهذه مسألة سلوك انساني وعملي تفرضه المواطنة والمشاركة الوجدانية . ولا يعني الأديب بعد ذلك أن يكرس أدبه لقضايا انفعالية ومراقبة البرامج ، وكراهية الميول والاستعداد لما حملت الرياح أو هواجس النفس الا كانت قدرته الابداعية تسع ذلك . وليس لأحد أن يفرض عليه ، بوصفه أديبا أو فنانا ، أن ينتقد تشريع العمل اذا كان لا يضمن للعمال حق التأمين الاجتماعي أو أن يقضي وقته اللتي متحدثا عن العدالة وحقوق الانسان ، فهذه الأشياء مجالها الصحف السيارة والكتب المتخصصة والهيئات الوطنية والدولية .





وسوف أعطيك أمثلة ليتضح لك قصدي . فهذا الأديب الفرنسي الراحل « أندري مالرو » لم يتردد — بوصفه مواطنا غيورا على بلاده — أن يخوض معركة التحرير المسلح ضد الاحتلال النازي ، وهو في سبيل ذلك خاطر بنفسه وضحى بكل شيء . ولكن « مالرو » الأديب لم يلتزم الا بفنه فيما أبدعه من أدب رفيع فلم يخضع في ذلك لأي سلطان خارجي .

قد تقول : ان مالرو كان عدوا للايديولوجية الماركسية ، فهو بذلك لا يصلح مثالا في هذا المقام . اذن هاك مثالا آخر : الشاعر الكاتب « لوي أراغون » ، وهو عضو عامل وشهير في الحزب الشيوعي الفرنسي ، وذلك لم يمنعه من أن يكرس بعض دواوينه لمعشوقته (ألسا تريولي) : كتب « عينا ألسا » و « مجنون ألسا » و « العيون والذاكرة » و « قوافلي » و « الرواية غير المكتملة » ، فأتى في ذلك بالعجب العجاب ، وحلق في أجواء الرومانسية والسريالية والغنائية الشخصية بطريقة تثير الاعجاب ، ومن الذي يذكر الآن أن الأراغون كتابا وضعا اسمه « من أجل واقعية اشتراكية » دعا فيه الى تمجيد الروايات السوفيتية التي تمتدح المخطط الخماسي !!

وشاعر آخر من أمريكا اللاتينية ، كذلك ، ألم يكتب ديوانين ليس فيهما غير قصائد الحب بأسلوبه الفني الذي ارتضاه لنفسه ، أقصد بابلو نيرودا .

حاول صديقي أن يقاطعني مرة أخرى ، فقلت لأختم هذا اللغو :

— ان من حق الأديب — وكل فنان آخر — أن يحس بدبيب النملة ومنهمة قدرات الدقائق والثواني ، وأن يحتفل بالسحب البيضاء أو الداكنة تتأرجح في السماء ، وأن يشهد بنشوة تفتح زهور اللوز في أواخر الشتاء أو أن يرقب بإشفاق الشيخ الهرم وهو يعد خطواته بمكابرة ، وأن من حق الأديب كذلك أن يفرغ مشاهداته وأحاسيسه في القالب الجمالي الذي يرتضيه ، فنجاحه أو فشله متوقف على

قدرته الابداعية ومدى تجاوب قرائه معه. ولان يوقد الفنان في القلب شمعة حب خير له من أن يشعل السماء كلها حقدا وكراهية.

اذن، لا حرج على الاديب أن يلبس أحيانا مرقعة الناسك، وأن يكون أحيانا أخرى عبثيا أو واقعيا، ولا عليه أن يثور قلمه مرة أو أن يهدأ مرارا، وهو حر في أن يرعى القمر في واضحة النهار أو أن يحس بالدفء في أوج البرد وضراوته. المهم في كل ذلك صدق الاحساس وسلامة الطبع ونقاوة الضمير.

والاديب لم يكن في يوم من الايام مسؤولا عن خطايا الناس، وهو غير مطالب بتقويم اعوجاجهم واصلاح فساد العالم، وان هو أراد ذلك فليلبس زي الواعظ بعد أن يخلع حلة الاديب، وليخض الغمرات بما لا يلقه الا اذا فرض عليه عنه ذلك.

في الشارع

ـ كم الساعة ؟

ـ العاشرة وخمس دقائق.

هكذا بدأت المحادثة بيني وبين رجل لا أعرفه كان واقفا بباب السوق، وكنت انا واقفا هنالك ايضا من غير أن أدري لماذا. وبعد تبادل المعلومات عن أحوال الطقس وأسعار الخضر واللحوم، قال الرجل:

ـ الغريب أن ثمن الخبز قد ارتفع في هذه الايام ؟

وكنت أكره الحديث عن الخبز وثمنه وبائعيه، فغيرت مجرى الحديث قائلا

ـ من الغريب الا نجد في مدينتنا اليوم سمكة واحدة في السوق.

ولكن صاحبي أصر على أن يتحدث عن الخبز فقال

ـ ان الاوربيين لا يكثرون من أكل الخبز مثلنا، بينما نعد نحن من أكثر الشعوب استهلاكا للحبوب والسكر

كارل ماركس

اندري مالرو

والشاي.

ـ لعل ذلك راجع الى أننا نستعين بالشاي على بلع الخبز الذي نأكله بفضل حالبا، في الغالب. أما الاوربيون فهم يستعيضون بالزبدة والمربى. فالشاي عندهم من الكماليات.

ـ ربما الجوع من الفرع الشكلي يقوم شيء من الافرة ربك جانبا أهم في أنفسهم للطعام فلذلك

وأؤثر حديث الخبز وما يجر اليه قلت:

ـ انه الجوع المزمن قد توطن فلم يعد يحدث أثرا. ان سوء التغذية قد جعل أهل القرى وكثيرا من سكان المدن عندنا ذوي أجسام يابسة متخشبة كجذع الشجرة الميتة، كما أن التخمة المستديمة جعلت بعض الناس أشبه ما يكونون بالخنازير المعلوفة.

ـ يبدو عليك أنك من المشتغلين بمناوأة الحكام.

ـ وما دخل الحكام في حديث الخبز ؟ حرام... انني أكره حديث الخبز لانه يجر الى ذكر سوء التغذية والتخمة.

ـ اذا كان أحد يشكو من مغص في بطنه أو عرى في سوأته، فهل معنى هذا أن الحكام مسؤولون عن ذلك ؟ ماذا تقول عن الارزاق المقدرة؟

ـ وماذا تقول أنت عن الابواب الموصدة ؟

ـ أية أبواب تعني ؟

ـ أبواب الرزق.

ـ ومن أغلقها ؟

ـ هي على كل حال مغلقة في وجه كثيرين.

ـ الا تصنع أنت وغيرك من النساء والرجال بالحقوق المدنية ؟

ـ وما دخل الحقوق المدنية في كلامنا ! من الخير أن نعود الى حديث الخبز ولو أنني أكرهه.

ـ الخبز... الخبز ! البطنيون لا تشبع أبدا وليس يملأها الا التراب. اعلم انه لابد من الغني والفقر..

ـ ولابد من الغني، والخالق والمستغل.. ليحدث التوازن.

ـ انك تأتي بكلام هدام مدسوس. أنت فنان.

ـ وأنت انتهازي.

ـ وأنت فوضوي.

ـ وأنت عديم الرأي.

ـ وآراؤك أنت مستوردة من الخارج. الى أقول لك انك تناوىء الحكام.

ـ الساعة الآن الثانية عشرة. ربما تتأخر عن موعد القطار. يبدو عليك أنك غريب مسافر.

ـ لا. لست مسافرا. أنا عاطل لا شغل عندي. انما أحب أن أقضي وقت الفراغ في الحديث، غير أنني أكره السياسة.

ـ وانا أكرهها ايضا. سأدخل الى السوق علني أجد سمكا طريا. ربما وصل شيء منه. الصيادون لا يفطنون.. وانا أحب السمك الطري. أستودعك الله...

محمد العربي الخطابي



د. محمد البهي

الإنسان في نظر الإسلام

لا يرقى إلى مستوى الإله ولا ينحط إلى مستوى الحيوان

الانسان الاول في الصدق وفي العصمة في التبليغ ، وفي الامانة على دين الله ، وفي التطبيق لمباديء هذا الدين : هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، رسول الله الى الناس جميعا . ومع ذلك فهو بشر له خصائص الطبيعة البشرية : في الاكل، والشرب، والنسل والحياة والموت .. وميزته في خصائص هذه الطبيعة ان الله انعم عليه بنزع الحقد من نفسه على الاخرين ويذكره سبحانه بهذه الميزة في قوله تعالى : « الم نشرح لك صدرك ؟ » اي الم ننزع من صدرك في حياتك الدنيوية : الغل والحقد ، وجعلنا لك قلبا للمؤمنين بما وعدنا بانه يقع في جزائهم الاخروي ، كما تقول الاية الكريمة في وصف المؤمنين في الجنة : ـ

« ونزعنا ما في صدورهم من غل، اخوانا على سرر متقابلين » .

معاملة الاسرى

وهذا الانسان الاول جرى عليه ما يجري على الاخرين من البشر ، فعاتبه الله على بعض ما راه في شئون الحياة ، وباسلوب يوقظ فيه بقوة ما يجب ان يتبع في سياسة الحرب والسلام . فقد عاتبه جل جلاله على اختيار راي ابي بكر رضي الله عنه في شان بعض المشركين الذين وقعوا في « بدر » اسرى في ايدي المؤمنين . وقد كان هذا الراي ان يفديهم بمال ، تتطلبه مصلحة الجماعة المؤمنة اذ ذاك بينما كان يرى عمر رضي الله عنه : ان يقتل هؤلاء الاسرى كسبيل يحمل المشركين على التفكير قبل اقدامهم مستقبلا على الاعتداء على المؤمنين . وجاء عتاب الرسول عليه السلام في قول القران الكريم :

« ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض » (اي حتى يثبت ويتمكن في الارض اي حتى يكون قويا في مواجهة الاعداء) » .

« تريدون عرض الدنيا » (اي تريدون المال وهو عرض زائل) .

« والله يريد الاخرة » (اي يريد المباديء التي يقوم عليها مجتمع من المؤمنين ينشدون الحياة الاخروية قبل الحياة الدنيا) .

« والله عزيز حكيم » (مع العلم بأن الله لا يغالب اذ له التفوق المطلق في القدرة . وهو كفيل بمدكم بما تحتاجون اليه حتى لا يعوزكم شيء بسبب الايمان . وهو جل جلاله كذلك حكيم فيما يطلب منكم من اتباع ما ينصح به) » .

وعندما قوي مجتمع المؤمنين في مواجهة المشركين جاء التخيير في شان الاسرى بجواز ـ المن عليهم باطلاق سراحهم من غير مقابل ، او بافدائهم باسرى المؤمنين عند المشركين او بمال منهم يدفع للمؤمنين عوضا عن بقائهم في الاسر : وهذا جانب ما يخير فيه الامام من قبل من الاسترقاق، او القتل . جاء الاذن بالمن او الفداء في قول الله تعالى :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم (اي تمكنتم منهم بالظفر عليهم) » فشدوا الوثاق » (فاسروا الاحياء منهم) .

« فاما منا بعد » (اي بعد الاسر) « واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » (وينتهي وضع القتال ، والاسر على انتهاء الحرب بينكم وبين اعدائكم) .

« ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض » (والأمر في الحروب بالنسبة لكم ايها المؤمنون هو امر اختبار لايمانكم ومصابرة بعضكم لبعض في مواجهة اعدائكم .. الامر امر بشري يخضع النصر والهزيمة فيه الى التفوق في الايمان بالله او الى ضعف الايمان به . اما جانب الله فهو جل جلاله قادر في كل لحظة على الانتصار من اعداء رسالته . ولكن مشيئته تترك الامر للجانبين لاظهار مدى قوة الايمان في كل جانب) .

« والذين قتلوا » (منكم ايها المؤمنون) « في سبيل الله » اي (وليس في سبيل الحرب .. او في سبيل القومية . او في سبيل التراب) « فلن يضل اعمالهم » (اي فلن يترك قتلهم في ضلال وتخبط وحيرة وانما لهم الجزاء الاوفى) . « سيهديهم ، ويصلح بالهم » (في الحياة الدنيا) . « ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .

الإسلام يستنكر أن يحط
الانسان عن مستواه الإنساني

الأعداد الأسمى في تكرمة
الإنسان وحسن سلوكه وهدايته
إلى التعامل السلوكي السوي

الميل الانساني

وقد عاتبه سبحانه وتعالى كذلك عندما شاح بوجهه غاضبا عن احد الضعفاء سعى اليه ليتزود ببعض تعاليم الدين ، في الوقت الذي اقبل فيه عليه السلام يرضي بعض زعماء قريش ويتودد اليهم في كسبهم الى جانب دعوته . فقال القران الكريم :

« عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى » .

« اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى » .

« واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى » .

« سواء اكان الذي جاء يسعى هنا الى الرسول عليه السلام ، هو عبد الله بن شريح بن مالك ، بن ربيعة الفهري المعروف بابن ام مكتوم » او غيره هو الذي اغضى الرسول عليه السلام الطرف عنه ، عندما سأله عن الاستزادة في شأن الدين ، واتجه في الوقت ذاته الى غيره من زعماء قريش ، فان الطبع الانساني يميل الى كسب الزعماء ، واصحاب الامر في المجتمع قبل غيرهم من عامة الناس



فالسورة اذ تقول « عبس وتولى . أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى» (وهم زعماء قريش اذ ليسوا بحاجة في الابقاء على زعامتهم الى قبول الدعوة) « فأنت له تصدى » (أي تتجه وتقبل عليهم) « وما عليك أن لا يزكى » (أي ولست مسئولا عن تحولهم من طغيان المادية الى الايمان بالله وطهورهم من دنس الشرك) ٠ « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى » (أي وهو طائع يخشى الله) « فأنت عنه تلهى » ٠ انما تعبر عن خصيصة من خصائص الانسان ٠ وهي لا تتخلف في أي من بني الانسان بوجه عام ٠

وعتاب الله هنا للرسول عليه السلام هو في أن اختياره للرسالة يجب أن يبعده عن الميل الانساني بقدر الطاقة البشرية على معنى : انه يجب أن ينظر الى الهدف من دعوته دون تأثر بعادة أو بتقاليد المجتمع ٠ وهدف الدعوة هو توضيح رسالة الله للناس كافة ٠ ويفضل الذي من بينهم ٠ من يقبل عليها ، ويتحمل المشقة في سبيل التصرف فيها أيا كان وضعه الاجتماعي ٠ والعادة الانسانية التي قد يتأثر بها الانسان ويسر بها هي كسب ود القادة والزعماء في المجتمع ٠ لأن كسب ودهم سيجعل غيرهم من المستضعفين في المجتمع على أن يسلكوا مسلكهم ويتبعوا سبيلهم ٠ فالرسول عليه السلام عندما أعرض عمن سعى اليه من الضعفاء في وقت انشغاله ببعض زعماء قريش ، كان متأثرا بالميل الى كسب هؤلاء الزعماء الى جانب دعوته ٠ والواجب لمصلحة الدعوة يقضي بمقاومة هذا الميل ، والاقبال على السائل ٠ لأنه راغب في الايمان بينما غيره من الزعماء مستنكف منها ومستعل عليها ٠ والرجاء في أن يتبع المستضعفون زعماءهم عندما يقبلون الدعوة هو رجاء خادع لأن المستضعف اذا لم يقبل الدعوة عن اقتناع وايمان ذاتي ، من اليسير عليه أن يرتد غدا عما أعلن عنه اليوم من ايمان ٠

والآن : اذا كان اختيار الرسول محمد بن عبد الله للرسالة ميزة وتفضيلا له عمن سواه في عهده ، فان تميزه بفضل الله بالرسالة لا يخرجه من الطبيعة البشرية وخصائصها ، وان جعل مستواه في الانسانية مستوى الكامل، وصاحب القدوة الحسنة التي يجب أن يقتدي بها غيره ٠٠

متع الحياة

ودعوة الرسول عليه السلام اذ تؤكد وحدة الألوهية فانها تريد أن تقف بالانسان عند مستوى انسانية كما تريد أن تقف بغيره من الموجودات عند حد طبائعها وخصائصها التي وجدت أو خلقت عليها ٠ ودعوة الرسول الى وحدانية الألوهية دعوة جميع الرسل السابقين عليه ٠ هي دعوة الرسالة الالهية الى الانسان منذ اختيار آدم وحواء في الجنة ٠

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه ٠ أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ٠

والاثم الكبير الذي لا يغفره الله للانسان اذا ما أذنب وهو الشرك به كان عظمه في الجرم لعظمه في الخطورة على البشرية فلو كان أمر الشرك هنا عند الله لوجدت الوثنية ووجد الشرك طريقه في يسر الى اعتقاد الانسان ٠



والوثنية مصدر ازدراء الانسان لنفسه، عندما يعبد صنما أو ما يشبهه من صنعه ٠ والشرك مصدر نفاق للانسان يدفع به الى الانتقال من انسان معبود ضعيف اليوم الى انسان آخر يأخذ طريقه الى النفوذ والقوة، ولو لفترة من الوقت ٠

والانسان اذ عبد ما هو أدنى منه في الخصائص ٠٠ أو عبد ما هو متغير مثله في الحياة والموت ، وفي القوة والضعف ، وفي الامكانيات التي تثبت على وضع معين ؛ فقد كرامته ، وفقد معنى المساواة في الاعتبار البشري مع انسان آخر اذ هو الآن عابد لانسان يشركه مع الله في العبادة ، ترقبا لمنفعة أو لدفع ضرر منه ٠ وغدا ينتقل بهذه العبادة لانسان آخر يرجى منه ما هو أكثر ٠ فبالأمس كان يرى معبوده من البشر أفضل منه ٠ وهو ليس ذلك في حقيقة أمره ، في نظره ٠ بدليل انه يهجر اليوم عبادته الى معبود آخر وفي الواقع هو يعبد المنفعة المتوهمة أو المرتقبة والنفعة التي تجذب الانسان هي النفعة المادية لهذه الحياة :

« زين للناس حب الشهوات من النساء ، والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام ، والحرث » ٠

« ذلك متاع الحياة الدنيا » ٠

تقلب الانانية

واذا كانت هذه من متع الحياة الدنيا ، فهي كذلك من نعم الله على الانسان ٠ وطلبها والسعي في تحصيلها في ذاتها ليس أمرا مبغضا عند الله فهي من العناصر الضرورية التي تكون جو الاختبار في هذه الحياة وبدونها لا تكون الدنيا مرحلة في حياة الانسان عامة ٠ ولكن البغض في طريق تحصيلها هو استغراق الانسان في هذا التحصيل واثارة هذا الاستغراق ٠ ان يفقد الانسان في تحصيل أي منها : كرامته أو اعتباره كانسان فيشرك مع الله الها آخر يعبده ، يتمثل في واحدة من هذه النعم السابقة ٠ أو في من لديهم هذه النعم ٠

وتعبير الآية في قول الله تعالى « زين للناس حب الشهوات فتذكر الشهوات دون أن تقول فقط حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ٠٠ الخ ليشير الى هذا الاستغراق ٠

« فالشهوة اذا كانت معنى الحب والرغبة ، فهنا يكون خطر الانحراف .. خطر تغلب الانانية في السلوك الانساني على ذكر الله فيه : فينسى الانسان صاحب الشهوة أو صاحب الانانية ربه بنسى دعوته وهدايته الى القيم الانسانية العليا في ترابط الافراد بعضهم مع بعض . ولن يكون هناك تطبيق لهداية الله مع سيادة الانانية على سلوك الانسان وتفكره واحساساته . أما الحب أو الميل نفسه فهو أمر طبيعي في الانسان . وغرائزه هي مصادر هذا الحب والميل والشيء الوحيد الذي يكمن فيه خطر الغريزة هو انطلاقها في دفع الانسان نحو السلوك والتصرف ، دون تحديد من عقل وحكمة ، أو من هداية الله في كتابه أو في سنة رسوله عليه السلام . وهكذا التعبير بالشهوة في الآية يراد به في التعبير السيكولوجي انطلاق الغريزة وعندما يقال في الكلام الشائع : « الشهوة تعمي » . أي تحمل الانسان على تجاوز العقل والحكمة وتجاوز هداية الله فيما أقبل عليه الانسان من تصرف وعلى أن يترك للغريزة وحدها : العنان فيه .

العصمة المطلقة

وتبعا لتأكيد وحدة الالوهية في كل رسالة سماوية نزلت الى الانسان على هذه الارض وتبعا لان اصطفاء الله لاى رسول من الناس لا يخرجه عن طبيعته البشرية، على نحو ما تقول الآية في سورة الفرقان :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق » (أي الا انهم بشر لهم خصائص البشرية قبل الرسالة وبعدها) تبعا لهذا وذاك : فان رسالة الله في القرآن الكريم تستنكر تأليه أي رسول من اتباعه الذين ارسل اليهم بسبب رسالته :

فهي تنكر على أهل الكتاب من اليهود والنصارى : ان يؤلهوا رسلهم واحبارهم ورهبانهم ويجعلوا منهم شركاء الله .. وتعلن : أن رفع الانسان الى مستوى الاله في التصور والاعتقاد، لا يقدم عليه الا الخارجون عن دين الله :

« وقالت اليهود : عزير بن الله »

« وقالت النصارى : المسيح ابن الله »

« ذلك قولهم بأفواههم » (أي ليس له مدلول في الواقع) « يضاهون قول الذين كفروا من قبل » (أي يحاكون به قول من سبقهم في الخروج عن رسالة الله) .

« قاتلهم الله انى يؤفكون » .

« اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم » — والاشارة الى تأليه رسلهم فانهم يؤلهون زعماءهم ، ويدخلون منهم المسيح بن مريم في دائرة الالوهية

« وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون »

(... أي بتأليه الانبياء ورفعهم الى مستوى الاله) « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » (أي يحاولون بهذا الادعاء بأفواههم فقط دون ان تكون له حقيقة في الواقع أن يلقوا ظلا على نور الله يحول دون هدايته « ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون » (ولكن ارادة الله ستتم رسالته الى الرسول محمد عليه السلام ، رغم كل ادعاء .. ورغم جميع العقبات التي يلقيها المعارضون وسيسطع نورها هدى للناس نحو وحدانية الله) .

« هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (وقد تحققت رسالة الله بدين المصطفى عليه السلام وسيظل هذا الدين عزيز الجانب مهما اعترض طريق وحدة الالوهية فيه لدعاءات من يقحمون على مجال الالوهية فاقد الاهلية لها) .

ويصف القرآن بالغلو كل من يرفع الانسان من مستواه الانساني الى مستوى الاله ... الى مستوى العصمة المطلقة ، والقداسة المطلقة ، والقدرة على المحو والاثبات في سجل هذا الوجود ، فيدعو الرسول عليه السلام الى توجيه الخطاب الى أهل الكتاب السابقين بسبب انحرافهم في تأليه بعض رسلهم وزعمائهم :

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق » .

« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » .

والذين ضلوا من قبل برفع الانسان الى مستوى الاله وأضلوا كثيرا غيرهم بعملهم بوسيلة أو بأخرى على تصديق ما يدعونه، وضلوا عن سبيل الله وهو سبيل الاعتقاد بوحدة الالوهية : ليسوا قوما بعينه بل كل من حاد عن الطريق السوي فأله الانسان باحترامه وعبادته : في الماضي وفي الحاضر والمستقبل .

النقطة الخامسة

الانسان سيظل انسانا وان اختلف مرتبته في مستوى الانسانية . والقول بحلول روح الاله في الانسان قول يقوم فقط على الرغبة في تحقيق مصلحة او منفعة خاصة من هذا الادعاء .

وطالما الاسلام يؤكد بشرية محمد بن عبد الله عليه السلام ، فدين هذا النبي الامي سوف يرفض كل ادعاء من اتباعه او من بعض طوائفه او من معارضيه حالا او مستقبلا بالوهية أي انسان لسبب من الاسباب. فكتابه هو القائل في هذا المجال :

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله »

« ولا الملائكة المقربون » وهو الذي يحاج أهل الكتاب بحجته الواضحة اذ يقول :

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم »

« قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ، وامه ومن في الارض جميعا » .

.. واذ يقول ايضا في اعتبار انفسهم انهم يمتازون على غيرهم في مستواهم :

« وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه »

« قل فلم يعذبكم بذنوبكم »

« بل انتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. »

الترقي الى مستوى الاله
ولا الهبوط الى مستوى الحيوان

الانحطاط الانساني

وكما يستنكر الاسلام ادعاء رفع الانسان الى مستوى الاله ، غلوا في تقديره .. ورغبة في تحقيق مصلحة خاصة من هذا الادعاء ، فانه يستنكر ان يهبط الانسان عن مستواه الانساني ، وعادون المستوى الانساني في الانسان ، هو مستوى الحيوان وتمثل الغرائز فيه هذا المستوى .

فالانسان المنطلق في الاستمتاع بما غير حد وفي غير رعاية لوجود آخر أو لسلامة الذات نفسها ، هو انسان ضعفت فيه حكمة العقل ، وابتعد عن هداية الاسلام والقرآن في وصف هؤلاء المنطلقين في الاستمتاع بغير حدود يقول :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام » (ويقصد بهم الماديين أي من شأنهم أن لا يروا حدودا للمتعة بما يستمتعون به ، كالانعام ، لانهم يصدرون في الاستمتاع عن الانانية وحب الذات ومن أجل ذلك ينظرون الى مرحلة الدنيا على انها حياة ابدية وهكذا وجدت .. وستظل دون فناء ، « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين » ، ففي الدنيا تتعاقب الاجيال البشرية في نظرهم ، يفنى جيل .. ويخلفه جيل آخر يجيء بعده .. والعقاب فيها يمثله الحرمان من متعها ، والثواب فيها يمثله الاستمتاع بها ، والانطلاق في الاستمتاع بمتعها هو اذن شريعة الحياة فيها ، والقيود التي توضع على الاستمتاع هي ضد طبيعة الاشياء ، ضد طبيعة الانسان في خصائصها الغريزية ، وضد مصالح الأمة نفسها لانها وجدت ليستمتع بها » .

بينما القرآن لا يرى منهج الحياة الانسانية في الانطلاق في الاستمتاع بمتع الدنيا المادية ، اذ انطلاق الانسان في الاستمتاع في واقع الامر هو اتباع لشهوته وهواه ، في غير رقابة ، والانسان الذي يسترسل في اتباع شهوته وهواه يظل بعيدا عن الاستقرار والاطمئنان النفسي في الحياة وشأنه عندئذ شأن الكلب الذي يحس دائما بالقلق وعدم الرضا ، سواء في حالة تتبع الانسان له ، أو في حال تركه بدون تتبع واضطهاد ، « ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » . وفي تصوير هذا الوضع يقول تعالى :

« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (والآية هنا لاتقصد فردا ، أو فريقا معينا ، وانما تصف الانسان الذي تجيئه هداية الله في كتابه في أي وقت وفي أي مكان فيبتعد عنها ويصبح عرضة لاغراء الشيطان ... [illegible] لها) .

« ولو شئنا لرفعناه بها » (أي ولو شاء الله أن يعصمه ويحميه ... الانسان ... الله في كتابه ... فالتوجيه ... ومسايرة الصالحة في السلوك) « ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه » (أي ولكنه سقط وانحط الى مادون المستوى الانساني ، واتبع هوى النفس ، ومع ذلك لا يحس بالسعادة ، بل يسيطر عليه القلق) « فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث » (فلا الاستمتاع بالمتعة الآن يرضيه ويمتعه ، ولا الحرمان منها لا يبعد عنه جو القلق النفسي بسببه) « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

الانسان المترف في الاستمتاع
يعرض نفسه لارتكاب الفواحش
الظاهرة منها والخفية

هدم التوازن

القرآن يريد فقط ان يقيد الاستمتاع بمتع هذه الحياة المادية ، عندما ينصح بالاستمتاع بها ، في قول الله تعالى : « يابني آدم ، خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا » « ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » .

.. والاسراف هو ما يفيض عن حاجة الانسان في الاستمتاع .. الى الترف والعبث فيه .. أو ما يزيد عن قدرات الانسان البشرية في استيعاب ما يستمتع به ، وتقييد الاستمتاع هو لصالح الذات المستمتعة .. ولصالح الذين يعيشون مع هذا المستمتع في مجتمعه الكبير أو الصغير ، والحقد – وهو سبيل الهدم في العلاقات لا ينمو الا في جو ينعدم فيه التوازن .. الا في جو يسيطر فيه التطرف بين اثنين ، احدهما يسرف في الاستمتاع .. والآخر يطحنه الحرمان .

وحتى يؤكد القرآن نصحه للانسان في الاستمتاع بمتع الحياة المادية يعلن ، استهجانه لمن يحرم هذا الاستمتاع في ذاته فيقول :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق »

« قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » (أي هي حلال لهم في هذه الحياة الدنيا) .

« خالصة يوم القيامة » (بينما هي في الآخرة ستكون قاصرة على المؤمنين وحدهم) « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

.. ولكي يوضح القرآن نتائج ما تعرضنا من الاسراف في الاستمتاع يذكر :

ان الاسراف في الاستمتاع بالمتع المادية كثيرا ما يصل بالمسرف فيها الى ارتكاب الفواحش وفي مقدمتها ، الزنا وانتهاك الاعراض .. والى البغي والاعتداء على حرمات الآخرين في أموالهم ، وفي مساكنهم ، والى الشرك بالله بما لا يتصور ان يكون شريكا له جل جلاله ، كعبادة المال ، والحاكم الجائر .. والى الكذب والافتراء على الله في تشويه سبيله ودعوته الى تأكيد القيم الانسانية في العلاقات بين الناس جميعا .

ولذلك يعقب على استهجان تحريم الاستمتاع بالمتع المادية كثيرين لهذا الاستهجان وكثيرين ايضا في الوقت نفسه للتهي عن الاسراف في الاستمتاع الذي نهى عنه بقوله :

١ ـ « قل : انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »

٢ ـ « والاثم والبغي بغير الحق »

٣ ـ « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان »

٤ ـ « وان تقولوا على الله مالا تعلمون »

التفوق الانساني

والانسان المسرف في الاستمتاع يعرض نفسه الى لارتكاب الفواحش الظاهرة والخفية منها ، كما يعرضها لاقتراف الاثام والمعاصي، وليس له عاصم من ارادة ، او ضمير او ايمان يلذ به نفسه ، اذا ما ورطه هواه وحسنت له شهوته ، ان يستغرق في المتع المادية . واذا فقد الانسان الارادة ، والضمير والايمان ، فقد التمييز في الاعتداء على نفسه او على غيره . وانسان بلا ارادة وبلا ضمير ، وبلا ايمان هو كائن حي له سمة الانسان ، وليست له روح الانسان .

وفي الاعتدال في الاستمتاع ؛ كرامة الانسان .. وحسن سلوك الانسان .. وهداية الانسان الى السبيل السوي في الحياة .

الاسلام يريد للانسان ان يرقى في مستوى الانسانية ولكن لا يريد له ان يدعي او يدعى له : انه فوق مستواها . فان في هذا الادعاء ضلاله وضلال الاخرين معه .

ويريد للانسان ان يظل صاحب التفوق بخصائص الانسانية من ارادة وحكمة وايمان على ما عداه في الوجود . ولذا يشق عليه ان يلغيها في حياته بالانطلاق في اتباع شهوته وهواه .

الاسلام لا يتاجر بالانسان فيقبل الادعاء بحلول روح الله فيه لامر ما .

الاسلام لا يخدع الانسان باغرائه نحو متع الحياة ويدعوه الى الاستغراق فيها فضلا عن ان يطلب منه سفك الدماء في سبيلها .

سيظل وحي الله الى رسوله محمد عليه السلام قائما يتلى على الاجيال البشرية جميعها الى ان تقوم الساعة ، وهو ما جاء في قوله جل جلاله :

« يمنون عليك أن اسلموا »

« قل لا تمنوا علي اسلامكم »

« بل الله يمن عليكم ؛ ان هداكم للايمان ، ان كنتم صادقين » .

د . محمد البهي

● منذ القرن الثاني لم تظهر موضة [illegible] موسيقية بقدر ما اضحى صناعة يحترفها [illegible] .

« الناقد الفرنسي جاك فيليب »

● كل الذين سيشتركون في اولمبياد موسكو في منتصف القادم يجب ان يحملوا معهم طعامهم لانهم لن يجدوا في روسيا كيلو لحم واحدا صالحا للاكل .

« وزير الزراعة الامريكي روبرت برجلاند »

● عندما تدق الاجراس في منتصف الليل ، احتفالا برحيل سنة وميلاد سنة لا ابحث عن امرأة اقبلها وانما ابحث عن وطن ابكي على صدره .

« نزار قباني »

● المشكلة ان الانسان يموت اذا توقف قلبه ماديا وادبيا ، وليس حتما موت الفئة وتوقف كسب الانسان اذا مات ، وهكذا نتأكد ان شيئا في الوجود لا يعدل القلب البشري .

« أحمد بهجت »

● لماذا تحاولون ان تجعلوا مني قديسة ، هل تحسبون ان طاقة الانسانية والخير الموجودة داخل كل منا ضئيلة الى هذا الحد .

« الأم تريزا »

● سوف يشهد عام ١٩٨٠ خسارة انسانية كبيرة .. ففي امريكا وحدها سوف تفارق ٣٢٠٠٠ امرأة الحياة بسبب اصابتهن بسرطان الرئة عن طريق الافراط في التدخين .

« تقرير الجمعية الامريكية للدراسات السرطانية »

نزار قباني

أحمد بهجت

الأم تريزا

عباس محمود العقاد

الإنسان غداً:

ماذا يمكن أن يكون؟

تقدمت العلوم الطبيعية تقدما سريعا في ثلاثة قرون . تقدمت في وسائلها كما تقدمت في مكتشفاتها وتقدمت في طريقة البحث كما تقدمت في نتائجه . فحققت في ثلاثة قرون مالم يحققه العلم في ثلاثين قرنا من الزمن القديم .

ولكن يلاحظ مع هذا التقدم السريع انها تتواضع . او تتراجع . في دعواها كلما امعنت في البحث والمعرفة واكثرت من الكشف والاختراع . كان الناس من العلماء يقولون قبل مائتي سنة ان العلم قد رفع الستار عن اسرار الطبيعة . وان ما بقي من هذه الاسرار وشيك ان ينكشف بعد قليل .

كان هؤلاء العلماء واتباعهم يقولون بان الطبيعة لم يبق فيها سر مغلق بعد كشف قانون الجاذبية ودورة المنظومة الشمسية وان الدورة الدموية ومذهب التطور وعلم الجراثيم كفيلة بكشف الحجاب عن اعمق اسرار الحياة . من يقولون بهذا القول في العصر الحاضر اقل بكثير ممن كانوا يقولون به قبل مائتي سنة . مع ان علماء اليوم اوسع معرفة بالعلوم الطبيعية من زملائهم في القرن السابع عشر والقرن الذي تلاه . علماء الطبيعة اليوم يقررون كلهم او اكثرهم ان العلم وصاف وليس بكشاف اي ان العلم يصف ما يراه ويسجله . ولكنه يقف دون العلل الاولى للاشياء . فلا يجزم بعلتها . الا ما كان من قبيل وصف الحوادث وترتيبها كما تتكرر امامه على الدوام . من اين جاء هذا التواضع . او هذا التراجع . في دعوى فريق من العلماء بين القرن السابع عشر والقرن العشرين . جاء اولا . من سعة العلم

كاتب والمفكر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد

ولا يقدر مداه كما هو مشهور . فصار الكبير . يقاس على زيادة المجهول مع زيادة المعلوم .

يروى عن جهل الطفولة ان طفلا صغيرا سئل عن سنه وسن اخيه فقال . انه اكبر مني بسنتين ولكنني سأكون اكبر منه بعد ثلاث سنين . ان هذا الطفل الصغير لا تصور انه يكبر وحده وان الزمن يحسب في سنه ولا يحسب في سن اخيه . ومثل هذا الطفل ذلك العالم الذي يظن ان العلم يزداد ولكن الحقائق المجهولة تبقى عنده كما هي . ولا تزداد .

ان علماء العصر الحاضر قد ادركوا ان الحقائق ايضا تزداد كما تزداد العلوم . ادركوا ما يجهلونه حين ادركوا ما يعلمونه . فاذا المجهول لا يزال اكثر واكبر من المعلوم .

من هؤلاء العلماء جورج رسل هاريسون صاحب كتاب « الانسان هذا .. هذا يمكن ان يكون » وخلاصته ان الانسان يمكن ان يكون انسانا تاما بشخصية تامة ولكنه لا يكون كذلك الا اذا التفت الى كل جانب من جوانب الشخصية الانسانية ولم يقصر التفاته الى جانب المادة او جانب البدن منها لان الشخصية الانسانية عاطفة وعقل وضمير وليست مجرد اعضاء ووظائف وخلايا واعصاب .

لو عرف الانسان كل شيء عن تركيب بدنه لما احاط باسرار قواه الشخصية ولما نفذ الى حقيقة سر الحياة . اننا لا نعرف « الموسيقى » إذا عرفنا كل دقيقة وجليلة من الاخشاب والمعادن والاوتار التي تدخل في تركيب العود والجيتار والبيان .

وبعض علماء الحياة يراقبون تغذية الحيوان ويلاحظون مثلا . ان العواطف تتأثر ببعض الاغذية فتنقص او تزيد . لاحظوا ان الفارة التي يقل التحميض في غذائها تهمل صغارها ولا تعطف عليهم والله لحسن منهم ان يلاحظوا هذه فوصلوا منه الى زيادة حصة الحيوان من ذلك الغذاء ولكنهم إذا جاوزوا ذلك فقالوا ان عاطفة الامومة هي مقدار معلوم من التحميض فهم مخطئون . وخطاهم في هذا الرأي كخطأ القائل ان نغمات الموسيقى اخشاب واوتار . ان نقص الغذاء ينقص حركة الجسم وحركة الدوافع الحية .. ولكن مادة الغذاء وعاطفة الحياة شيئان مختلفان . ومن الواجب ان نعرف تركيب الجسم وتركيب كل مادة فيه . ولكننا لن نعرف الشخصية الانسانية من معرفة هذا التركيب . لان هذه الشخصية الانسانية تكوين عجيب يعجزنا الان ان نسبر اغواره . ولكننا قد نلمحها لمحا اذا لاحظنا الفوارق التي لانهاية لها بين إنسان وإنسان . او بين شخصية وشخصية .

لكل انسان صوته . لكل انسان ملامحه . ولكل انسان خطوط اصابعه

● لو عرف الانسان كل شيء عن تركيب بدنه لما احاط باسرار قواه الشخصية

● نحن لا نعرف الموسيقى إذا عرفنا كل دقيقة وجليلة من الأخشاب والمعادن والأوتار التي تدخل في تركيب العود والجيتار والبيان

● لكل إنسان صوته وملامحه وخطوط أصابعه وفصيلة الدم وخلايا المواقع وكذلك لكل إنسان قابليته للصحة والمرض والمقاومة والإصابة

الانسان
عبداً

ماذا يمكن أن يكون؟

ولكل انسان كتابة لا يكتبها غيره . ولكل انسان تركيبه فى فصيلة الدم وخلايا البروتين . ولكل إنسان قابليته للصحة والمرض والمقاومة والاصابة .

هذا فى المحسوسات التى ندركها بأيسر نظرة . اما الخفايا فمنها ما يجهله الانسان نفسه فى وعيه الباطن او فى وعيه الذى لا يتضح للشعور . ونعلم ان ابوابنا العلمية لا تمكننا من كشف هذه الخفايا اذا علمنا انها تكمن كلها فى الخلية التى يولد منها الانسان . وان جميع التناسلات التى يولد منها النوع الانسانى يمكن ان توضع فى فنجان .

وسيبقى الانسان محجوبا عن نفسه مادام محجوبا عن اعماق هذه الشخصية ومادام منصرفا عن جانب الضمير منها . او مادام متجها الى الخلط بين مادة جسمه وبين العوامل الحية التى ترتبط بتلك المادة . لان الحان الموسيقى لا توضع ولا تفهم او تتذوق بمعرفة الاخشاب والاوتار . كلا ولا بمعرفة العلامات والاشارات التى تضبط بها الالحان والنغمات .

وهنا ينبغى ان نتساءل كما تساءل المؤلف . ماهى حقائق الضمير ؟

والجواب . اننا لا نعرفها جميعا . وان ما نعرفها قد يختلط عند بعض الناس بالجهالة او بالهوى والضلالة . ولكن ما نجهله او نخطىء فيه لا نتركه ولا نحتقره بل نثابر على طلبه لنصحح خطاه وجهله . ولو اننا تركنا كل حقيقة جهلناها والخطانا فهمها لما بقيت عندنا معرفة بالمادة ولا بالضمير . وهنا يضرب المؤلف مثلا بالطفل الذى يبيت ليلة عيد الميلاد وهو يحلم بالهدايا التى يضعها سانت كلوز . او القديس راعى الاطفال . إلى جانب وسادته . فان هذا الطفل يحلم ولا ريب بخيال ـ ولكنه خير من الطفل الذى لا يتخيل شيئا عن فرحة عيد الميلاد ولا عن هدايا الغيب وشوق الانتظار الذى يخامر جميع النفوس فى امثال هذه الاوقات . ومادام عيد الميلاد موجودا فالطفل الذى يدركه على صورة من الصور حسبما يستطيع فى خياله وفكره أصح إدراكا من الطفل الذى لا يدركه إدراك الصغار ولا إدراك الكبار .

وعلينا فى هذا العصر خاصة ان العلم بالمحسوسات الظاهرة لا يستدعى انكار الغيب او ما وراء المحسوسات . فى هذا العصر خاصة ينبغى ان نذكر هذا ونفهمه ولا ننساه . لان علمنا بالمادة المحسوسة قد انتهى بنا . او كاد ان ينتهى بنا . إلى عالم الغيب وراء المحسوس او وراء المعقول .

عناصر المادة كلها ذرات . وما هى الذرة ؟ جسم صغير ينفلق ثم ينطلق فيصبح شعاعا . وما هو الشعاع ؟ حركة فى الاثير . وما هو الاثير ؟ شىء لا وزن له ولا حركة ولا رائحة ولا مذاق محسوس وغير منضبط بغير الحساب والتقدير . وإذا كان هذا نهاية علمنا بالمادة فى عصرنا فان عالم الغيب فى عصرنا يتسع ولا يضيق ويقول المؤلف بحق ان كبار العلماء لا ينكرون الغيب او ان انقياء لا يزالون معدودين من اكبر العلماء كانوا يؤمنون بما وراء المحسوس .

كان نيوتن مكتشف قانون الجاذبية يصلى ويؤدى فروضه الدينية فى مواعيدها بغير انقطاع وكان جاليلو مكتشف دوران الارض يؤمن بالله والدين وكان « اينشتين » يقول « إنك اذا اردت



أن نعرف غاية الحياة فمعنى ذلك أن نكون متدينا . وكثير من خلفاء هؤلاء العلماء في العصر الحاضر يرجعون الى الغيب كلما أوغلوا في العلم بالمحسوسات .

ويرد المؤلف قول القائلين إن الخوف كبير في عصرنا من شطط الانسان في استخدام معلوماته ومن الجائز أن يكون حتف النوع الانساني كله في هذه الطاقة المخيفة . إذا أسيء استخدامها في الحروب . ولكن المؤلف يعود فيقول إن هؤلاء المتشائمين يبالغون في الخوف من عوامل الشر والهدم التي ينطوي عليها طبع الانسان . ولا يعطون عوامل الخير والبناء حقهما من الأمل والثقة . قياسا على الماضي في أحوال كأحوال العصر الحديث .

لقد كان اختراع النار يكفي للقضاء على عمران الانسان كله في زمانه . ولكنه عزز هذا العمران وعلمنا أن نخترع أنواعا من النار لم تكن معروفة في عهد أجدادنا الغابرين . فكل ما اخترعناه من أنواع الوقود فهو توسع في استخدام النار . ولكن قد حسن استخدامها في أوقات وساء استخدامها في أوقات وكانها في النهاية قد أضافت الى العمران ولم يكن سببا للقضاء عليه . ولا خطر على الانسان في الغد على هذا الاعتبار . ولكننا لا نقنع بالأمان من الخطر إذا استطعنا أن نتصور أنفسنا . ونحن قادرون على إتمام أنفسنا إذا عشنا بشخصية متوازنة بين عوامل الجسد وعوامل العقل والعاطفة والضمير .

هل معنى ذلك أننا سنعرف كل ما في أنفسنا من الخفايا والأسرار . ؟ لا ريب أننا نزداد علما بتلك الخفايا والأسرار جيلا بعد جيل . إلا أننا لا يلزمنا أن ننتظر طوال الأجيال لنعرف عنها كل ما يستطاع لأننا نعرف مطالب العقل والعاطفة والضمير . نعرف التطلع الى الحقيقة ونعرف الشوق الى جمال الطبيعة والفنون . ونعرف كرامة المبادئ الرفيعة والأمثلة العليا في الأخلاق والآداب . ونعرف مطالب الضمير من العقيدة الروحية وما نعرف من هذه الجوانب المتعددة في الشخصية الانسانية فهو حسبنا للموازنة بينها وبين مطالبنا البدنية . هو حسبنا الحذر من مسخ طبيعتنا بالاستسلام الى جانب منها دون سائر الجوانب . وهو حسبنا للتقدم في طريق التمام .



وعند المؤلف أن هناك غاية أعلى من غاية الموازنة بين جوانب البدن وجوانب العقل والعاطفة والضمير . إن عباقرة العالم قلما يتوازنون في جميع الجوانب . ومنهم من تغلب عليه نزعة تطغى على جميع نزعاته وبها يمتاز على سواد الناس ويتمكن من خدمتهم بالفتوح الجديدة في ميادين العلوم والفنون والأخلاق .

إلا أن العبقريين يوسعون شخصيتهم . بهذه النزعة الغالبة ولا يضيقونها . انهم ينمون بها ولا ينقصون وهم الاستثناء في هذه القاعدة ولا تخلو قاعدة من استثناء .

وبعد فنحن في ختام هذا المقال عائدون الى سؤال العنوان عن الانسان غدا . ماذا يمكن أن يكون . ؟

وليس جواب المؤلف أنه سيعلو على الانسانية الى طبقة السوبرمان . التي حلم بها دعاة القرن التاسع عشر . وإنما جوابه أن الانسان يتمم نفسه غدا فلا يحاول التحليق بجناح واحد . وأن المستقبل يعرف حق البدن ولا ينسى حق العاطفة وحق الروح والضمير .

عباس محمود العقاد

عبدالكريم غلاب

الإعلام بين الأوروبيين والعرب



ما يزال الشعب العربي يعيش تحت إرهاب الاعلام الأجنبي - الأمريكي منه والأوربي على السواء - وما تزال شعوب أوربة وأمريكا تعيش تحت ما يمكن أن نسميه أيضا إرهاب الاعلام العربي فرق كبير بين الارهابيين ومصادر الارهاب في كل من الاعلامين.

مظهر الارهاب في الاعلام الأوربي بالنسبة للوطن العربي أن الدول العربية تقع في نطاق التخلف وأن المواطن العربي جاهل ومع ذلك يعيش - معظم شعوبه - حياة ذليلة من الفقر والبطالة والجوع، وهو يحقد على الانسان غير العربي وغير المسلم ويبادر بالشتيمة وغير قابل للتعاون وهو عنصري يكره اليهود ويطالب رغم بزاز انطلاق قوة الشعور عليهم الحرب ويحاول تهجيرهم ورميهم إلى البحر - وهو عنيف حتى مع أبناء بني جنسه وهو يضطهد المرأة ويقسو على الطفل ويقتل القطة والكلب... يتعلم ولا يتثقف ويثري ويبعثر المال ولا يتعامل مع الحضارة الغربية إلا من جانبها القذر. والبلاد العربية تمتلك مصادر الطاقة ولكنها ترغب بواسطتها أن تخنق الحضارة الغربية فترفع الأسعار وتحد من الانتاج وتهدد بين حين وآخر بتقليص البترول وتقطع عن طريق سحب أرصدتها من البنوك الغربية. وهي تلعب بين الشرق والغرب فلا يستقر لها قرار. وتساهم في التوتر الدولي وهي لا ترغب في الاعتراف بدولة صغيرة مظلومة وجدت وطنها أخيرا في إسرائيل...

تلك هي الصورة التي ترتسم أمام الاعلام الأجنبي عن الوطن العربي والمواطن العربي ويذيعونها في بعض فترات النكبة السوبية في تلفزهم ملونة وسوادا على بياض وبكل فنون التصوير ولا تنعدم هذه الصورة القاتمة المظلمة بعض ملامحها في الكلام ببعض الأضواء التي يأخذون أقلامهم من قصاصات بعض بعض الصحف. وتتسرب هذه الصورة إلى المد الارهابي الاعلامي فيندفع - إنطلاقا منها - ليتقع الرماد من النار وليصب الزيت على الفتيل فيحرض دولة عربية على أخرى ويضخم أي نقاش أو خلاف جزئي بين دولتين عربيتين في صورة الحرب والشريس ليتخذ من نفسه وصيا على (الحقيقة) وعلى (السلام) لينتصر هذه الحكومة على تلك وليسعى من وراء عمله أن يستفيد من ميزانية إعلام هذه الدولة على حساب تلك.

ومن هذا المنطلق يأخذ (الحق) في توزيع الألقاب وتحليل المذاهب والسياسات والغوص العميق في أعماق الثغرات والمشاكل التي يتخبط فيها كل بلد عربي، وما البلاد العربية إلا نموذج للمشاكل التي تتخبط فيها كل شعوب العالم.

مصادر الارهاب

مصادر هذا الارهاب في الاعلام الأجنبي هي فيما نحسب:

- الصورة القديمة التي اتخذها الأجانب عن الوطن العربي قبل احتلاله والتماء استعماره. وهي صورة رسمها الطابور الخامس الذي مهد للاستعمار ويتكون من مؤرخين وجغرافيين وصحفيين وكتاب سياحة ومبشرين وعسكريين وحكام تولوا مناصب الحكم في الوطن العربي، ولم يأخذوا من معنى الحكم إلا صيغة (التحكم).

وقد ظلت هذه الصورة المقيتة تنتشر وتفعل فعلها في النفوس والعقول حتى تلقفها الاعلام الجديد كأساس يبني عليه

تسقط مسئولية الإعلام العربي.. إنهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذي تضربه إسرائيل حول القضايا العربية

الرؤية الجديدة لهذا الوطن

— العداء الذي استحكم في بعض الطبقات التي مرت بمن هنا كمستعمرين ومغتصبين للأرض أو الاقتصاد والمعادن والمناجم والمال والحكم والسيادة والسلطة، ويوم استقلت شعوب الوطن العربي واحدا بعد الآخر حسب هؤلاء أن هذه الشعوب تغتصب منهم ما امتلكوه، ولو وضع اليد — وأن استرجاع الوطن العربي لشخصيته وعروبته وأرضه وثروته إنما سرقة تستحق صاحبها العقاب، والاعلام المضاد إحدى وسائل العقاب.

— الحملة المسعورة التي تقوم بها الصهيونية العالمية ضد الوطن العربي، وهي حملة منظمة مدروسة علميا تشمل مختلف انحاء العالم والقطاع العربي منه على الأخص. لا تهتم بميدان الصراع مع العرب من أجل قضية فلسطين والأراضي العربية المحتلة فحسب ولكنها توسع مجال الحملة لتشمل مختلف القطاعات العربية ومختلف البلاد العربية، وتستهدف هدم كل ما يبنيه العرب من جسور التعاون العالمي في الميادين الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية.

— الاحتكار الاعلامي المسيطر على مختلف أجهزة الاعلام في العالم الغربي وهو احتكار في معظمه ايدولوجي رأسمالي يخدم مصالح معينة معظمها كانت لها سيطرة على اقتصاديات الوطن العربي في مشرقه ومغربه، ومعظمها لا يزال يمد أخطبوطه في العقد العربي ويسوءه أن يتحرر أي جزء من الوطن العربي من هيمنة احتكاراته، ولذلك فهو يسخر أجهزة الاعلام عن طريق الارهاب ليسمم الرأي العام ضد الوطن العربي. وهو لا يريد أن يخدم مصالحه فحسب، ولكنه يستهدف تأليب الرأي العام في أوربا وأمريكا والبلاد التي تخضع إعلاميا للأجهزة المنبثة من هاتين القارتين ضد الوطن العربي والمواطن العربي، والرأي العام يضغط على الحكومات حتى لا تكون مع أي اتجاه تحرري اقتصادي أو اجتماعي أو عسكري في الوطن العربي.

ويعروف أن إسرائيل تشارك في هذه الاحتكارات الرأسمالية الإعلامية عن طريق الشركات والشخصيات التي لإسرائيل نفوذ عليها وهي تستغل هذا النفوذ لوضع العرب في موقف المتهم إعلاميا والصهيونية الإعلامية إسهام كبير في المناورات السياسية والعسكرية.

[illegible]

الأمر الذي يحول بين حقيقة الحرية الحقيقية لا تتمثل في القرارات التي تبيح النشر والتعبير، ولا في ممارسة هذه الحرية الظاهرية فحسب، فهذه الحرية أدركها الاعلام الغربي منذ عشرات السنين ولكن الحرية الحقيقية هي الا تتحكم في التعبير عن الرأي أي فكرة عدائية مسبقة صادرة من استعمار أو استغلال أو كراهية عنصرية أو عرقية أو احتكارات رأسمالية تدافع عن مصالح إقطاعية خاصة، ومن المؤسف أن التوجيه الصحفي والاعلامي عموما وأن العقول المفكرة في الميدان الاعلامي والأقلام المتحركة لم تتحرر من هذه السيطرة رغم ما يبدو من أن الاعلام الغربي مدرك حريته متمتع بكامل صلاحيته.

الصورة المقابلة للارهاب الاعلامي الغربي هي التي يقدمها ما يمكن أن نسميه بالارهاب الاعلامي العربي ولنبحث الآن عن ظاهراته علنا نضع خطواتنا في طريق البحث عن التخلص من ردود فعل هذا الإرهاب أو ذاك.

وتتمثل الصورة في الفكرة التي يأخذها العربي عن الغربي الأوربي خصوصا وهي منطلقة من الصورة التي قدمها الاستعمار الغربي عن بلاده، صورة الظالم المستغل المتعجرف السارق لخيرات البلاد المتحكم في الإنسان إلى درجة الاستعباد القاتل من خلال حروبه التي شنها على الوطن العربي ومن خلال أحكام ظالمة وأعواد مشانق، المضطهد من خلال الميز العنصري الذي استعمله في ميدان التعليم والصحة والإسكان، والفرص غير المتكافئة في ميدان الاقتصاد والاجتماع والعمل والكسب والأداء المفتقر من خلال الأرض التي انتزعها من المواطن العربي ليقدمها للمستعمر الغربي وليجعل من صاحب الأرض عبدا مسخرا في خدمة وارث الأرض الجديد. المتآمر من خلال زرع كيان غريب في الوطن العربي قوامه لقطاء من مختلف انحاء العالم، أعطاهم الأرض والدولة والحكم والسلاح وصفة الشعب ووقف خلفهم يحميهم بقوة السلاح والمال والسياسة والدبلوماسية، ويمكنهم من الانتصار في كل حرب يشنونها على الشعب الذي اغتصبوا أرضه والدول التي احتلوا أجزاء من أطرافها.

انطبعت هذه الصورة على الاعلام العربي، بل على الأدب العربي كما انطبعت الصورة المعاكسة على الاعلام الغربي والصهيوني، وعلى الأدب الغربي والصهيوني.

العلاقات بينهما

في وسط صراع الاعلاميين المتناقضين كان التشاؤم هو العلاقات بين الشرق والغرب بين العرب وبلاد أوربا على الأخص كثير من المظاهر التي يسيرها الاعلامان — وخاصة الاعلام العربي من الغربي صحيحة — ولكنا لا نحاكم اليوم هذا الاعلام أو ذاك من وجهة نظر مؤرخ أو أخلاقي غير أن الاعلام العربي لا يستند إلى قوة تعادل أو تقترب من القوة الاحتكارية الخطيرة التي يستند إليها الاعلام الغربي في هجمته الشرسة على الوطن والمواطن العربي. بل أن الاعلام العربي يقع ضحية أجهزة الاعلام الغربي المتحكمة، فكل وسائل جمع الأخبار وتنسيقها وإذاعتها بين يديه ويملك كل مصادر الأخبار والتجهيز

الإعلام بين الأوروبيين والعرب



والفني والخبرة الاعلامية . وهو لا يتعامل مع الوطن العربي في هذا الميدان من منظور تجاري صرف .. ولكنه يتعامل من منظور الموقع الاستراتيجي للاعلام ومدى اثره في توجيه السياسة والدبلوماسية والاقتصاد . ولذلك فهو يتخذ من الاعلام الذي يصدره ويصدر تجهيزاته وأدواته وسيلة ضغط وتحكم ، كما يتخذ من المادة الاعلامية التي يصدرها وسيلة توجيه وغزو فكري .

في هذا الاطار غير المتكافيء بين الاعلاميين تعيش العلاقات التي يراد لها أن تتجدد في ميدان الاقتصاد والتجارة والخبرة التكنولوجية بين الوطن العربي وأوروبا .

أوروبا اعتمدت على الوطن العربي اقتصاديا . وكان ذلك منذ ظهور النفط . ولكن الشركات الغربية كانت تتحكم في النفط فكانت أوروبا (تتفاوض) على شركاتها إذ كان المال مضمونا .. وكان الوطن العربي غير منفتح إلا على الجانب التجاري الاستهلاكي وهذا أيضا كان مضمونا وكان منفتحا على نوع آخر هو الادخار في البنوك الأوربية والامريكية من جهة ، والاستهلاك السياحي من جهة أخرى . وهذا أيضا كان مضمونا ولكن تأميم النفط ــ كلا أو بعضا ــ في الوطن العربي والتحكم في انتاجه وتسويقه واستخدامه كسلاح بعد حرب رمضان لفت النظر إلى هذا المصدر الضخم من مصادر الثروة والطاقة بشكل يومي بأن هؤلاء الذين التفت نظرهم لم يكونوا يعرفون أن هناك شيئا إسمه النفط وبلاد النفط .

اقترن ذلك بالاندفاع الهائل في الساحة العربية نحو البناء الاقتصادي صناعي وعمراني وسياسي . المشاريع الضخمة التي تقوم في البلاد العربية النفطية لفتت الأنظار . أنظار الشركات المنتجة والحكومات في الغرب الى الثروة الوافدة مع هذه المشاريع . ومن هنا انطلقت الاقطار العربية لتمثل رأس قائمة البلاد التي تستورد مشروعات ضخمة . طرق وبنايات ومعامل ومصانع وخبرة وتكنولوجية .

التطور الاقتصادي هذا وضع البلاد الأوروبية والغربية عامة موضع الحاجة الى الوطن العربي لاتقل عن حاجة البلاد العربية إلى أوروبا .

واقترنت هذه (الحاجة) المتبادلة بالأزمة الاقتصادية التي بدأت تطل على الغرب ، والتي دفعت بكثير من الملاحظين الاقتصاديين أن يقولوا أن العالم سيشهد أزمة شبيهة بأزمة ١٩٢٩ واقترنت الأزمة بالتضخم والبطالة المتفشية حتى أن كثير من المعامل باتت تستغني عن نسبة مهمة من عمالها . كل ذلك لا ينفي تضاعف أرباح الشركات الكبرى الاحتكارية وفي مقدمتها شركات البترول التي حققت أرباحا ضخمة إضافية من ارتفاع سعر البترول .

هذا كله ليس إلا مظهر لخلل اقتصادي والذي نتيجة لعجز الرأسمالية العالمية عن [illegible]

[illegible] العربي [illegible] الاستثمارات الاقتصادي والتقدم في الغرب وفي أوروبا خاصة عمق الرغبة الغرب في كثير من مجالات العمل والاستثمار في الوطن العربي . وهذا ما أعطى بعدا كبيرا للمصالح المتبادلة بين الطرفين . وهذه المصالح المتبادلة في حاجة إلى إعلام يخدمها .

الاعلام هو الذي يوضح أبعاد هذه المصالح ، وهو الذي يقدم أحد الطرفين للآخر ، وهو الذي يهدم السدود التي تقف دون تفاهم الطرفين ، وهو الذي يزيل الجليد الذي تراكم من عهد العلاقات السيئة بين الوطن العربي وأوروبا ، وهو ــ بكلمة واحدة ــ الذي يستطيع أن يقيم علاقات جديدة على أسس جديدة من التفاهم والتعاون بحسن نية ، أو يهدم هذه العلاقات .

فهل الاعلام الحالي قادر على ذلك ؟

الاعلام في وضعه الذي وصل إليه ــ عربيا كان أو أوروبيا ــ لم يتحرر بعد من رواسب الماضي ولذلك فهو غير قادر على أن يخدم ما يأمله الطرفان من بناء عهد من التعاون يعتمد على أن يقدم كل من الطرفين ما يملكه من مال أو طاقة أو خبرة أو صناعة أو تكنولوجية لبناء جسر من التعاون لمصلحة التنمية الاقتصادية والثقافية والفكرية والفكرية لبناء عالم يسوده السلام والأمن والتفاهم .

ولكن هذه الوضعية ليست حتمية ولهذا يجب التفكير في خلق سبل للاتصال والتفاهم بين رجال الاعلام في أوروبا والوطن العربي . وكان هذا هو موضوع الحوار العربي الأوربي في ميدان الاعلام الذي دعا إليه اتحاد الصحفيين العرب ، ونظم في بغداد في أواخر شهر يناير (كانون الثاني) .

والذي نأمله هو أن يكون الحوار قد أسقط الأقنعة عن المظاهر السلبية للاعلام وحطم السد الذي يقيمه الاعلام المنحرف بين العرب والأوروبيين . وهو أمل لا يمكن أن يتحقق بمجرد لقاء بين مجموعة من رجال الاعلام عرب وأوروبيين . ولكنه قد يأخذ طريقه للتحقق إذا بذلت لجنة المتابعة التي انبثقت عن الحوار مجهودات متعددة لتحقيق أهداف الحوار ، والحد الأدنى الذي أعلنه البيان الصادر عن الملتقى عن القضايا الأساسية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

ويبقى بعد ذلك مسؤولية الاعلاميين العرب وهم مدعوون إلى اختراق الحجاب الذي تحاول اسرائيل أن تضربه حول القضايا العربية ، وإلى إيضاح الصورة المشوهة التي يرسمها الاعلام الاسرائيلي والاعلام الأوربي المتعاطف مع اسرائيل للوطن العربي . إعلاميا قادر على المساهمة في تغيير الصورة إذا ما اقتحم الميدان الاعلامي في أوروبا باللغات التي يفهمها الأوربيون وبالمنطق والعقلية الأوربية وبالخبرة والامكانات التي يملكها العرب . لقد ظهرت أقلام عربية ومجلات عربية في باريس ولندن . وقلت معها خطوتها . وتستثمر أموال طائلة عربية في أوروبا لتخدم القارىء العربي . حظ أوروبا من هذا الاعلام استثمار رؤوس أموال وتحقيق أرباح وصرف أموال وكل هذه المجلات والصحف كان يمكن أن تصدر عن عواصم عربية فتتحول مردودية الاستثمارات الصحفية إلى أبناء العرب وتصرف الأموال المتحركة في هذا القطاع بين مواطنين عرب .

وهنا تبرز مسؤولية الاعلاميين العرب لتحويل هذا المجهود لمخاطبة القارىء العربي في قضايا الوطن العربي بالمنطق الذي يفهمه واللغة التي يقرأ بها .

وتلك إحدى وسائل الحوار الذي نأمل أن تحقق عن طريقه أهم إقناع .

الرباط : عبد الكريم غلاب



جحا: وتعليم الحمار

من مأثورات تراثنا الشعبي ان (جحا) رحمه الله، كان على ظرفه وفكاهته، لا يخلو من المكر والمادية والجشع، إذ يقال ان ملكا، في زمان جحا (الذى لم يحدده علماء التاريخ، بعد، تحديدا دقيقا) أعلن، بوسائل الإعلام في عصره، انه في حاجة إلى رجل حصيف عاقل، ليعلم (حمار الملك) القراءة والكتابة!! ووضع خبراء الروتين واللوائح في البلاط شروطا تتلخص في:

أ- ان يتم تعليم حمار الملك القراءة والكتابة عند نهاية ثلاثين سنة من توقيع العقد.

ب- ان يتقاضى (المعلم) راتبا شهريا (طوال ثلاثين سنة) قدره ألف دينار، ذهبا عينيا، بالاضافة الى منحه سكنا مؤثثا بالأرائك والطنافس والقوارير والديباج والحرير والجوارى الحسان، فضلا عن بغلين واثنى لنقلاته الخاصة الداخلية والخارجية.

جـ- ان تقطع رأس المعلم، على رؤوس الأشهاد في ساحة السوق، بمقصلة من الفولاذ المصنوع من أجود خامات الحديد والكروم والتنجستين، إذا فشل في تعليمه الحمار القراءة والكتابة بعد ثلاثين سنة....

وتوافد العلماء وأهل الخبرات في التعليم (والبيداجوجيا) من أقاصي البلاد وادانيها، للاطلاع على الشروط، وبراسة شجرة العائلة والسلالة التي ينتمي إليها حمار الملك، ولكنهم جميعا كانوا يعودون، دون توقيع اى عقد مع الملك.... وكان جحا انذاك، في احدى جولاته، فما ان ترامى إليه نبأ القصة حتى قطع الرحلة، وعاد إلى العاصمة، واتصل بالمسئولين الذين حددوا له موعدا للمقابلة، خرج على إثره متهلل الوجه باسم الثغر، وضاح الجبين، حاملا بيمينه (نسخة) من العقد، ممهورة موثقة بتوقيعه، وخاتم الملك، وشق طريقه نحو (الإسطبل) لاستلام (التلميذ)... فاعترض طريقه نفر من الناس الطيبين، وصاحوا به: ويحك ياجحا، لقد عهدناك رجلا عاقلا فطنا، فما الذى دهاك حتى توقع مع الملك عقدا بتعليم حماره القراءة والكتابة، هل جننت ياجحا؟؟ فاجابهم جحا بابتسامة الواثق، ساخرا، إنما انتم والله المجانين، فأنا أعرف يقينا، كما تعرفون جميعا، ان الحمار (ولو كان حمار الملك) لن يتعلم القراءة والكتابة، ولكن ياأيها الحمقى، سوف يحدث خلال الثلاثين سنة، احد ثلاثة امور، إما أن أموت أو يموت الملك أو يموت الحمار فلا لم يحدث شيء من هذا، فسوف تقطع رأسي، أجل، ولكن بعد ان أكون قد تمتعت بهذا المرتب وتلك النعمة ثلاثين حولا كاملا، فضلا عما سأدخره لعيالي في البنوك، أملا لمستقبلهم!!!

والأمثلة كثيرة... واضحى المشاريع الكبرى في السياسة والاقتصاد والاجتماع... استوعبوا قصة جحا هذه تمام الاستيعاب، وينفذون فلسفتها بكل الدقة في التطبيق، وكل منفذ الذى يتصور انه هدف شخصي تماما مثل هدف جحا... وفي اعتقادي انه من المفيد، ان يكون هنالك، في كل مكان يحتمل ان يكون به (جحا حديث)، هيئة مهمتها وضع المشاريع التي تحتاج (ثلاثين سنة فاكثر) كي تؤتى اكلها سياسيا واقتصاديا او اجتماعيا على بساط البحث (الضميرى الأخلاقي العلمي) ومعرفة ما إذا كان في مخططها فعلا (قيام عزرائيل) بإنقاذ الموقف قبل انفضاح الحقيقة، ولا ندرى على وجه التحديد كم من أموال هذه الأمة سوف يستنفد من براثن أسلوب المكر (الجحوى) في قصة تعليم (حمار الملك)، ولكن في هذه الأيام......

درويش مصطفى الفار

● فوجئ اصدقاء الرجل عندما عرفوا انه انه التزم على إمتلاك الف مليون هذه الثروة، فاجابهم:
- بعض هذا المال ثمرة الجهد والاجتهاد في العمل وبعضه نتيجة الاقتصاد وعدم الاسراف و ٩٩٪ من هذا المال ورثته عن عمي الذى اوصى لي بالمبلغ عند وفاته.

● اتهمه الرجل الوقور من الفتاة التي كانت تقف الى جواره اثناء الحفل لرفعتها وحماقتها فالتفت اليها متسائلا:
- عزيزتي، الا تفكرين مطلقا فيما تقولين؟!
فاجابته بعفوية وبراءة:
- وكيف افكر قبل ان اكون قد سمعت ما سأقوله.





د. يوسف إدريس



نبتة صالحة

● هذه الدمدمات التي تحدث في منطقتنا وفي العالم ليست إشارات غامضة!

في هذه الفترة حدثت احداث في العالم، وفي قلب منطقتنا العربية الشرق اوسطية قلبت الدنيا رأسا على عقب، وليس هذا كل شيء، فتوقعاتي ان كل ما حدث، رغم ضخامته وخطورته ـ لا يمثل سوى الدمدمات الأولى لبركان لن يبقي ولن يذر كعادة البراكين، ولكنه سيعيد تنظيم منطقتنا وربما بالتالي سيعيد تنظيم كل العالم من حولنا. فالعالم يحيا في فوضى، اعجب ما فيها، ان المتأمل لها عن قرب، يتصور انها في منتهى الدقة والانتظام، بينما الراصد لها عن بعد [illegible] الذي يراها حين يستقطب نظره الى داخله [illegible]

مكنون في باطنه، يدرك كم هي مرتبكة اشد الارتباك، مجرمة في ظلمها اشد الإجرام. العالم في حاجة الى عدالة جديدة، ليست عدالة القانون الروماني أو قانون نابليون، ولكنها عدالة الله، فالله هو العدل المطلق، أليس اسمه ـ سبحانه ـ هو العدل!

هذه الدمدمات التي تحدث في منطقتنا وفي العالم، ليست [illegible] ما تحفل به من مآس وقسوة ـ إشارات غامضة ولكنها واضحة تبهر البصر. وقد عجز القائمون على العدل وعلى البشرية [illegible] كفة الميزان، لانهم هم الذين في



● نحن قد نكون قريبين جداً من يوم الساعة الأرضي الذي سيعيد تنظيم العدالة

● شفافيتي تكاد أن تحس ما يختلج في ورقة النبات كلما طوحت بها الريح

القلب يجعلون كفة الظلم هي التي (تطب) فربما إزاحتهم هم وحدها كفيلة بإقرار العدل ، وربما هذه الاشارات الربانية كفيلة وحدها بأن تلقي الرعب في قلوبهم ، فيعملوا على اعتدال الميزان ، وإلا لحقهم الطوفان .

حسن تماماً ـ نحن قد نكون قريبين جداً من يوم الساعة ، يوم الساعة الأرضي ، وإذا كان يوم الساعة السماوي هو الذي سيجلب الحساب المطلق فيوم الساعة الأرضي هو الذي سيعيد تنظيم العدالة ، أو تنظيم الظلم ، بحيث يحتمل شيء في الحياة قليلاً أو كثيراً إلى أن تحين لحظة الحساب الأكبر .

● ●

شغلتني وشغلتكم أحداث عالمنا الخاص والعام طوال الشهور الماضية ، ولا أكتمكم سراً ـ والغريب أني مع قراء الدوحة أجد نفسي وكأني أتحدث إلى نفسي ، صريحاً غاية ما تكون الصراحة ، أتحدث هكذا وكأني أتحدث ، ليس إلى ذاتي فأحياناً أخدع ذاتي ، وإنما إلى صديق عارف حكيم متأكد أني حتى لو اعترفت له بكل ذنوبي وأخطائي فإنه لن يستنكر وأبداً لن يلوم ، بل ربما يعذر ويغفر ـ لا أكتمكم سراً ، فقد كانت تلك الفترة ، فترة تجربة روحية خطيرة ، خضتها جسداً وروحاً ، وصهرتني ، وأدمجتني جسداً وروحاً ، حتى صرت كلاً عقلياً نفسياً جسدياً ، أحداً يكاد يكون مصنوعاً من صدق خالص .

ليس معنى هذا أني تحولت إلى ولي من أولياء الله ، ولكن ، ما أستطيع البوح به ، فليس كل ما حدث أستطيع له بوحاً ، أن أقول أني قد أصبحت أقرب ما أكون إلى الإنسان الذي حلمت يوماً أن أكونه ، ذلك الذي يضمر إحساسه بأحاسيسه بمداركه بفراسته بقدراته وحواسه السادسة والثامنة والعاشرة ، كلها أخاف منها لأنها ما إن شيء تحس به إلا ويكون الحقيقة ، ولا تسبر غور إنسان إلا وتصل إلى أعماقه ـ باختصار انتقلت إلى برج آخر ، ليس معلقاً في السموات العلى وإنما ضارب باطنابه إلى باطن الأرض وإنسان الأرض ونبات الأرض وحيوانات الأرض ، شفافيتي تكاد تحس ما يختلج في ورقة النبات كلما طوحت بها الريح ، أو زقزقة العصفور إذا زقزق لون وليف ..

● ●

أعزائي قراء الدوحة ..

بدلاً من أن أرسل بخطاب خاص إلى كل من استفسر وسأل ، أو كتمها في نفسه ولم يسأل ، هأنذا أرسلها كلمة ، قد تصيب ، وقد يقرؤها قارىء يظن بي الظنون ، ولكن حسبي أن تصل إلى قارىء واحد ، فمعنى هذا أني بلغت ، واللهم فاشهد .

● ●

أعزائي ...

تعودتم في هذه الشهريات أن أتناول موضوعاً واحداً أو عدة موضوعات تتوخى فائدتكم التي هي ديدني من الكتابة في المجلة الثقافية الأولى في عالمنا العربي ..

هل تعتبرون أن هذه الرسالة موضوعاً ؟

هل تظنون أن له فائدة ؟

أنا شخصياً أعتقد كذلك ، وأعتقد لو أنه لم يكن له من فائدة إلا أنه مكن نفسي أن يخط سطراً واحداً بأكمله ، ولكنها فائدة قد تستعصي على بحثكم ، بل قد تستعصي على أنا نفسي ، لو لم تؤمن إيماناً كاملاً بي ، وإن كنت لم أذكر كل ما أريد قوله ، وإن كنت لم أنكم موضوعاً واحداً ذا فائدة محددة فإنني على الأقل أحدثكم عن واحد من أودية المناطق الغامضة في النفس البشرية التي ما اجهلنا بها ، ما كان أسهل على أن أتناول موضوعاً عاماً أو حادثاً ما ، حادثة أو قصة أو ذكرى ، وأوغل لكم في وصفها وذكرها والحديث عنها ... ولكني آثرت أن أحدثكم حديث الموضوع اللاموضوع ، واللاموضوع الموضوع ، ذلك الحديث الذي لن يحرك بعض عقولكم ولكني متأكد أنه سيحرك مناطق من وجداناتكم ووجداني أيضاً ، قبل أن تتحرك .

فإذا لم يفعل فاعذروني

وإن فعل ، فلن تتصوروا أبداً مقدار ما سيحدثه من تفتح الوجدان ، وجداني ووجداناتكم .

وما أكثر ما نتحدث الحديث المعقول الذي نفهمه ! ويدخل من هنا ويخرج من هناك .

وما أقل ما نتحدث ذلك الحديث ، الذي يدخل من هنا ولا يخرج أبداً ، يستكن في النفس ، استقرار البذرة ، التي حتماً ولا بد ، ستنتج نبتاً ، له سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة .

ليس لأنه عمل صالح فقط .

ولكن لأنه عمل صالح يغرس في تربة صالحة .

وما أروع الخصب الذي تحفل به أرضنا الصالحة الداخلية .

كل ما في الأمر أنها كانت تنتظر بذرة متواضعة صالحة .

وآمل أن تكون كلمتي تلك النبتة .

وإلى اللقاء .

د. يوسف إدريس

تحقيق : نادية رزق   تصوير : عثمان الصلحي

الطفل القطري
ومكانه في المجتمع

- من مجتمع الصحراء وصيد اللؤلؤ إلى مجتمع يعتمد في اقتصاده على البترول وصناعة البتروكيماويات
- فرصة السفر إلى الخارج تتيح الإطلاع والخبرات الجديدة
- الإحساس بالعمل الجماعي ينمي القدرات الذاتية لدى الأطفال ويغرس فيهم الحماس

تتأثر شخصية الطفل في قطر بعدة متغيرات مثل التحول من مجتمع الصحراء وصيد اللؤلؤ الى مجتمع يعتمد في اقتصاده على انتاج البترول وصناعة البتروكيماويات ، وما صاحب ذلك من ارتفاع في الحياة ونوعية استخدام نتائج التقدم العلمي الذي اجتاح العالم في هذا القرن ، ثم التطور الذي حدث في النظم التعليمية ووسائل الاعلام من تليفزيون واذاعة وصحافة ..

كل هذه المتغيرات تلقي بتأثيرها على الاطفال بصورة مباشرة وبنتائج بعيدة المدى عميقة الاثر !

وذلك فضلا عن وجود وافدين للعمل بكل أوجه الحياة ، يحملون معهم حضارة مختلفة ولغة مختلفة واسلوب تنشئة مختلفا !

وبالطبع لن ننسى تلك المؤسسات التي تشترك في تربية الطفل القطري اجتماعيا مثل دور الحضانة ورياض الاطفال ، والمدارس ، والمكتبات ، والمعاهد وغيرها ..

كما ان فرصة السفر الى الخارج والاطلاع والاختلاط بثقافات جديدة ، متاحة بصورة كبيرة للطفل القطري ..

المتغيرات الاجتماعية

وكل تلك الخصائص وغيرها لابد ان تؤثر في شخصية الطفل ، خاصة وان هناك متغيرات اجتماعية واقتصادية حدثت في سنوات قليلة .. فمثلا الأب والأم اللذان تربيا في بيئة تتصف بخلفيات [illegible] مسئولية تربيتها [illegible] مثل هؤلاء [illegible] تختلف في تكوينها عن اسرة اليوم ، اما الطفل اليوم فيتدخل في اسرة تشترك في تربيتهما عدة مصادر متعددة ..

وعندما اردت التعرف على دور المدرسة كمؤسسة اجتماعية تهتم بالطفل وتنشئته بصورة سليمة في مرحلة الطفولة الاولى ، ذهبت الى واحدة من تلك المدارس وهي مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية بالمنتزه ، وهناك التقيت بوكيل المدرسة عبد الرحمن عبد الله الذي قال لي ان خبراء التربية يعتبرون اهم فترة في حياة الطفل تبدأ من سن السادسة ، فبداية من هذا السن يستطيع الطفل اكتساب مهارات للالعاب العادية ، ويتدرب بصورة تلقائية على كيفية التصرف مع زملائه في الفصل ، وهذا بخلاف تنمية مهاراته الاساسية للقراءة والكتابة والحساب ، وشعوره بالاستقلال الذاتي .

الهوايات العلمية

واثناء رؤيتي للنشاطات المختلفة في مدرسة عثمان بن عفان وجدت ان مشرفيها يحاولون باستمرار تقريب وجهات النظر بين الاطفال ، باتاحة الفرصة لكل منهم حتى يبرز مواهبه ويعبر عن نفسه من خلال ما يحبه ، فمثلا كونت المدرسة جماعات وأسرا ينتمي لها الطالب حسب هواياته وميوله ، فهناك الطالب الذي يهوى العلوم ولديه موهبة اختراع الاشياء البسيطة ، مثل هذا الطالب يستطيع الاندماج في اسرة العلوم لتنمية موهبته ..

وقد رأيت في اسرة العلوم نماذج لبعض الطائرات والمراكب التي صنعها الطلاب بأنفسهم تحت اشراف المدرسين ..

اما الطالب الذي يميل الى التمثيل والغناء فيستطيع الانضمام الى جماعة التمثيل او فريق الموسيقى ، وقد قام فريق التمثيل بنفس المدرسة بعرض مسرحية « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء » على مسرح نجمة خلال المهرجان المسرحي للمدارس في هذا العام ..

وتعتبر جماعة الزراعة من الجماعات الجديدة التكوين بالمدارس الابتدائية ، وفيها ينضم الاطفال الراغبون في القيام بالاعمال الزراعية ابتداء من غرس البذرة وحتى تنمو الزهور او الاشجار ،

والاشياء العملية دائما تلفت نظر

تنمية الميول الفنية

المسابقة الثقافية



الاطفال ، ولذلك تبنى مدير المدرسة على فرج الانصاري إقامة متحف علمي مبسط ، يحتوي على بعض الحيوانات والطيور والزواحف والاسماك التي تعيش في البيئة ، والتي يحضرها الطلبة بأنفسهم خلال رحلاتهم او معسكرات الكشافة التي يقيمونها ، وبمساعدة المشرف يقومون بتحنيطها وحفظها

معارض دولية

وهكذا نرى ان الطفل القطري في المدرسة الابتدائية يزداد إحساسه بالأشياء وتتضح قدراته من خلال الانشطة التي يمارسها :

كما ان قدرة الطفل على التعلم تختلف من المدرسة عن البيت ، فمستويات الرفاق في اللعب والمشي والكلام والملبس شيء جديد عليه ، كما ان التنافس يزيد من حماسهم للعمل وتحصيل الدروس ، ولذلك نرى الاطفال يرتبطون بمعايير جديدة ويتبعونها بكل دقة مثل مواعيد الدروس ، واحكام بعض اللعبات !

ويهتم كثير من الأطفال القطريين بهواية الرسم والتربية الفنية يشجعهم على ذلك توفير المدرسة للادوات من ورق والوان وخلافه ..

التربية الرياضية

قراءة دورية في تكوين شخصية الطفل



ودولة قطر تشترك في المعرض السنوي الذي يقام بالبيان والخاص برسوم الاطفال عن طريق مدارسها . وعادة ما يحصل طلاب المدارس القطرية على ميداليات ذهبية وفضية من هذا المعرض .

ماذا يقرأ الطفل ؟

واطفال المدارس الابتدائية الصغار يهوون قراءة القصص المصورة . اما الاطفال الكبار، بداية من الصف الرابع ، فيحبون القصص والمجلات وروايات المغامرات والبطولة التي تبهرهم !

وسن الطفولة يعد فترة نمو عقلي ، وهو سن يتميز بالمزيد من الرغبة في المعرفة وحب الاستطلاع والاستفسارات ولذلك يوجد بكل مدرسة مكتبة خاصة للاطفال ، يمكنهم الاستعارة اليومية منها خارج المدرسة

إلا انه ينبغي ان يهتم القائمون بشئون التربية والتعليم بدولة قطر باعداد كتب التراث بطريقة مبسطة يستوعبها الاطفال، واصدار مجلة خاصة بهم تعبر عن البيئة القطرية نظرا لان ما يقرءونه حاليا لا يخرج عن كونه مواد مقتبسة لا تتفق مع احتياجاتهم وتقاليدنا .

ويقترح عيسى هزاع وكيل مدرسة طارق ابن زياد ، ان تتولى وزارة التربية والتعليم هذا المشروع بعد تحديد الاسس التربوية والنفسية والاجتماعية ، ووضع تصور لما يجب أن يقرؤه شباب المستقبل .

ولا يجب إغفال ضرورة إنتاج مواد وبرامج اذاعية وتليفزيونية خاصة بالاطفال لان ما يقرؤه الاطفال الآن اغلبه مترجم ... ويمكن في هذه الناحية الاستعانة بخبرة الجهات المتخصصة [illegible]

إن فكرة بناء الشخصية وتنموها السوية ما تكون بالطريقة التي نقيم بها حائطا من الطوب حيث توضع طوبة طوبة ويسير البناء من اسفل الى اعلى ، بحيث ترتبط قمة البناء بأساسه ، وهذا ما لاحظته وزارة التربية والتعليم بدولة قطر ، وعلى اساسه وضعت المناهج التي تنمي عقل الطفل بالتدريج .

وهذه المناهج تعتمد على الاسس العلمية لاحدث ما وصلت اليه تربية الاطفال في العالم . ... فهم يتبعون القول القائل : الطفل ابو الرجل ، بمعنى ان الاسلوب الذي سيوضع في الطفولة هو الذي يحدد ما سيكون عليه الفرد عندما يكبر ويصبح رجلا يساهم بدوره في المجتمع ... ولذلك يتبعون اسلوب التربية القائم على اساس من الحب ، لينمو ضمير الاطفال ، بدون الجموح نحو العصيان والطغيان والمبالغة في المطالب ! .

القدرات الذاتية

والاحساس بالعمل الجماعي ينمي القدرات الذاتية لدى الاطفال ، ويجعلهم يشاركون فيما يطلب منهم بحماس ولذلك اقامت مدرسة طارق بن زياد معسكرا للعمل خلال بعض ايام الجمع ، اشترك فيه اكثر من خمسين طفلا ، — و قام الاطفال بتنظيف المدرسة ، وتشجير السور المحيط بها ، وزراعة الزهور في الحديقة ، وكتابة اللوحات وتعليقها

وبالمدرسة جماعات متعددة يستطيع الطالب من خلالها ان يمارس هواياته ، فهناك طلاب يتولون الاشراف وادارة المقصف ، وجماعة تتولى الصحة المدرسية بعد تدريبهم على بعض الاسعافات الاولية ، وآخرون ينتظمون بالفرق الرياضية والتدريبات التي



الألعاب الذهنية

نظافة المدارس في عرض مسرحي

تساعد على التنمية السليمة للاجسام والعقول .

الطفل والدين

والاقبال على الجماعة الدينية في المدرسة لايقل عن أي جماعة اخرى ، فالشعور الديني حسب قول المربين يبدأ مع الاطفال عند التمييز بين الصواب والخطأ ، وبين الردىء والحسن ، بعد سن الرابعة . اما قبل ذلك فالطفل غير قادر على فهم الاراء الدينية . وابتداء من سن الرابعة يبدأ الاطفال في توجيه بعض الاسئلة مثل من الذى صنع امى ؟ من الذى خلق الاشجار ؟!

وفكرة الطفل عن الدين فكرة محسوسة وملموسة . وينطبق هذا على ادائهم للصلاة . ويتخذها الطفل اولا وسيلة للحصول على بعض مطالبه ، ولكن بتقدم الطفل في العمر ، يدرك ان دعواته لا تجاب كلها ، ولابد ان يؤمن بقيمة العمل حتى تجاب مطالبه ، لان الدين يطالبنا بالعمل .

صحة التلاميذ

ولا يغفل القائمون بشئون التربية والتعليم بدولة قطر اهمية الدور الاجتماعي في حياة الاطفال ، ويرى نبيل عبيد الاخصائي الاجتماعي ان الاطفال في كثير من الاحيان لا يجدون من يصغى اليهم سواء في المنزل او المدرسة ، ولذلك يلعب الاخصائي الاجتماعي دورا كبيرا في توجيه مثل هؤلاء الاطفال ومعرفة ما يضايقهم . اما الاطفال المتخلفون في دراستهم فلهم دراسة خاصة تتناسب مع ذكائهم ومعرفتهم ، ويتم ذلك بالتنسيق مع الصحة المدرسية التي تتبع التربية والتعليم مثل اكثر الدول تقدما من الناحية التربوية وارتباطا من الناحية الصحية ، يختلف الطفل القطرى عن غيره من اطفال العالم من حيث تعرضه لبعض الامراض العادية مثل النزلات واللوز والحصبة والغدة النكفية .

والرعاية الصحية كما يقول د . عثمان السعيد مدير الصحة المدرسية تشمل الصحة الجسدية والنفسية على السواء ، حيث تحولت هذه الخدمة من رعاية فقط للتلاميذ الى برنامج صحى متكامل يستهدف رفع مستواهم الصحى مع التركيز على النواحي الوقائية والتربوية .

ومع تطور الفكر الصحى لوحظ ان نسبة من تلاميذ المدارس ـ تختلف من مكان لاخر ـ تعانى من بعض المشاكل التى تعوقها عن التحصيل الدراسى الكامل مثل ضعف السمع وضعف البصر ... ولو توفرت لهؤلاء رعاية صحية وتربوية مناسبة لامكن زيادة قدراتهم على التحصيل ، او تاهيلهم لاعمال تتفق وقدراتهم الصحية .

ويوضح د . عثمان السعيد ان هناك ارتباطا بين الصحة المدرسية والتربية الاجتماعية بالمدارس ، فكلاهما يقوم باجراء الدراسات المشتركة للتعرف على الظروف الاجتماعية والنفسية للمجتمع المدرسي .

أسلوب نموذجي

اما التخلف الدراسي ، فمتابعته تتم بصورة منتظمة فمثلا الطفل الذى يرسب اكثر من سنتين ، يحول الى عيادة توجيه الصغار والبالغين التابعة للصحة المدرسية ، ويجرى له فحص اكلينيكي ونفسي واختبار ذكاء وبحث اجتماعي ، للتعرف على الاسباب التى تعوقه عن التحصيل الدراسي .

وللتغلب على هذه العقبات يوجه النصح لاسرة التلميذ ، وللمدرس او المدرسة بالطرق الكفيلة للتغلب على هذه الظاهرة ، كما تتم متابعة كل حالة عن طريق البطاقة الصحية والفحص الشامل كل ثلاث سنوات ، اى اربع مرات في عمر التلميذ الدراسي حتى نهاية التعليم الثانوى .

وبذلك تقدم الخدمة الصحية للاطفال على خير وجه .

وليس ادل على ذلك من تقرير خبيرى اليونيسيف د . مارسيل أوثريت و د . سمير ميلادى اللذين زارا الدوحة خلال عام ١٩٧٩ ، وقالا فيه :

« إن الخدمة الصحية للتلاميذ بدولة قطر تعتبر نموذجا لما يجب ان تكون عليه الخدمات الصحية المدرسية ، ونأمل الخبيران دول المنطقة نهج نفس الاسلوب الذى اتبعته دولة قطر للنهوض بخدماتها الصحية » .

ومن كل ذلك نرى ان الاهتمام بدراسة الاطفال وخبراتهم وسلوكهم والمحافظة على اجسامهم سليمة ، اصبحت مسالة حيوية في نظم التعليم في دولة قطر ، واصبحت تجند من اجلها كافة الامكانيات . فالقائمون على التعليم في قطر يؤمنون باهمية العناية بالبراعم الصغيرة التى ستصبح رجال وامهات الغد .

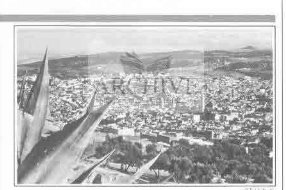
نادية رزق

جمال الغيطاني

رحلتي المغربية

فاس القديمة

هذا الحنين الغامض إلى زمن مضى!



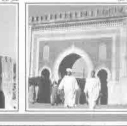
منظر عام لمدينة فاس

. . . يرتبط المغرب بما هو غير عادي ، قد يكون الغموض ، ربما منبعث ذلك في نفسي ، هذا الرجل الذي كان يطوف حواري الجمالية ، او قرى الصعيد الجنوبية ، مرتديا الجلباب المغربي ذا غطاء الرأس المثلث ، ويمسك بحقيبة تتضمن السحر والاسرار ، كان ينادي «افتح الكتاب» ، واذ يستدعيه احد ، يجلس متمتما ، ثم يحاول النفاذ عبر المجهول الى المستقبل ، واحيانا كان يعد الاحجبة المثلثة او المستديرة ، تلك التي تعالج الاوجاع او تقي من الالام ، ربما لان المغرب كان يمثل في الزمن السحيق حدود العالم القديم ، حيث تلامس شواطئه مياه البحر المحيط الذي لم تكن تبدو له ضفة ولا يدري احد المجهول الذي يخفيه الافق ، وكثيرا ما كان الخيال يجنح الى المغرب العربي .

ومع حلول نهاية عام ١٩٧٦ ، كانت الطائرة المغربية تتوقف في مطار الدار البيضاء .

كانت المناسبة هي انعقاد مؤتمر الرواية العربية الحديثة في المغرب الذي نظمه اتحاد كتاب المغرب .

اخترنا صالات مطار الدار البيضاء الصغيرة التي تخللتها الاجراءات المعتادة ، كل في انتظار اسمار







في المدينة القديمة

الزي التقليدي

مغربيان تطوعا لنقلنا من الدار البيضاء الى مدينة فاس التي تبعد حوالي اربعمائة كيلو متر عن الدار البيضاء.

ملامح المكان

توالى الطريق سريعاً، وعبرنا مدينة الرباط (سنعود اليها فيما بعد)، وكانت الخضرة كثيفة، وبدا لي كأن الوجود في المغرب يعرض نفسه من خلال لونين: الأبيض والأخضر، الأبيض الشاهق الناصع، يحتوي البيوت، الحديث منها والقديم، البيوت متعددة الطوابق، وذات الطابق الواحد، والخضرة كاطار، ولكن هذه الخضرة تكتسب بعداً أعمق عندما بدأت السيارة تتجه لعبور جبال أطلس الوسطى.

كنا نبعد عن شاطىء المحيط، متجه الى الوسط.

في الطريق توقفنا دقائق احتسينا أكواب الشاي الأخضر المحلي بالنعناع.

المثقفون والتراث

نعود الى الطريق، ونمر بمدينة مكناس، تبدو لنا أسوارها القديمة والضباب الشتوي يضفي عليها لون الحلم المستمر، وندخل الى مدينة فاس، في الفندق وعند المدخل، التقيت بالصديق الروائي العربي عبد الرحمن منيف، كان قد وصل للتو، وكان قد مضى ثلاث سنوات كاملة منذ ان رأيته آخر مرة، وكان ذلك في بغداد، وسوف يتحدث منيف عن تجربته الروائية في الندوة، وسيكون من أصدق المتحدثين، تبدو ملامح منيف الجادة، وكأنه على وشك ان يتحدث بصوت مرتفع، ولكنه يظل صامتاً، وعندما يتحدث يكون واضحاً، قليل الكلمات، ويبدو من انفعالاته ذلك اللهب الذي يضطرم في أعماقه.

كانت الندوة بلا مبالغة من أهم الندوات الأدبية التي عقدت في العالم العربي، بل أتجاوز ذلك فأقول، والعالم الثالث أيضاً، إذ لأول مرة يجلس عدد من الروائيين المبدعين مع مجموعة من النقاد والدارسين، ويتناقشون في الموضوعات المتعلقة بالرواية الحديثة في العالم العربي، كانت الندوة رفيعة المستوى، ومن خلالها أمكن لي ملاحظة بعض العناصر الأساسية المكونة للمثقفين المغاربة خاصة الجيل الجديد إن قربهم من أوربا، خاصة فرنسا جعلتهم متتبعين لأهم التيارات الأدبية وأحدثها، ولكن هذا لم يكن سبباً في انفصالهم عن تراثهم العربي، بالعكس، فهم لم تبدو الصلة به، ولا ينظرون اليه بتقديس أعمى، أو تعالي مترفع، واعتقد ان مسار الثقافة في المغرب العربي سيشهد تطورات هامة في المستقبل، خاصة في مجال تلاقي الثقافتين العربية والأوربية، وولادة مزيج منهما.

الكلمة لا تموت

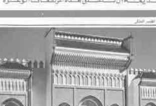
كان من أهم الآثار العميقة التي تركتها الندوة في نفسي، هو ان الابداع الحقيقي لا يهن، ولا يمكن أن يطفئه القدر.

كانت أهم الأعمال التي نوقشت في الندوة، والتي كانت مكان اهتمام



كان من الصعب على القوات المهاجمة في العصور القديمة أن تتسلق هذه المرتفعات الوعرة

أبواب القصر الملكي



الباحثين، أعمال لا توجد على خريطة الأدب الرسمي في البلدان أو الأقطار التي ينتمي إليها كتاب تلك الأعمال نظرا لبعض الظروف الخاصة أما ما رفع معنوياتي إلى حد الذري هو أنه مامن كلمة صادقة تموت أو تبهت في عالمنا العربي الفسيح، وأن المبدعين الذين يكتبون بحس الاستشهاد ويقدمون فنا جيدا يجب ألا يحزنوا لأن هناك ثقافة عظيمة وعميقة تحتوي أعمالهم، إنها ثقافتنا العربية.

فاس القديمة

في كل مدن المغرب قسمان رئيسيان، الأول يضم المدينة القديمة تقبع داخل الأسوار، أو في الحدود التي لم تتخطها مع الزمن، وعلى مسافة قد تطول أو تقصر حتى التلاشي تقوم المدينة الجديدة. هكذا تغلبت المغرب على المشكلة التي تبرز في كثير من البلاد العربية وهي غلبة الطابع الحديث على المناطق القديمة والأثرية. هكذا الأمر في فاس الجديدة، حيث الفنادق المكيفة والمباني الشاهقة، والمقاهي ذات الطابع الباريسي، ثم تنتقل إلى حي «الملاح». وفي كل مدينة مغربية يوجد أيضا «ملاح» وهي المنطقة السكنية الخاصة باليهود.

باتجاه «فاس» القديمة تصل إلى بوابة «أبو الجلود» وتشبه معظم بوابات المغرب، والبوابات الأندلسية، حيث الأعمدة تسند مقطعا دائريا يشبه الخطوط الخارجية لثمرة البصل، الباب كبير مرصع بنقوش دقيقة، إنه مدخلنا إلى قلب مدينة «فاس» والمدينة سبعة أبواب رقم سبعة السحري ذو الدلالة والمعنى هناك باب الحديد، وباب المحروق، وباب الفتوح، وباب الحمرا، وعلى عكس معظم المدن التي رأيتها، فإن فاس عند اختيار موقعها لم تبن فوق مرتفع أو فوق جبل، وذلك تفاديا للحصار أو الفيضان، بل شيدها في وادٍ منخفض تحيط به قطعات جبلية صخرية.

فاس الجديدة

وقفت أول مرة ... فاس القديمة أو «فاس البالية» كما يطلقون عليها في المغرب، كانت معالم المدينة ... والبيوت الصغيرة البيضاء ذات النوافذ الخضراء، بينما يحيط المدينة إطار جميل من الخضرة التي تكسو الجبال ذاتها. لقد كان من الصعب على القوات المهاجمة في العصور القديمة أن تتسلق هذه المرتفعات الوعرة. وبالتالي فإن المدينة تقبع في هذا السهل آمنة يحيطها السور الحجري، بينما روعي في تصميمها الداخلي اعتبارات حربية أيضا. فالشوارع ضيقة إلى حد أنها في بعض المواضع لا تتسع لأكثر من مرور شخص واحد، وأحيانا كانت المسافة لا تكفي لفتح مظلة متوسطة الحجم للوقاية من المطر، وكثيرا ما يكون مدخل الحارة محدودا بارتفاع معين حتى يجبر الداخل على الانحناء، وهذا تجده متبعا لغرض آخر حول مقام سيدي ادريس الثاني، حيث تمتد عوارض خشبية لتضع حدا من الارتفاع لا يسمح لرجل متوسط القامة بالمرور إلى منطقة الضريح، بدون أن يحني رأسه، وروعي كل الداخلين احتراما. لا ترى منشآت فاس القديمة من مسافة بعيدة أو متوسطة، فجأة تجد نفسك في داخل ضريح ادريس الثاني، أو في جامع القرويين، المسافات ضيقة، والجدران متقاربة، والحركة داخل المدينة منذ اجتياز بوابة أبو الجلود تشبه الحركة داخل بيت كبير، تتحقق هنا الوحدة المكانية نتيجة التكدس والتجاور، ولكنه ليس تكدسا خانقا، يمكن أن أقول إنه حميمي، جزء من طبيعة المكان.

إن المدينة تستدرجك إليها على مهل، وفي بطء من خلال طريقين رئيسيين «الطلعة الكبرى» و«الطلعة الصغرى» سلكنا الطلعة الكبرى، وبالطبع عند الدخول تصبح منحدرا متجها إلى القلب، وعلى الجانبين تتوالى الأسواق، نفس التكوين الخاص بالأسواق العربية في جميع المدن التي زرتها، لكل سلعة قسم خاص، ولكل حرفة مساحة معينة تحتلها، وتتفرع الحارات الضيقة، تبدو أبواب البيوت متواضعة المظهر، أعلاها شبه دائري، ويبدو واضحا أن الباب الرئيسي لا يؤدي إلى المدخل مباشرة إنما لابد من اجتياز باب آخر يشكل مع الباب الرئيسي زاوية قائمة، وذلك لحجب الفناء الداخلي عن المارة لحظة فتح الباب الرئيسي.

الرقص المغربي مزيج من الرقص العربي والأفريقي

الموشحات الاندلسية

انتي اصف دور الطبقة المتوسطة ، اما القصور الصغيرة او الكبيرة فلها شان اخر ، ان الدار المغربية تعزل المقيم فيها عن ضجيج العالم وصخبه ، حيث الهدوء لا زال كما هو ، بالضبط كما كان الامر في العصور الخوالي . وفي الطابق الارضي غرفة الاستقبال ، وحول الجدران تصطف ارائك بدون مساند خشبية (كنب) انما توضع حشايا لإراحة الظهر ، وعند تناول الطعام توضع مناضد منخفضة دائرية توضع فوقها مفارش بعدد اصناف الطعام التي ستقدم الى الضيوف ، وعادة تقدم « البسطيلة » في البداية وهي فطيرة مغربية لها طعم خاص ، وتجمع بين النقيضين السكر والملح داخل الفطيرة يحشى عادة باللحوم او الدجاج ، وسطحها يغطى بالسكر ، ثم يزال الطبق الاول بقايا الطعام ، ثم يجيء الدجاج المطهو بزيت الزيتون ويليه اللحم الذي تتوسطه الفواكه حلوة الطعم ، اما الكسكس فهو الطبق المغربي المميز ، ويوضع فوقه الخضروات المطهوة واللحوم ، وذلك بعكس الكسكس العربي الذي يؤكل بالسكر واللبن ، وهناك صنف اخر من الطعام اسمه « الحريرة » او الشوربة المغربية ، يصنع من الدقيق ، واللبن .

وتشهد البيوت المغربية حفلات فنية خاصة في المناسبات ، وتحي هذه الحفلات فرق فنية تؤدي الموشحات الاندلسية ، او « الملحون » وهو شكل من اشكال القصائد الشعبية على الحان بسيطة تؤديها فرقة موسيقية مكونة من اربعة او خمسة افراد ، وعندما تأخذ النشوة بأفئدة الرجال يقومون للرقص على انغام الدف ، والرقص المغربي مزيج من الرقص العربي والافريقي ، خلو تماما من التخنث ، فيه رجولة ، واصداء داخلية وحشية .

تبدو الدار المغربية [illegible] . لا يسمح لعوامل الضجيج والحر

صالة الشاي

باب الدروج

الخارجي بالتسرب الى الداخل ، صحن بيت مغربي تطل الى جدرانه بيده المرصعة بالنقوش الجصية والخشبية . [illegible] القول [illegible] [illegible] انها تحرك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

عاصمة الصناعة

نعود الى طرقات فاس المتشابكة ، ونمر بالدكاكين الصغيرة ، التي لا تتسع احيانا إلا لصاحبها الذي يطل على المارة والزبائن من طاقة ضيقة ، ان الاسواق لا تتجاور هنا فقط ، وانما تتضمن الورش التي تصنع فيها الحرف . معظم المتاجر هي ايضا عبارة عن ورش . تعتبر فاس عاصمة الصناعة التقليدية منذ العصور الاولى ، وقد وصف « الحسن الوزان » في القرن العاشر مصانعها ، ولاحظ ان الضفة اليمنى لوادي فاس كانت تضم مصانع التغذية والملابس والبناء ، بينما كانت صناعة الجلود والمعادن تعالج خارج عدوة الاندلس . لقد اعطى مختلف الرحالة وصفا شاملا عن صناعات فاس في عصور مختلفة ، كانت الصناعة الفاسية الكبرى تتمركز حول قنوات سقية مصمودة ووادي فاس غرب المدينة وجنوب غربها ، وكان بها

٥٢٠ معملا للنسيج ، و ٣٦٠ طاحونة ، وفي عام ١٩٠٤ كان قد تبقى منها ١٦٠ ، وذكر الجزائري في « زهرة الآس ص ٣٣ » ان في زمن المنصور محمد الناصر كان عدد الاطرزة بفاس ٣٠٩٤ ، ودور الصابون ٤٧ ، ودور الدباغة ٨٦ ، والصباغة ١٦٦ ، وتسكيك الحديد والنحاس ١٢ ، والزجاج ١١ ، وافران الخبز ١١٣ .

وقال المراكشي في « المعجب » .. ما اظن في الدنيا كمدينة فاس اكثر مرافق واوسع معايش واخصب جهات ، وذلك انها مدينة يخترقها الماء .. لقد كان هذا الازدهار ، نتيجة لتفاعل عناصر عديدة في فاس ، خاصة ازدواج الحضارتين الاندلسية ، والمغربية ، فقد هاجرت ثمانية آلاف عائلة من قرطبة الى فاس ، في الوقت الذي وجدت فيه قبل ذلك جالية قيروانية سبقتها الى المدينة ، كان العرب يعملون ويتاجرون ، وكان الاندلسيون يشتغلون بالفلاحة ، التقى في فاس علم قرطبة ، وعلم القيروان ، وصبا في رافد الثقافة المغربية ، ولا تزال فاس تنقسم الى قسمين ، عدوة الاندلسيين ، وعدوة القرويين ، والمدينة التي نتجول فيها الان ، اسست في زمن ادريس الاكبر سنة ٧٢ هـ (٧٨٨ م) ، فوق احد المواضع هنا ، صعد المنبر ، بعد ان تم بناء المدينة والمسجد ، ودعا قائلا « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ، ولا مفاخرة ، ولا رياء ، ولا سمعة ولا مكابرة .. » اتسعت فاس في ايام بني مدين ، لتخذها امير المسلمين ابو يوسف على مقرا لملكه في ٦٧٤ هـ (١٢٢٣ م) ، وبنى امتدادا لها يعد مدينة قائمة بذاتها ، كانت فاس مباركة لا يموت فيها خليفة ، ولا يخرج منها جيش قط إلا وعاد منتصرا ، ولم يعقد بها لواء إلا انتصر هكذا يقول المؤرخون ..

جامع القرويين

ونتنقل من درب الى اخر حتى نجد انفسنا في قلب جامع القرويين اهم معالم المدينة ، واحد مراكز الاشعاع الحضاري في العالم خلال القرون الوسطى .

لأن المدينة ضيقة ، لا توجد فيها ساحات فسيحة ، او ميادين متسعة ، لهذا لا يمكن رؤية جامع القرويين بشكل مكتمل الا من خلال صحنه الداخلي ، او

رحلتي المغربية
فاس القديمة

من فوق الجبل المحيط بفاس، فجاة نجد انفسنا امام أسوارها، ونعبر رخامة بيضاء تصل بين ضفتي الطريق، لم يكن يعبر فوقها إلا الظلمة، عند خروجهم من الميضأة. وعند تجاوز الباب نجد قناة يتدفق فيها الماء بسرعة، والماء لا يتدفق هنا فقط، انما يسري في عروق فاس كلها، تجده في الطرقات الضيقة، وخلال الجدران، يسيل من ثقوب ضيقة. ويقال انه لا يوجد مثل هذا النظام إلا في غرناطة، وفي مدينة فاس، حيث يتم تدفق الماء في جميع اوصال المدينة طبقا لنظام دقيق. إن هذا التدفق المستمر يكسب المدينة حيوية خاصة، الى جانب حيوية الحركة، والزحام واستمرار الحياة. نحف بالصحن المكشوف للجامع زخارف اندلسية، ومصممات دقيقة، وخطوط مختلفة تعتبر متحفا حيا للخط العربي الجميل على فترات تاريخية متفاوتة، اقدم لوحة نجدها في القبة الرابعة، يرجع تاريخها الى اواسط القرن الثالث الهجري، اكتشفت مدفونة تحت الجبس، مكتوبة بالخط الكوفي العتيق، طولها اربعة مترات واربعة وسبعين سنتيمترا، نعرف منها ان فاطمة الفهرية التي تطوعت ببناء القرويين، وان الاساس حفر في اول رمضان ٢٤٥هـ، وانها لم تزل صائمة طوال مدة اعمال البناء، وان العمل كان يباشر بواسطة العاهل الادريسي يحيى الاول. لقد استغرقت اعمال البناء ثلاثة عشر سنة اذ انتهت في ٢٦٣هـ. في القرن السادس الهجري قام المرابطون باصلاحات هامة في القرويين، في الصحن المكشوف ساعتان شمسيتان، وساعة مائية، تعد الوحيدة من نوعها التي لاتزال متبقية في العالم، هناك قباب سبعة ذات ابهاء واسعة، في الصحن المغطى نجد ثلاثمائة وخمسة وستين عمودا رخاميا، أي بعدد ايام السنة، ونلاحظ شبها قويا بين هذا الصحن، والصحن الداخلي لمسجد الازهر بالقاهرة، ربما يرجع ذلك الى ان

خاصية مميزة لا يدركها العقل بسهولة

الازهر بنى في عهد الدولة الفاطمية بمصر التي جاءت جيوشها من المغرب، في الداخل نجد منبرا خشبيا نفيسا وصل إلينا من عصر المرابطين، طرز بآيات من القرآن الكريم بالصدف الثمين والعاج، ونلاحظ ان الخط المستخدم به كوفي واندلسي. لقد خصص للمنبر في الزمان القديم غشاءان، احدهما من الجلد، والثاني من الكتان، يزاحان عنه كل يوم جمعة، وذلك حفاظا عليه.

مدينة العلماء

ويضم جامع القرويين آثارا هامة من عصر الموحدين، ان توحيد ابواب داخل المسجد ... الجنائز ... الرخامة ... تعرف تحت اسم ابواب ... مصنوعة من الخشب، تحمل ... من الذهب والنحاس ... ويشرفها ... الى ...

لقد صنعت هذه الابواب في سنة ٥٧٨هـ، من عصر الموحدين ايضا نجد الثريا الكبرى التي صنعت بفاس سنة



٦٠٠هـ، واذا عدنا الى صحن المسجد فسنجد شباكا من الرخام الابيض يحتوى على مائة واربعة وعشرين خاتما، ويحتوى هذا الشباك تكوين بديع عرف باسم: خمسة الخبز، او الخمسة الحسناء، ويوجد تحتها خطوط منسقة تؤرخ تاريخ الصنع وتاريخ دخول الماء الى المسجد سنة ٥٩٩هـ، في الجامع نجد ستة نواقيس كبيرة غنمها المسلمون اثناء حروبهم في اسبانيا، احد هذه النواقيس يحمل عبارة بالاسبانية: على الروح الطيبة ان تشكر الله على ان انقذها من الضلال. ويتصل بالجامع خزانة ضخمة للكتب، تضم تراثا هائلا من المخطوطات النادرة، لقد درس هنا ابن طفيل، وابن رشد، وابن باجه وعدد آخر من المفكرين والعلماء المسلمين، بل ان كثيرا من الاوربيين جاءوا الى القرويين للدراسة، احدهم اصبح بابا روما في القرن السابع عشر. كانت القرويين احد ثلاثة مراكز في العالم الاسلامي، الى جانب الزيتونة في تونس، والازهر في القاهرة، يقف جامع القرويين بتراثه الموغل في القدم، وما يحتويه من آثار عريقة تمثل العديد من المدارس الفنية، يقف وسط صخب الحياة، مزروعا في قلب مدينة فاس ككائنه جزء مما يحيطه من بيوت، عبر رحلة مقدارها اكثر من الف سنة حتى وصل الى عصرنا، ومع ذلك فلا زال غضا، ويفيض بالحيوية، والثراء.

نخرج من جامع القرويين، نعود الى الازقة المثقلة بعبق تاريخي، نتوقف امام متجر مغلق محلى بزخارف غامضة، ونمضي في الطرقات قاصدين خارج المدينة صاعدين الطريق الذي انحدرنا منه عند النزول، ونودع مدينة عرفت كيف تقاوم البلى مع ان اسمها فاس البالية، وتحتفظ بحيويتها عبر مئات السنين، وهذا ما اكسبها خاصية مميزة، قد لا يستطيع العقل ادراكها بسهولة، ولكنها تترك في النفس هذا الحنين المبطن الغامض الى زمن مضى، ولن يعود.

جمال الغيطاني

العدد القادم

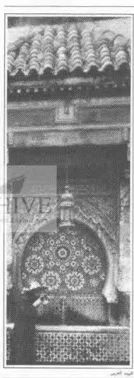
٢ ـ رحلتي المغربية: عندما اصبحت طنجة مهرا لأميرة.

الدوحة

في العدد القادم يكتب للدوحة
الكاتب الصحفي البريطاني المعروف
روبرت استيفنز

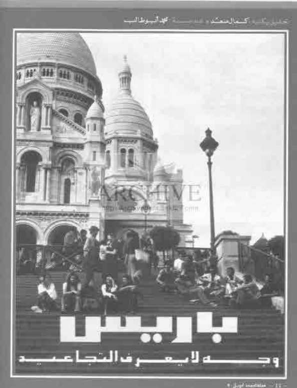
عن مشاهداته في وادي حضرموت

ويصاحبه في الرحلة المصور العالمي
جون بلمر



البيت العربي

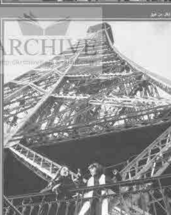
محمد أبو طالب



باريس

وجه لا يعرف التجاعيد

الشارع الفرنسي يكاد لا يهدأ من نشاط



برج إيفل من فوق

طرقات باريس مغسولة بمياه الأمطار .. وبيوتها القديمة وأبراجها ومتاحفها وأشجارها ولافتاتها مازالت رغم البرد القارس تبعث الدفء في القلوب .. والعطر الفرنسي برائحته النفاذة المحتومة .. وسجائر الجلواز بمذاقها الساخر .. وكلمات فولتير وراسين وفاليري وأبوليز وكامي وسارتر بما فيها من مواقف فلسفة لا تفصل الانسان عن عقله الحقيقي .. ومساحات الألوان والزمن في لوحات رينوار وجوجان وسيزان وكلود مونيه .. والانسان المحب للانتماء والحياة والعدالة والوضوح والذي يجدد ويتمسك في نفس الوقت بقديمه لأنه متعصب لحضارته التي تراكمت على مر العصور .. كل ذلك وغيره .. قد تشعر به - مثلي - عندما تسير على جسور نهر السين المتدرج ذي المياه الصافية الهادئة .. فمتعة الدنيا - في رأيي - هي أن تتأمل وجه مدينة لا تعرف مرارة زحف التجاعيد .. فهي تجدد شبابها بصفة مستمرة .. وتزخر بشتى أنواع المتع الذهنية والحسية التي تدفعك إلى التفكير والاعتراف بسلطان الجمال !

وصور باريس الأمس لا يمكن أن تقتلعها الأيام من ذهني .. فكلما رأيتها تراءى لي طه حسين ينهل من ينابيع حرية الفكر والتعبير ، ويستغرق باحثاً وراء كل ما يدعم المنهج العلمي .. وتراءى لي أيضاً توفيق الحكيم - زمان - بجسده النحيل وعينيه الواسعتين وأحلامه الزاهدة التي لا تتطلع إلى سلطان أو جاه غير سلطان الحق .. ورأيت نظرته الساذجة للمثال الشاعر الفريد دي موسيه .. وهو يستوحي عروس الشعر بينما نقش على قاعدته عبارة تقول : « لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم » .. وكيف كانت تلك العبارة تدفعه إلى تأمل وجه الشاعر بتساقط من عينيه قطرات المطر كالعبرات ، فيدفع ذلك قلبه إلى التحرك وفمه إلى السكوت !

المهزوم المنتصر

وتذكرني باريس دائما برفاعة رافع الطهطاوي الذي غاص في فكرها وواقعها أثناء رحلته الشهيرة في القرن التاسع عشر .. والتي عاد بعدها لينقل أروع ما



سياح من جميع انحاء العالم في مونمارتر

في ظل فرنسا والقرب إلى اللغة العربية .. وهي تذكرني ايضا بجمال الدين الافغاني عندما اصدر منها صحيفة « العروة الوثقى » بمساعدة رجل كفاحه الشيخ محمد عبده لتصبح حركة توقظ بلاد الرافدين .. وهي تفطي الام شاعر الشعب بيرم التونسي في منفاه ، وهو يبدي خوفه من أن يموت بعيدا عن وطنه في ملاجيء البلاد التي انجبت الشاعر العظيم « لا مرتين » :

يا باريس يلم بلاء بره
يا عربية لا ماردين
بعت لنا أم الدنيا
شاعر في الشعر متين
يعمل الفقراء لصعيدة
ولعاعة وفلاحين
إيه ما يموتش عنك
في بيوت المساكين

وفي باريس التخيل دائما وجهين لا يغيبان عن الاذهان مهما طال الزمن : جوليت ادم صاحبة المجلة الجديدة والام زعيمة نسائية فرنسية في منتصف القرن التاسع عشر ، وهي التي دفعها إيمانها بالحقوق الانسانية العادلة إلى الوقوف إلى جوار الزعيم مصطفى كامل في نضاله من أجل الاستقلال .. اما الوجه الثاني فهو لرجل ذي عينين نفاذتين ولحية سوداء وملامس بيضاء تعود إلى استقباله في قلب باريس في منتصف القرن التاسع عشر ، وبعد ان ظل ١٧ عاما يحارب فرنسا في بسالة وشجاعة منقطعة النظير . لقد احتلف الباريسيون لرؤيته كما لو كان منتصرا وليس مهزوما ، واطل عليهم الامير عبد القادر الجزائري منتصب القامة متفقد النظرات ، لتتعلق عيونهم بالاعجاب بكل اسيرا لبلادهم ، وكانوا هم اسرى شجاعته ونبله ، وحنكته السياسية والعسكرية !

الحلم بالاختراع

وقفة الذكريات والتأمل تقضى دائما إلى التعامل مع الواقع .. وعندما تتعامل مع الانسان وجها لوجه في باريس او في مدينة النور ــ كما يسمونها منذ ان اضيئت زواياها بالكشافات في عام ١٩٦٢ ــ اجد نفسي امام نموذج حي ، يفتخر اولا بلغته الفرنسية ، ويعتبرها ضرورة لاي مثقف في العالم حتى يمكنه التعرف بدقة على الفلاسفة والمفكرين والكتاب والمهندسين والعلماء الفرنسيين الذين اضاءوا الحضارة للبشر اجمعين .. كما ان هذه اللغة ظلت لسنوات قريبة لغة الدبلوماسية ومازالت حتى يومنا هذا لغة الرقة والاحساس الجميل !

والباريسي بحكم تكوينه التاريخي يؤمن بحريته الشخصية ، ويعشق المعارضة ، والمبادىء في نظره هي المقياس الذي يكشف به المزيفين ..

ومتعة الباريسي ان يقول لك ملاذا سيفعل ... وهو يتعامل ويتقدم بحذر .. ويحب القلق ، ويقيس كافة المسائل بالعقل ويبحث عن الاسباب ، ولذلك فان كبار الفلاسفة فرنسيون .. ويحلم بالاختراع في اي مجال ، واضعا امامه

فنان فرنسي يرسم على الرصيف



أمام لوحة الموناليزا في متحف اللوفر



ليل باريس في شارع الشانزليزيه

كل نماذج الفرنسيين الذين نبغوا في العلم أمثال ماري كوري وزوجها واكتشافهما للراديوم في عام ١٨٩٥ ، ولويس باستير (١٨٢٢ ـ ١٨٩٥) والثورة التي أحدثها في علم البكتريولوجي ، ولويس وأوجست لوميير واكتشافهما لصناعة الفيلم وتقديم أول فيلم عن عمال المصانع في عام ١٨٩٥ ، والأخوين جوزيف وإتيان مونجلفيه أول من شيدا عمليا البالون ذا الهواء الساخن (١٨٧٢) ، ولويس بليرو الذي عبر القنال الانجليزي من كاليه إلى دوفر في عام ١٩٠٩ في أطول مسافة طيران ، ولقد إحدى عجلات طائرته عند الهبوط ، ثم أبي الكيمياء أنطوان لافوازييه (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) الذي اخترع كلمة أوكسجين وشرح أملا في جانبه في عمليات الاحتراق وإن كان قد ودع الحياة بمأساة دامية عندما قطعوا رأسه خلال الثورة الفرنسية .

القلعة المحصنة

والباريسي بوجه عام يميل إلى التلذذ باستمراره من قدرته على التذوق في كافة مجالات الحياة بداية من الطعام إلى الفنون .. ويقود قيادة السيارة دائما إلى العصبية ، فيسلح نفسه ببعض ما في قاموس الشتائم التي قد يحتاجها في الدفاع عن نفسه ضد أي وقاحة تصدر عن سائقي السيارات ؟

والغريب في الأمر ، انه شغوف بالأوامر ، في نفس الوقت الذي لا يحب فيه الخضوع لأية سلطة .. كما انه يحب النظام بشرط أن يكون لشخص غيره !

وتراه دائما يتباهى بتفوق مدينته في عالم موضة الأزياء والعطور والمدارس الفنية والأبنية الحديثة !

ويرى في بيته قلعة محصنة ، على عكس ما يتصوره البعض عن تحرر الباريسيين ، ويعطه دائما بعد يوم مشحون بالعمل ، ليشعر بداخله بأنه قد عاد إلى عشه الصغير ، حيث الاستقرار والهدوء والراحة النفسية .

وهذا المسكن عادة ما يزخرفه بأسلوبه الخاص الذي يعود فيه إلى التراث كلما أمكن ، ويختار له الأثاث الفني ذا الطراز التاريخي المشهور !

ولأن الباريسي نادرا ما يصل منزله قبل السابعة مساء ، فإن شمل العائلة لا يكتمل إلا بالليل ، فالعمل يستغرق كل وقت الأب والأم بحيث لا يشاهدان أطفالهما إلا في فترات قليلة من النهار ، فالمصانع والشركات لا تسمح لأفرادها إلا بساعة أو ساعتين أثناء الغداء وهما غير كافيتين للذهاب والعودة من المنزل ، كما أن الواجبات المدرسية للأبناء عديدة ، وهم «المدللون» وجبتهم الغذائية في المدرسة !

في المعدة

وفي الليل يجتمع أفراد العائلة حول جهاز التليفزيون إذا كان هناك شيء يستحق المشاهدة الجماعية ، فهم

أوبرا باريس

يفضلون قضاء أوقات فراغهم إما في الحديث أو القيام ببعض الألعاب الذهنية أو القراءة أو الاستماع إلى الموسيقى..

ومازال الباريسي ــ حتى يومنا هذا ــ ورغم ظهور العديد من النجوم وبلوغهم قمة الشهرة، ينظر إلى جان مورو وبريجيت باردو و ايف مونتان و الن ديلون و جان بول بلموندو على انهم اعظم ممثلين عرفهم.. ويرى في المغنية ميراي ماتيو، بصوتها المميز اجمل الأصوات التي تخاطب احاسيس كل فرد على إنفراد.. اما لويس دي فينيس بما قدمه من افلام كوميدية فهو النموذج المثالي لروح النكتة الفرنسية!

وينظر الباريسي إلى المقهى على انها ملتقى للاصدقاء، فكل واحد له مقهاه الخاص، واغلبية رواد تلك المقاهي يفضلون الجلوس عليها في هدوء لمراقبة العالم الذي يسير امامهم.. ومن اشهر مقاهي باريس مقهى دى فلور، وهناك مقهى في الشانزليزيه خلف قوس النصر يثبت في عصر نابليون، كما ان هناك لوحة شهيرة للفنان ديجا (١٨٨٠) سجل فيها ملامح وجهين على مقهى باريسي!

ورغم ان المطعم باهظ التكاليف في باريس، فإن الباريسي ينفق الجزء الأكبر من دخله على معدته، ويختار الأطعمة المفيدة وذات المذاق، ويفضل المياه المعدنية، ويحرص على شراء الخبز من مخبز يقلي صاحبه بنفسه الاشراف على انتاجه.. اما إعداد الطعام ومهارته فهو فن اكتسبوه جيلا بعد جيل.. والحديث الدائم المشترك والمحبب للقلوب هو الحديث عن المائدة، وهذا يجعل الكثير من الناس يتساءلون: هل يأكل الباريسي ليعيش أم يعيش ليأكل؟!

العقل والقلب

وباريس هي مدينة نابليون العظيم الذي كرس حياته لمحاربة انواع النفاق والقوانين الظالمة.. وهي المدينة التي ولد فيها فولتير العاشق للحرية.. وهي القصور الأستعمارية فكر جان جاك روسو بما فيه من دعوة لإصلاح الحياة الإجتماعية.. وعاش بها في بيت صغير



• هكذا يرى المشاهد .. باريس من مونمارتر

في ميدان « الفوج » لأكثر من ٧٦ عاما الشاعر العظيم فيكتور هوجو الذي كان يكتب قصائده على منضدة وضعها إلى جوار نافذة ليستلهم الوحي مستمرا من شجرة البلوط .. ومر عليها طابور طويل من العلماء والمشاهير الذين أثروا الحياة الإنسانية وحفروا بصمات ستظل باقية ما بقى الإنسان في أي مكان !

وقد ظلت باريس عاصمة لفرنسا وأعظم مدنها على الإطلاق لأكثر من ألفي عاما .. وكانت وحدة فرنسا تتحقق دائما من خلال دور باريس المركزي ، أو كما يقول المؤرخ الفرنسي « دانيال مونتيه » قامت فرنسا وانتشرت بداية من باريس..

وإذا فباريس اليوم هي العقل الإداري والقلب السياسي لفرنسا ، يعيش بها سدس السكان ، وينطلق منها النشاط السياسي والاقتصادي ، وهي مركز الموضة والتعليم والفنون ..

ويعني أن تسير في شوارع ودروب باريس هو أن تمضي عبر تاريخ فرنسا .. فكل أثر في المدينة يمثل سجلا للأحداث التاريخية الكبيرة .. وكل مكان يحكي قصة الناس وعصورهم بما فيها من أمجاد وانتصارات وهزائم وآلام ..

وجمال باريس المدينة يكمن في قصورها الشبيهة بالقلاع ونافوراتها الجذابة وتماثيلها ومتاحفها ونهرها الحالم .. ويزيد من هذا الجمال ساحات الكونكورد والكوميدي فرانسيز والسوربون والمكتبة الوطنية وغابات بولونيا .. أما متحف بومبيدو الذي أصبح [illegible] مراكز الفنون المعاصرة في العالم ..

ويضم شوارع باريس [illegible] الشانزليزيه الذي يضم أحدث بيوت الأزياء ويجذبك بمنظره الجميل وطرقاته ومقاهيه .. أما الحي سان جيرمان فترى فيه خليط من الناس مع تنوع في الحياة .. وإذا أردت أن تثير رغبتك في المعرفة والدهشة فلا طريق أمامك إلا في البيجال ..

وستجد الفن والشعر والجنون في قمة مونمارتر التي كانت قرية على حدود باريس وأصبحت اليوم مركزا لحياة الباريسيين بما فيها من ملاهي ومطاعم .. وفي الحي اللاتيني يمكنك أن ترى الفنانين وأدعياء الفن ومعظم اللوحات في هذا الحي تدور حول بيوت باريس القديمة وتدخل في متاهات المدارس والاتجاهات الفنية الحديثة !

الكارثة الفنية

وإذا أردت أن ترى باريس من ارتفاع ١٠٠٠ قدم فيمكنك أن تفعل ذلك من فوق برج إيفل الذي يصل عمره إلى حوالي مائة سنة ، والذي يعتبر رمزا للمدينة ، فقد اختاره دون كل الآثار الزعيم النازي هتلر عندما دخلت القوات النازية إلى باريس في عام ١٩٤١ ، وطلب من المصورين أن يلتقطوا له صورة تذكارية إلى جواره .. والمعروف أنه عندما إنتهى المهندس جوستاف إيفل من بنائه أشاع البعض أن هذا البرج قد يصبح بمثابة موصل أو جاذب للصواعق التي قد تؤدي إلى قتل الأسماك في نهر السين ، وصدق سكان المدينة القصة لولا أن سخر باني البرج من سخافة هذه الإشاعة بأن اختار لنفسه سكنا في أعلاه !

وهناك معالم في باريس إذا لم تزرها فكأنك جئت إلى المدينة وخرجت منها دون أن تفعل شيئا ..

أول هذه المعالم متحف اللوفر الذي يضم روائع الحكم الفنية ، وكان في البداية قلعة ملكية لحماية غرب باريس

مركز جورج بومبيدو

وكان سجنا لجمهور العلماء او قصرا، وهو الآن من اشهر متاحف العالم بما يحتويه من كنوز فنية تسجل تاريخ الحركة الفنية في العالم..

وتلي هذه المعالم قصر فرساي الذي ارتبط بلويس السادس عشر وماري انطوانيت بما فيه من حشود من اللوحات الفنية، وقد اسسه لويس الرابع عشر، وبناه جيش من ٣٦ الف صانع، وتعرض لعدوان اجرامي في عام ١٩٧٨ تسبب في تدمير ثلاث قاعات تحتوي على مخطوطات فنية والزينة تعود إلى العهد النابليوني وحدثت اضرار في العشرات من قاعات العرض الاخرى، مما احدث ضجة عالمية بسبب ما يحتويه من ذخيرة لما انتجه الفنانون العالميون في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ابكوين شاهدا على عظمة فرنسا، وقد اعتبر هذا الاعتداء اكبر كارثة فنية وقعت في القرن العشرين!

انحسار السينما

اما السينما الفرنسية في عاصمتها باريس، فهي تعاني اليوم من انحسار نتيجة انغلاقها داخل حدود فرنسا واهتمامات الجمهور الفرنسي وحده، وما يؤكد ذلك فشلها في العام الماضي في الحصول على جوائز مهرجان كان الذي تنظمه فرنسا سنويا على شواطئها في الجنوب..

وقد وضحت هذه السينما التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..

[illegible] الموجة في تطوير السينما العالمية ونوعية افلامها التي عالجت الموضوع المحلي معالجة واقعية جعلته يتخطى المشكلة المحلية إلى إطار إنساني اشمل واكبر..

وفي هذه الايام تنتج السينما في باريس الدراما المنزلية التي تعالج مشكلات المرأة مثل «زوجة جان» او تعالج الموضوعات العاطفية مثل «ضوء امرأة» و«تحدث دائما انت تهمس»... او الموضوعات البوليسية مثل «سيمة موتي بالامر».. ولم يعد من هذه السينما اليوم غير «روبرت بريون» المخرج العظيم الذي يفاجئنا بانتاجه المتميز، اما المخرج «آلن رينيه» فقد اصبح قليل الانتاج ايضا، وجان لوك جودار اتجه بعده إلى الهموم السياسية والمحلية التسجيلية، وفرانسوا تريفو مازال يقدم الترفيه الجيد، وغير هؤلاء اصبحنا لا نرى من الاعمال الجيدة غير محاولات تعد على الاصابع، مثل «رقة شاعرية الكلب» والمخرج «ميشيل ديفل» والذي يعد من احسن الافلام التي انتجت

بها عام ١٩٨١، فقد بحث الكاتب في قلق ابريس الذي اوجدها جيل الدولة الثاني ودومينيك داللا... وكذلك فيلم «تشجعوا الهرب» الذي يختار فيه المستقبل، باريس، احداث التاريخ ومشاكله اليومية دون ان تتغلب على روائه قلقه في الحنين الذي يجري في عروقه والذي يجعله يؤمن بعدم جدوى الكفاح!

ومثل السينما، يعاني المسرح الباريسي من ازمة لعدم وجود مؤلفين جدد، مما يضطر المسارح لتقديم اعمال كلاسيكية عالمية لمؤلفين اصحاب شهرة واسعة امثال شكسبير وموليير وبريخت.

ويحظى فن الموسيقى الكلاسيكية بمكانتها في باريس، ولا يؤثر فيها مطلقا اقبال الكثيرين على الموسيقى الحديثة الراقصة، كما ان المكتبات عامرة بالمؤلفات الجديدة التي من احدثها روايات وقصص سيزان سرو وروجيه فريني ولويز سيريموي، وفي المكتبات اليوم كتب حديث عن جورج صاند معاصرة مرور اكثر من قرن على ميلادها، وفيه دفاع عنها ضد النعوت التي وصفها بها بعض الكتاب، ومن اسانيد الدفاع انها لم تتخل عن تقاليد مجتمعها ورسالته في صالونها الادبي الذي يجتمع فيه كبار مثقفي فرنسا ومفكريها، وانها كانت تهدف في تحقيق حرية المرأة الى الا يكون هناك تمييز لرجل على امرأة إلا بالعمل المبدع الخلاق.

وفي باريس اليوم تقوم موجة ادبية لإعلاء شوامخ التراث العالمي والفني والمخطوطات.

وهذه الموجة الادبية تجعلنا لا ننسى ان باريس قد تربعت على عرش الاضواء الفنية في النصف قرن الاخير، حيث ظهرت فيها جميع المدارس التشكيلية الحديثة، وكان بيكاسو وبراك وماتيس وغيرهم هم عمالقة هذه الفترة..

ثم... لا يمكن للنفس ان تتوقف في باريس... ولا يمكن للقلب ان يمل متعة الرؤيا والاندهاش.. فالفن في مدينة يتجدد شبابها بصفة مستمرة.. مدينة لا تعرف زحف التجاعيد!

كمال سعد



تشريح الحضارة العربية

مواقف المفكرين العرب من الحضارة الغربية تفاوتت ، بل وتناقضت . فمن طه حسين الذي يدعونا لأخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، إن شئنا — في رأيه — دخول العصر الحديث واستيعاب تقدمه ... الى سيد قطب الذي يحذرنا من أسس الحضارة الغربية وأصولها المنحرفة ويدعونا أن نقصر اقتباسنا منها على أحوج الحاجات وفي أضيق الحدود العملية والتقنية ، دون النظرية والقيمية الأخلاقية .

وبين طه حسين وسيد قطب تتفرج أمامنا مروحة قوس قزح بألوانها المتعددة ، وكل مفكر عربي يأخذ بلون مما يرونه مائلا الى هذا الاتجاه أو ذاك على امتداد الخط الشاسع بين « عقلانية » طه حسين و « سلفية » سيد قطب .

ووسط ضجيج الآراء والاتجاهات المتضاربة والمتناقضة بشأن هذا الموضوع الخطير اقرأ مقالة جديرة ، من السهل الممتنع ، بعنوان « نحن والحضارة الغربية » فتجد من المفيد تلخيص محتواها لما تنطوي عليه من وضوح في الرؤية حول هذه القضية التي لم تتضح حولها بعد .

تبدأ المقالة بالقول إن الدعوة لمقاطعة الحضارة الغربية ورفضها دعوة غير ممكنة عمليا ومنطقيا « ... ولو كانت هذه الدعوة تطلب منا رفض حضارة قبيلة من قبائل الاسكيمو لما أثارت اهتماما » . أما والأمر يتعلق بالحضارة الغربية التي لعبت دورا حاسما في تطور البشرية والتي حققت من التقدم المادي والعلمي مالم تحققه حضارة قبلها والتي تمسك اليوم بيدها مفاتيح الحرب والسلام ... فلا بد من وقفة هادئة نناقش فيها هذه الدعوة ثم ننتقل الى الحضارة الغربية فنتساءل عن الموقف الذي يجب أن نتخذه منها » .

ويرى الكاتب أن : « ألد الناس عداوة للحضارة الغربية يلبس ثيابا صنعتها مصانع الغرب ويروح ويغدو في سيارات من صنع ديترويت ولندن . وحتى الأقلام التي تدبج أبلغ قصائد الهجاء في الغرب ، مصنوعة في الغرب ! » ثم أن الدعوات التي تنادي برفض الحضارة الغربية ، مبنية في الغالب الأعم من الحالات على فكرة سطحية عن هذه الحضارة أو على جهل تام بها .

ذلك « ... أن الحضارة الغربية بخلاف ما يعتقده قراء مجلات الإثارة من غربية وشرقية ، لاتبدأ وتنتهي بالشعور الطويلة وحفلات الجنس والمخدرات » .

إذن فالحضارة الغربية ظاهرة لا يمكن تجاهلها ، ولابد من مواجهتها وفهمها وغربلتها واستيعابها نقديا وتحليليا لنقرر ما نختار منها وما نتفهم وما نهمل وما نرفض مما يتفق مع حضارتنا الإسلامية وتراثنا القومي وقيمنا وتقاليدنا .

ويرى الكاتب أن نقوم بتشريح الحضارة الغربية ونحلل جوانبها المختلفة حسب التدرج التالي :

١ — جوانب لا مناص من اقتباسها إذا أردنا الخلاص من تخلفنا الراهن ، وهذه الجوانب تشمل التكنولوجيا والعلوم الطبيعية والاجتماعية وطرق الإدارة وأساليب التخطيط العلمي . في هذه المجالات تقود الحضارة الغربية بلا منازع العالم بأجمعه . كل ما يتم من تقدم في هندسة الصواريخ وفي جراحة القلب وفي نظريات الاقتصاد وفي تحسين الكفاية الإنتاجية يتم في الغرب على يد علماء غربيين يتحدثون بلغات غربية .

٢ — هناك جوانب في الحضارة الغربية يحسن أن نلم بها دون أن يتبع ذلك بالضرورة نقلها أو اقتباسها وهذه الجوانب تشمل التراث الغربي في السياسة والفلسفة والأدب والقانون . وهنا يجب أن نقف موقفا وسطا ، فلا نقر الذين يدعوننا الى أن ننقل من الغرب تراثه السياسي والفكري والقانوني . ولا نقر الذين يريدون حرماننا حتى من دراسة هذا التراث والإفادة .

٣ — وهناك جوانب في الحضارة الغربية نسميها الجوانب المحايدة ولا تضيرنا معرفتها كما لا يضيرنا الجهل بها كطرق الأكل وأنواع اللباس ونظم التعامل والتزاور .

٤ — هناك جوانب يجب أن نكون حذرين عندما نقتبسها كفلسفة الإعلان التجاري — مثلا — التي أصبحت تطبع العالم الغربي بطابعها .. وكظاهرة المنافسة الشديدة القاسية التي تنشر القلق والتوتر النفسي .

٥ — وأخيرا هناك جوانب لابد لنا من رفضها رفضا تاما لا لأنها تتعارض مع بيئتنا الشرقية فحسب ، بل لأنها تتعارض مع كل منطق سليم . من هذه الجوانب موضوع الأزياء والموضات .. والمؤسف أن هذه الناحية بالذات هي الناحية التي برعنا في نقلها من الغرب ..

هذا التحليل المتدرج « التحليلي والنقدي » لعناصر الحضارة الغربية هو بلا ريب جهد موضوعي ومستقل يناي عن انفعال الرافضين وإعجاب المتقبلين على حد سواء .

بقي أن أشير أن صاحب هذا الجهد ، وهذه المحاولة الفكرية الرصينة ، هو مفكر وأديب من جزيرة العرب ...

إنه الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي في كتابه « عن هذا وذاك » وهو صوت أضحى من العلامات المميزة للوعي الفكري في الجزيرة العربية .

دكتور محمد جابر الأنصاري

جيل الأمل

في عيد العلم

سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني يهنئ وزير التربية والتعليم



السيد / عبد العزيز عبد الله تركي وكيل وزارة التربية والتعليم



من واقع التركيز على الإنسان القطري الذي يشارك في صنع حضارة الغد المشرق تحت رعاية أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، احتفلت قطر في الشهر الماضي مارس ١٩٨٠ بيوم العلم التاسع عشر.

وقد نبعت فكرة يوم العلم من واقع تكريم العلم والمعرفة وتقدير الركيزة البشرية الأساسية للتنمية ودفع عجلة التطور في البلاد..

وقد شهد الحفل سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم الذي تحدث في الاحتفال عن النشء المثقف الواعي القادر على قيادة مجتمعات الغد والصانع لحضارتها بكل كفاية وقدرة وفاعلية، عن طريق الإيمان الثابت والعلم النافع والقيم الجليلة والأخلاق النبيلة، تلك وحدها هي الثروة التي لا تعادلها ثروة، والمقدرات التي لا تعلو عليها مقدرات.

وقد أكد سعادة الوزير أن التربية هي السبيل الأمثل والطريق الأقوم لإعداد شبابنا إعداداً شمولياً متكاملاً في إطار تربية متوازنة تربطهم بتراثنا الأصيل بكل ما فيه من قيم ومثل ومثل عليا، وتأخذ بمعطيات العصر الذي نعيش فيه من تقدم كبير في مجالات العلم والثقافة والمعرفة، وترنو بأبصارها إلى توقعات الانطلاق الحضاري في المستقبل القريب والبعيد في مختلف مجالات الحياة موضحاً الأسس الثابتة التي ارتكزت عليها الدولة في بناء شبابها عدة مستقبلها وثروتها الحقيقية، والتي منها:

- مجانية التعليم مجانية مطلقة في كل مراحله في الداخل والخارج وإلى أعلى الدرجات العلمية حسب إمكانات كل طالب وقدراته.
- إقرار مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع أبناء قطر.
- إقرار مبدأ التعليم للجميع حيث يلتحق بمدارس قطر كل من يعيش على أرض قطر.
- التوسع المتواصل في التعليم رأسياً وأفقياً ليشمل كل مراحله.
- النهوض الدائم والمستمر بمستوى المعلم تأهيلاً وإعداداً بالتعاون مع جامعة قطر.
- تقطير الوظائف القيادية في ميدان التربية والتعليم وإعداد الشباب وتأهيلهم لهذا الدور.
- تطوير الكتب والمناهج والوسائل التعليمية تطويراً مستمراً.
- تطوير المبنى المدرسي ليحقق متطلباته التربوية.
- الإفادة بالمعلمات القطريات لتعليم الأطفال الصغار بما لديهن من قدرة وإمكانيات على تربية الأطفال بكفاية وفاعلية.
- التطوير المستمر لبرامج محو الأمية وتعليم الكبار.
- تكوين لجان لوضع السياسة التربوية لدولة قطر ووضع استراتيجية تطوير التربية.
- إصدار ميثاق أخلاقي لمهنة التربية في دولة قطر وذلك لضبط مسار التربية ضمن المثل والقيم الإسلامية النبيلة.

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن تطور التربية قال سعادة الوزير: إننا إذ نلتقي اليوم، إنما نكرم العلم في أشخاص أبنائنا الذين اجتهدوا وثابروا حتى حققوا النجاح، آملين أن يأخذوا دورهم في بناء غد مشرق ومستقبل زاهر لهذا الوطن.. وإنني لأؤكد أن هذه الوزارة ما كانت لتحقق ما حققته من نجاح مطرد متواصل إلا بفضل الله وتوفيقه أولاً، ثم بفضل الدعم المتواصل والتوجيه السديد والرعاية الدائمة من لدن صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى، وكذلك التأكيد والتوجيه من سمو ولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

وبعد أن ذكر بالاعتزاز والتقدير جهود العاملين المخلصين من أسرة التربية والتعليم، ختم كلمته مهنئاً الوطن بشبابه، وطلب الشباب بأن

الخريجون أمام المنصة

الخريجون أثناء استلام الجوائز


كلمة الخريجين

الأجيال التي درست وتخرجت هي الثروة الحقيقية لهذا الوطن

يكونوا عند حسن ظن الوطن بهم فهو في حاجة إلى علمهم وعقولهم وأفكارهم في معركة البناء ..

ثم توالت الكلمات ، التي استعرض فيها السيد عبد العزيز عبد الله تركي وكيل وزارة التربية والتعليم الإنجازات التربوية الهامة التي تحققت عبر عام مضى ..

فقد أصبح مجموع الطلاب والطالبات هذا العام ٣٨ ألف طالب وطالبة .. تبلغ نسبة الطالبات منهم ٥٫٩ر٤٩٪ .. وهي من أعلى النسب العالمية .. الأمر الذي يؤكد الدور الريادي للفتاة القطرية ومسارعتها لاكتساب العلم والمعرفة ..

وأصبح عدد الملتحقين بمدارس محو الأمية وتعليم الكبار ٦٠٥٥ منهم ١٥٨٠ دارسة وبذلك تهيأت الفرصة كاملة أمام المرأة والفتاة القطرية لتعويض ما فاتها .

أما عن المحولين للدراسات الجامعية فقد بلغ عددهم ٢٤٢٢ طالبا وطالبة ..

وقد استوعبت جامعة قطر ١٦٦١ طالب وطالبات .

كما التحق بالجامعات العربية والأوربية والأمريكية ١٢١٢ طالبا وطالبة .. يدرسون مختلف التخصصات التي تحتاجها البلاد ..

.. وبلغ عدد المبعوثين للدراسات العليا ١٠٢ طالبا وطالبة .. لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه ..

وقــد تخرج من البعثات الخارجية حتى هذا العام ٦٦٣ خريجا وخريجة .. منهم ١١٤ فتاة قطرية .

وبلغ عدد من تخصص في الفروع الأدبية النظرية ٤٨٧ خريجا وخريجة .

كما تخصص في الفروع العلمية والتطبيقية ١٢٦ خريجا وخريجة

ويوجد بين هؤلاء الخريجين ٣٣ حصلوا على أرقى الشهادات في الدراسات العليا - الماجستير والدكتوراه ..

كما تبلغ ٦٥ خريجا في علوم الطب .. وحصل الكثير منهم على أكبر الزمالات الطبية العالمية .

وبلغ عدد الذين أنهوا تخصصاتهم في حقول الهندسة المختلفة ٨٤ مهندسا .

وقال إن عدد خريجي الشهادة الإعدادية العامة والتخصصية لهذا العام وحده بلغ ١٧٣٦ طالبا وطالبة .

كما بلغ خريجو الشهادة الثانوية العامة والتخصصية لهذا العام ١١٠٨ طلاب وطالبات .

وتضمنت كلمة السيد وكيل الوزارة الحديث عن التطور في العملية التربوية وخاصة ما يتعلق منها بمجال إعداد المعلمين وتأهيلهم ، وميدان المناهج والكتب المدرسية ، والوسائل التعليمية ، والدراسات والبحوث التربوية ، والرؤيا المستقبلية التي تحدد مسارات التعليم وتوثيق الصلات بأهم المؤسسات التربوية والعلمية ..

وقال إن الدولة رصدت في هذا العام أضخم ميزانية تربوية في تاريخ البلاد إذ بلغت ٧٦٩ مليون و ٤٢٤ ألف ريال قطري ، وذلك خير دليل على حقيقة الدعم الكامل والمتواصل للتربية في بلادنا ..

ثم ألقى كلمة الخريجين الجامعيين السيد ناصر محمد خطاب الكعبي الذي قال إنه وزملاءه الخريجين يعاهدون الله على أن يبذلوا كل جهدهم لخدمة مجتمعهم ووطنهم ..

وتوجه بالشكر في كلمته إلى من سهروا على رعايتهم .. ووجه كلمته إلى إخوانه الخريجين بقولـــه :

« تذكروا أنكم الثروة الحقيقية لهــذا الوطــن ، وبعملكم البنــاء يســمو ويزدهـــر » ..



العجوز والجريدة

● كان حلم جيلي ومعي جيل من صحابي أن نعدل هذا الكون المقلوب.. وبعد قليل أدركنا اليأس .. ثم ما لبثنا أن وقفنا على رءوسنا!

أتقدم الآن نحو الخمسين . ولو استطعت أن أوليها ظهري لأعود إلى أيامي السالفة القديمة لفعلت . فأنا أحس بوطأة مقدمها وبيني وبينها سنة وبضعة شهور . فكيف لو سقطت في هوتها سقوط الحول . ولكن هكذا مضت الأيام . وسقط يوم ميت في إثر مولود حتى ألفيت ذات مساء أو صباح فاقد العمر في سقوطه

يومئذ . أو ليلتئذ . لا أدري أمست تلك الأحاسيس التي يمنحه لنا الوجوديون عن بحثونا عن تلك الشخص الجالس في قاعة السينما ... ويمدني أيضا ... الحياة أن ... في ... ويتعقل ... القصة ...

ويحقق لحظه . ويكاد يتوهم أن ما يراه واقع داخل بصخب الحياة وعنفها ، وفجأة ينقطع التيار الكهربائي ، ويتوقف الشريط ، ويعود المتفرج الذي أوشك أن يكون مشاركا إلى ذاته الفقيرة ، ويحدثه البارد ويدركه فجأة أن ما رآه كان خيالا ، وما ارتداه من أحاسيس كان قناعا ، وأن الرواية لم تكن عن حدث وقع ، بل رواية من خيال ...

IVAN STE
BALALA
JULIETTE GRECO
QUEEN ELIZABETH HALL
TONIGHT at 7.15
JULIAN BREAM
JOHN THAW
RICHARD COLEMAN

ما هي مخاوف الشيخوخة؟
هل هي مخاوف الجسد
أم هي احباطات ماساوية؟

ما أقصر طريق العمر! وآه لنا عندما نحلم بعودة الزمن المفقود!

ووهم مطلق

ولكني عشت هذه السنوات بحق والم وتأمل، الا ان يسقط منها سنوات الطفولة الأولى. وليس توهمي لها كشريط من الوهم والصور الملفقة إلا محاولة للتخلص من وطأة ذكرياتها، ونير احزانها، فلست اذكر في هذه السنوات فرحا خالصا إلا ظلالا كالسحاب العابر، وإن كنت اذكر فيها الى وليس حولي كثيرا من الخيبة الممضة والألم النقيم

يأسف ابراهيم ناجي في بعض ابياته انه قد عاش حتى رأى الكون مقلوبا على رأسه

عشت وامتدت حياتي لأرى
في الثرى ماكان قبلا في القمم
انهيار المثل العليا وانكار
الكرامات وكفرا بالقيم
واذا انحط زمان لم تجد
عاليا ذا رفعة إلا الالم

وانا ايضا عشت لأرى الكون مقلوبا على رأسه، بل تفتحت عيناي في شبابي والكون مقلوب على رأسه .. وكان حلم حياتي، انا وجيل من معاصري ان نعدل هذا الكون المقلوب. وادركنا اليأس بعد قليل او كثير ثم ماتيئنا ان وقفنا على رءوسنا لكي نستطيع ان نتواصل بالحياة والبشر.

واسأل نفسي احيانا ..

أليس ذلك الشعور هو ما يخامر جميع الناس حين يهبطون جانب التل، إذ يدركون ان الحياة قد امطت املا واسعا وقدرة محدودة. وان ما تخايل لاعينهم في ايام الصبا الذهبي كان مدى واسعا لا يمتلك إلا لأهل الخطوة الماشين على الماء او السابحين في الهواء .. اليس الانسان محكوما عليه بالاحباط في هذا الكون المتشابك المتناثر الشذرات. وهل عرفنا كل ماكنا نريد ان نعرف، وقرأنا كل ما كنا نريد ان نقرأ من كتب، ووطئنا كل ما كنا نريد ان نطأ من ارض، وتطلعنا في عيون كل من احببنا من نساء.

تعود الى ذهني الآن قصيدة الشاعر اليونان السكندري كفافيس، عن ذلك العجوز، وارجح الظن انه الشاعر، الذي يجلس على المقهى وحيدا محاولا ان ينبش في ذهنه ليوقظ ذكرياته الحلوة، ولكن الاحباط مايلبث ان يغزو روحه.

عجوز معه جريدة .. يجلس وحيدا الى مائدة في مقهى تحيط به الضجة .. ولكنه غارق في الذهول.

هذا هو المشهد الاول او الصورة الاولى بلغة السينما والتليفزيون في هذه الايام وهو مشهد عادي .. مشهد ملتبس .. وكل الزوايا التي يضمها في جدرانها والمقاهي القديمة في الاسكندرية .. لك الزمان .. الزمن .. او بعده .. صيدها من هذه منتشرة .. وتلوح عن المقاهي والمقاهي للرجال والاسهات والحياني .. والفقراء والصعاليك والمتسكعين، وعربات الترام والخيل .. بل والحمير (كان ذلك في اواخر عشرينات هذا القرن) .. ثم ما لبث أن اجتذب هذا العجوز الداخل في وسط الضجة بصره، فحاول ان يتسلل إلى نفسه.

كان يفكر دون تورع في مخاوف الشيخوخة، ويأتي حزينا لقلة ما استمتع بمتع عمره.

ما مخاوف الشيخوخة تلك التي داهمت العجوز، أهي مخاوف فحسب، ام هي احباطات ماثلة، لنذكر عندئذ أبيات الشاعر العربي:

وهت عزمتك عند المشيب
وما كان من حقها ان تهي
وانكرت نفسك لما كبرت
فلا هي انت ولا انت هي
اذا ذكرت شهوات النفوس
فما تشتهي غير ان تشتهي

واذكر ان ما احببت الجناس وغيره من المحسنات اللفظية كما احببته في هذه الابيات .. خلفت بدهشتي من عهد الصبا.

ولعلي لا اذكر شاعرها، ولا اريد ان اعتمد على الظن، فيتصدى لي عندئذ محقق عالم ثبت طويل الباع، فيصوبني، ويسخر مني ومن جهلي.

لقد ادرك الرجل انه عجوز – ولا شك في ذلك – ولكن ايام الشباب رغم ذلك مازالت تخايله

اه لنا عندما نحلم بعودة الزمن المفقود

إن كفافيس يتحدث عن قدرة الحس والبدن، ولكني كثيرا ما اذكر قدرة العقل، أين هو الزمن الذي كنا نستطيع فيه ان نعانق الوهم الافكار، وأصبنا الاماني، ولكثر الكتب إغراء وإغواء... اسأل نفسي احيانا لماذا لم اكتب بعض الكتب المجنونة الباعثة على الجنون حين كنت ممتلئا بها ... لماذا لم اخرج في رحلتي المستبدة نحو الحقيقة واليقين طارحا عن نفسي ثوب التكلف الزائف، طارحا عن قلبي غشاء الخوف المقيت

ما اقصر طريق العمر – كان في امسه الذاهب يؤمن بالتبصر والتعقل – ولكم خدعه هذا التبصر الكاذب عن افعاله ويمناه .. كان يقول لنفسه، مازال هناك وقت لهذا الفعل او ذاك .. في يوم آخر سوف افعل ...

التبصر.... أليس التبصر مثل الحلم، كل حلم لتي يغير اقدار سبة ثوة، إليها التلم... إن للخوف سبعة اقنعة اولها ادعاء التبصر، ولو مضينا مع المتنبي القائل إن احتمال البلادة والخمول ورؤية الآفاق المنسدة امام النفس والروح هي الغذاء الذي تضوى به الاجسام

لقد كانت الاشواق في ماضي زمانه، ولقد قدم فرصته قربانا للحكمة (المزيفة)

ايه، ايها الاغريق الاقدمون .. انكم تعيدونني إلى إلهيكم القديمين .. ديونيزيوس إله اللهو والمرح، وابولو إله التصميم والحكمة والاحكام .. انهما حبلان مشدودان ... الجسد والروح .. المادة والعقل .. الفرحة والحكمة، ولكن الامور كثيرا ما تتشابه وتتشابك، وتصبح الحكمة التي هي بنت المعرفة كسلا عقليا وروحيا فاترا. ولقد عرف العجوز ذلك، ولكنه حين عرفه معرفة اليقين، كان ذهنه قد ادركه التعب ... بالمأساة!

ولكنه في تلك اللحظة – رغم افكاره العميقة وذكرياته الماثلة – غفا وغلبه النعاس – وحيدا على المائدة

وهكذا يطلبني أنا أيضا النعاس، وحيدا على مائدة الكتابة وحولي أوراقي والقلم والحبر، أحس أنها هي المكان الوحيد الذي انتمي إليه فلا يرفض انتمائي أو يضيق به، ولكن هل أخلصت لهذا الانتماء كل الاخلاص، وهل عشت حياتي (ابن القلم) كما تقول (ابن سبيل) أو (ابن السبيل).

لعلي هنا أريد أن استعرض فصول حياتي في الأيام الماضية وما ذلك لغرابتها أو تفردها، ولكن لأنها قد تكون صورة متكررة لحياة كثير من المثقفين في بلادي من الذين تفتحت عيونهم على الحياة بعد الحرب العالمية الثانية، والذين حاولوا امتلاك المستقبل بالمعرفة فعاشوا زمنا من الأمل العظيم واليأس العظيم.

ولست أريد أن ادخل في تفاصيل السياسة والأحداث الاجتماعية فهي أرسخ في نفوسنا وأرواحنا من أن أحاول زحزحتها لأتأمل جذورها وصلاتها، ولكني أريد أن أبعث ذكرياتي العقلية والوجدانية، أن أثير في نفسي ما عرفت من رجال الفكر ومن الفكر رجال، أما صمودي فلن التحدث إلا عما فعلت بنفسي وعقلي، تاركا ما دون ذلك للجلسة الذاهلة الوحيدة على مائدة الشقي... أو امتداد العمر.

●●●

كيف عرفت أني شاعر؟

لقد قرأت لأحد الشعراء حين سأله سائل مثل هذا السؤال قوله (أنا لا أكتب الشعر، ولكن الشعر هو الذي يكتبني).

وفي ظني أن هذه الكلمة صادقة في حالين: أولاهما هي حال الانطلاقة الأولى الى عالم الشعر، إذ يدرك الصبي أو الحدث فجأة أن أذنه تستطيع دون عون أن تفطن الى نغمات الشعر وعروضه وأن ذاكرته تستطيع أن تحفظ بعض ما يقرأ منه، وأن صوره تستوقفه حتى لتبدو كأنها عالم خيالي محسوس.

ويطمع الصبي أو الحدث عندئذ الى تقليد ما يجب، وهنا يأتيه هذا العالم الموسيقي المصور مجانيا، وتبرز القصائد والمقطعات التي قد يكون الكثير منها ركيكا وكأنها تريد أن تكتب وتتحقق، وكذلك كان

على كثير من الشعراء أن يقتربوا من دائرة النار مرة في حياتهم

حالي في سنوات الصبا الأولى. أما الحال الثانية، حين يكتبك ما تكتبه، فهي حال أكثر عمقا.. إنها حال الكاتب حين يقترب من دائرة النار، فيلمس الحقيقة العميقة، ويقترب من الحب العميق أو الرعب العميق أو اليأس العميق، فهو يبدأ كتابته لاهيا كما يفعل لاعب السيرك، حتى إذا علق على الحبل المشدود فوق الهاوية، كان الايقاع الموسيقي والجسم البشري وحدهما هما اللذان يتكاملان، والجسم البشري هنا هو مجموعة إرادة ... [illegible] ... من ... الجسم البشري ... إرادة ... فهو ليس ... [illegible]

... [illegible] ...


ابراهيم ناجي



الاقتراب محفوف بالمخاطر. إلا أنهم حين يعودون الى عالمهم العادي بعد هذا الاقتراب المخيف تظل هذه الأقباس التي حازوها مشتعلة في نفوسهم، فتنعكس بعد ذلك على رؤيتهم للحياة، وعلى تصرفاتهم اليومية العادية. فلن يستطيع شاعر وصل الى قلب دائرة اليأس العميق أن يبتسم بعد ذلك، ولن يستطيع قصاص لمس قلب الجنون أن يتعقل، ولنذكر عندئذ جي دي موباسان فهو أحد الذين كانتهم ما كتبوه.

وقد تكون هذه الحال بدرجة أقل، درجة يشترك مع الشاعر فيها وعيه الظاهر، فالشاعر في مطالع حياته يرسم لنفسه صورته الاجتماعية، ويبدأ في التعبير عنها بشعره، ويقوده شعره الى الإمعان في رسم هذه الصورة حتى تتجلى ملامحها وقسماتها، ثم ما تلبث هذه الصورة أن تتملكه حتى لا يستطيع عنها تحولا.

لقد أراد أبو نواس مثلا منذ مطلع حياته أن تكون صورته الاجتماعية هي صورة الشاعر المتهتك الخليع، ويعبر عن هذه الصورة في أول الأمر في نغمات سلاحة، ثم ما تلبث هذه النغمات أن ازدادت تنوعا وثراء وعمقا، فكأن أبا نواس كان يستكشف نفسه بكل أبعادها من خلال التعبير عنها. فاذا استوى هذا التعبير، واستوت هذه الصورة الاجتماعية، أصبح أبو نواس الشاعر عبدا لها، يصح عندئذ القول أن قصائده قد كتبته.

ما علينا، هذا حديث طويل سأعود اليه في الحديث عن بودلير ورأي سارتر فيه، ولكن قصدي الآن هي حال الصبا الأول، حين يجد الصبي أو الحدث أن قصائده تكتبه، لما رأت أن يقترب من عالم الائتلاف الشعري.

ويبدو لي الآن أن كل زمان يحفل بشعرائه الذين يستحوذون على اهتمام الناشئة، وفي زمني وفي مصر، وفي السنوات بين (١٩٤٠ – ١٩٤٨) كان شاعرا القمة هما محمود حسن اسماعيل، وعلي محمود طه.

ولسوف اتحدث عما تركا من أثر في نفسي ووجداني في حديث مقبل



د. محمد جابر الأنصاري

بواكير الوعي البترولي في الأدب السعودي

- ممارسة حرية الرأي في الصحافة السعودية لها جذور قديمة لا يعرفها البعض خارج المملكة
- النفط ثروة محايدة يمكن أن نستعملها للخير والإصلاح أو نبددها في الترف والفضول
- [illegible] الشاهقة



كنت العسير أن تحليل ونقد (الظاهرة البترولية) في منطقة الجزيرة والخليج من اهتمامات جيلنا الشاب وحده، وأنها من نتاج وعيه الاقتصادي والاجتماعي الجديد إلى أن وقع في يدي كتاب : (بلادنا والزيت) من جمع وتقديم الأديب السعودي الرائد الأستاذ عبد الله بن خميس مؤسس دار (الجزيرة) الصحفية، فتسنى لي أن أصحح تصوري هذا وأن أطلع على مواقف أدبائنا المخضرمين من هذه القضية قبل عشرين سنة. فإذا بها مواقف وآراء وتحليلات ناضجة وجريئة لم ما نكتبه اليوم منها.

هذه الآراء تثبت أن ممارسة حرية الرأي في الصحافة السعودية لها جذور قديمة، وليس كما يتصور البعض خارج المملكة. ثم أن هذه المعالجات لعلاقة النفط لا تقتصر على المجتمع السعودي وحده، بل تتداخل دائرتها لتشمل المجتمعات العربية في المنطقة كلها، وكيف أثر النفط سلبيا وإيجابيا في تركيبها وتطورها. فما سنعرض له من نقد – إذن – هو تشخيص لأبعاد الظاهرة النفطية في مجتمعات المنطقة كلها دون اقتصار على مجتمع بعينه.

[illegible] السفينة (التجربة) وقال [illegible] هذا الدرس [illegible] استلهامه [illegible] الرأي والقلم [illegible] ضرورة السؤال الأساسي التالي :

هل أفادنا النفط أم أضر بنا؟ وهل جاء نعمة أم نقمة؟.

ويرى الأستاذ ابن خميس نفسه، في مقدمة الكتاب، أن هذا السؤال قد يبدو غريبا وفي غير محله لأول وهلة. فكيف نشيح فوائد النفط ونعمه الكثيرة موضع تساؤل، وهو الذي ظهر في بلاد فقيرة منعزلة عن العالم وذات حظ متواضع من التقدم، فأغناها ووصلها بالدنيا كلها وجعلها محط أنظار العالم ومكنها من سبل التعليم والتطبيب والإدارة الحديثة والعمران الشوسع؟ لقد هذا يجوز أن نتساءل إن كان النفط نعمة أم نقمة؟

وهنا يعمد الأستاذ ابن خميس إلى وضع أيدينا على سر هذا التساؤل عندما يقول بصريح العبارة :

« فاجأتنا ثروة الزيت ونحن نزرع ونأكل، ونصنع ونستعمل، وننسج ونلبس، ونربي الماشية ونرعاها، فنستفيد فوائد متعددة منها ونتشبث الأسرة كلها... كادحة، منتجة، جلدة، خشنة، ونعيش البساطة في مظاهر حياتنا كلها، وحمانا مهاب، وكياننا مرهوب... فما الذي حدث بعد اكتشاف الزيت، وانثيال ثروته في مجتمعنا؟ إن أول هدف من أهدافه هو اختفاء المظاهر التي عددنا آنفا. والهبوط بتلك الأمة الكادحة المنتجة القوية الجلدة إلى درجة من الخمول لا تحسد عليها ».

ويمضي ابن خميس في معالجته الاجتماعية الصريحة هذه قائلا أن الأمة لا تعتبر متقدمة حقا

« ولو سكنت ناطحات السحاب، وامتطت المراكب الفارهة، وانغمست في ملذات المدنية وأرائك الترف. فلتها قشور يأتي عليها يوم فتذهب، لتعود الأمة تفتش عن ذاتها وتبحث عن مقوماتها فلا تجدها... وهل النهاية إلا ذلك؟ ».

ويعقد مقارنة بين انتاجية أمم الصناعة واستهلاكية مجتمعات النفط، يقول :

« لماذا الولايات المتحدة، والألمان، واليابان؟ وهم أكثر منا ثروة وأعرق مدنية، لم تلههم هذه المظاهر عن العمل؟ مما جعلهم يغرقون أسواقنا بمنتجاتهم الزراعية والصناعية ».

ويمتصون ثروتنا .. ويضعونها في الوجهة التي تتلاءم وسياستهم ؟.

ومن منطلق هذا التساؤل وهذا التحليل شارك الأدباء السعوديون في هذا الاستفتاء المصيري ، في تلك الحقبة من تطور المجتمع ، فكيف جاءت اجاباتهم وكيف بدت رؤيتهم لهذه المسألة المتعددة الجوانب ؟

يرى الاستاذ محمد عمر توفيق ان النفط ثروة محايدة يمكن ان نستغلها في الخير والاصلاح ويمكن ان نهدرها في الترف والخمول . فالبحث إذن ليس في الثروة من حيث هي ، وانما في طريق استثمارها ، وفي نوايانا نحن .. هل نحن مجتمع صالح وأفراد صالحون نعرف كيف نتصرف بما في ايدينا من ثروة أو وطنية فإن العلاج الناجع يجب أن يتركز في اصلاح الفرد والمجتمع قبل كل شيء ، وقبل البحث في موضوع النفط كشيء منفصل بذاته . فإن صلحت الأمة ، صلحت طريقتها في استثمار ثرواتها كلها ومقدراتها كلها من نفط وغيره .

وينبه الاستاذ محمد أحمد جمال الى ضرورة الاستفادة من عنصر الزمن بوضع خطة تنمية شاملة زراعيا وصناعيا ، ذلك أن تأخير هذه التنمية هو الذي يبرز سلبيات النفط في مجتمعاتنا ويقلل من ايجابياته .

ويشارك الاستاذ غزالي حرب في هذه الدعوة رابطا بين انطلاقات التنمية وآداب العمل المنتج في الاسلام ، بحيث يغدو النهوض للتنمية واجبا اسلاميا مقدسا .

أما الاستاذ علي الحصين فيرى انه « كان من الممكن ان تكون فائدتنا من الزيت اعظم لو اتخذنا للامر عدته ، ولو حاولنا ان نجعل من التطور الذي احدثه الزيت في حياتنا تطورا جذريا يصل الى الاعماق ، ولا يكتفي بالسطوح ، يعنى بالمخبر قبل عنايته بالمظهر ، ويهتم بالألباب قبل ان يلتفت الى القشور » .

وهو يرى انه حتى العناصر المنتجة في مجتمعاتنا قد نقصت قدرتها على الكدح والانتاج بعد اكتشاف النفط . ذلك « ان تجار وفلاحي عصر الزيت هم قوم مترفون ، مرهفو الاحساس ، تؤذيهم ادنى حادثة ، وتزلزلهم اقل نكبة ، ويحد من محاولاتهم ما يتوقعون حدوثه من تغير الأسواق ، أو ركود التجارة ، أو قلة المحصول » .

عبد الله عمير — حسين مرشال



وهذا التحول غير المقدر على الشباب والصغار من شأنه أن يفقد الأمة ثقتها .

صفات الكفاح والصمود والمثابرة والجهاد .

ويضيف ... التحكم العام المتعاظم .

أما الاستاذ محمد عبد الله آل عمران فينظر للأمر من زاوية تنموية فيقول :

« أوجدوا جيلا قويا مثقفا واعيا » .

ويرى أن الأمل استثمار النفط هو في بناء هذا الجيل ، لا بناء العمارات العالية ويعتقد أن جزءا من هذا الأمل قد تحقق بعد عشرين عاما . فها نحن نرى هذا الجيل يتقلد زمام العمل والانتاج في مجتمعاتنا ، وإن كانت الدعوة ما تزال قائمة لمزيد من التربية المثمرة الحقيقية .

وينبه الاستاذ محمد بن عبد الله حميد منذ ذلك الوقت الباكر ، إلى امكانية نضوب آبار النفط ، ويطالب بأخذ العدة للأمر وبالاتجاه نحو اقتصاد الانتاج ، والتقليل من نزعة الاستهلاك ومن

« اعتمادنا المطلق على منتجات الدول الخارجية من ضروريات وكماليات » .

وبرغم ما تحقق من تنمية وتصنيع ، فإن هذا التنبيه وهذه الدعوة ماتزالان جديرين بكل اهتمام .

ويقوم الدكتور يوسف الحميدان بتشريح الظاهرة النفطية فيرى أن خير النفط يتركز في كونه :

« قوة اقتصادية بحتة ، وقوة سياسية احتياطية ، وقوة اجتماعية بناءة » .

أما شره النسبي فيتلخص في آثاره الوقتية على المجتمع الراهن . وقد تمثل في :

١ ـ تدهور الزراعة والصناعات المحلية لانشغال الناس بالنفط واعتمادهم على دخله .

٢ ـ تدهور الثروة الحيوانية .

٣ ـ انشغال الافراد بالقشور من المدنية دون اللب ، وعليه فإن الواجب كما يقول وضع (عوامل تلافي مزالق الخطر) لاستخراج خير النفط ، والقاء شره .

ويميل الاستاذ عبد العزيز عبد الله الربيعي الى الرأي القائل :

« ان مضرته إلى الآن أكبر من نفعه » .

ثم يضم صوته الى صوت المنادين بالاسراع في التنمية الشاملة التي أخذت ملامحها تظهر بعد هذه الدعوات المخلصة الجادة .

ويتناول الكاتب الساخر الاستاذ حسين سرحان هذا الموضوع بريشته الشيقة ، فلا يدخل في تنظير ونظريات وانما يعود بذاكرة الحبة الى عهود ما قبل النفط عندما كانت البلاد تنتج بسطها وملابسها وحيواناتها ومزروعاتها دون أن تحتاج الى استيراد الكثير من الحاجيات .

أما الجديد في رأي الاستاذ محمد علي السويدي فهو اشارته الى اهتمام أصحاب رؤوس الاموال عندنا بالربح العاجل السريع في المشروعات الجانبية والاستهلاكية والطفيلية ، وعدم توجيههم الى استثمار رساميلهم في المشروعات الانتاجية الأساسية الطويلة المدى والأمد وهي المشروعات التي قامت على أمثالها نهضة الغرب الصناعية .

وينظر الاستاذ علي حسن فدعق الى المسألة من زاوية تاريخية مقارنة فيخرج علينا بهذا الرأي المتميز الذي أخذ الكثيرون يتمثلون به في أيامنا الحاضرة . يقــول :

« اعتقد ان الجزيرة العربية شهدت منذ نشأتها حتى اليوم حدثين خطيرين في تاريخها الطويل .. الحدث الأول هو رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .. والحدث الثاني هو ظهور الزيت

في الجزيرة العربية ، مما جعلها محط انظار العالم ، .

ولكن هذه المقارنة يجب ان ترتبط بتحفظ أساسي . وهو أن الحدث الاول ، أي الاسلام ، عندما جاء فرض على الامة الجهاد والعمل والتحضر فجعلها أمة حية وفاعلة في التاريخ . اما الحدث الثاني ، أي ظهور النفط ، فقد ارتبط حدوثه بالاتجاه الى الدعة والترف وقلة الانتاج في البداية على الاقـل .

فاذا اردنا ان تستقيم هذه المقارنة فلا بد أن تتحول الامة بتأثير النفط الى أمة منتجة عاملة لا أمة مستهلكة . وإلا فان هذه المقارنة ستبقى مقارنة عكسية بمعنى أن النفط ابعد الامة عن روح الجهاد وحب العمل وغير ذلك من قيم الحدث الاصيل الاول الذي هو الاسلام . فعلى النفط أن يعلن اسلامه بهذا المعنى .

ويرى الاستاذ فدعق أن ظهور النفط نعمة ، ونعمة كبرى بلا ريب ولكن : « نحن الذين جعلنا حصيلة الزيت استهلاكية كلها في الشباء لا تعود على مستقبلنا بأي فائدة ، واهملنا هذا الجانب الانتاجي من حصيلة الزيت » .

ويخالف الاستاذ ابراهيم المحرج الرأي القائل ان النفط هو السبب في صرف الناس عن الاشتغال بالزراعة والصناعة . فلو انا وفرنا للعاملين في الزراعة والصناعة المستوى ذاته المتوفر لعمال النفط لما تركوا زراعتهم وصناعتهم وتهافتوا على



المدى في ميدان النفط دون سواه . فيصيب الاهتمام الزراعة وكافة قطاعات الانتاج بشرخة (...)

ويرى الاستاذ ... هذا الرأي غير سليم .

نامت مواردنـــا الاخـرى ، بمعنى أن النفط استحوذ على اهتمامنا وكفى حاجياتنا المادية فلم نلتفت الى ما في بلادنا من مصادر ثروة أخرى ربما كانت أقدر على الاستمرار والانتاج من النفط ذاتــه .

على هذا النحو سارت هذه الاجابات التي تمثل في نظرنا بواكير الوعي البترولـي في قلب الجزيرة العربية .. وكما نرى فانها آراء لا تفتقر إلى الحدة ، ولا إلى العمق ، ولا إلى الصراحة . وكل من يريد من باحثينا الشباب معالجة "الظاهرة البترولية" أو جانباً من جوانبها ، في سلبياتها وايجابياتها ان يعود الى هذه الآراء والنظريات التي احسن الاستاذ عبد الله بن خميس صنعاً عندما جمعها في كتاب حديث ضمن سلسلة كتاب الشهر الذي يصدره النادي الادبي بالرياض . فتاح لجيلنا أن يتعرف على الافكار الرائدة لجيل الآباء من حملة القلم . فيتواضع امامهم رغم ما يحمله من مؤهلات ودرجات ويتمتع به من معاصرة لأحداث اليوم ... ويستمع الى ذلك الصوت النبيل القادم من جيل شهد اصالة الحياة الكادحة الخشنة السبيقة ، فلم يغتر ، كما اغتر بعض جيلنا ، بما شاهد من مظاهر العمران ومغريات الترف .

ثم انها شهادة تاريخية للادب السعودي تثبت من خلال ثلاثين عموداً ادبياً وفكرياً ، ان هذا الادب لم يكن بمنأى عن المسألة النفطية ، وانه كان يعالجها ويحللها ويتأملها منذ البدايات الصعبة .

اما الفضل الاكبر فيعود بلا ريب للاستاذ عبد الله بن خميس الذي أثار هذه القضية الملحة في صحيفته قبل عشرين سنة والذي ظل مرتبطاً بها ليطرحها من جديد بعد عشرين سنة . فله فضل سبق الرواد في الحالتين .

د . محمد جابر الانصاري

كان الرجل أول سفير لبلاده في تلك الدولة الاوربية وكان يعلم جيداً أن الصحف الغربية قد درجت على إثارة الشائعات حول عادة أكل لحوم البشر في بلاده ... وعلى ظهر السفينة وهو في طريقه إلى مقر عمله اتاه خادم المطعم بقائمة المأكولات فنظر إليها ملياً ثم قال :

« لا تحوي هذه القائمة شيء يناسبني ... اعطني قوائم الركاب » .

اتصل مدير البنك بالمستر ليفي هاتفياً ليبلغه ان حسابه مكشوف وان مجموعة الزائدة بلغت المئتي جنيه ودارت بينهما المحادثة التالية :

المستر ليفي : ما هو الغريب في الامر ؟

المدير : الا تدرك خطورة ان يكون حسابك مكشوفاً ؟

المستر ليفي : كم كان رصيدي في الشهر الفائت ؟

المدير : كان رصيدك مستعملة جنيها .

المستر ليفي : هل حدث ان اتصلت بك إلفت نظري لهذه الحقيقة ؟

غضب اليهودي من مواطنه حين طلب تشهيل الزواج والفجر ابنه حاسماً :

كيف تدعي حبه التي وتختار لي عروساً على هذه الدرجة من الدمامة وسوء الخلق

فاجابه مدير المكتب قائلاً :

لا داعي للهمس فهي فاقدة لحاسة السمع أيضاً .

كان الضابط يستعرض الشكاوى التي تقدم بها الافراد فرأئه فتقدم إليه احد الجنود وشكا من وجود كميات من الرمل في المرق .

فرد الضابط عليه : لا تنس انها الجندي إنك موجود هنا للتدريب على خدمة وطنك .

فاجاب الجندي : نعم سيدي لاخدمه ... وليس لآكله .

العدمية في الأدب

نعمان عاشور

لقاء مع المازني

بدأ تأثري بالمازني مبكرا في اوائل الثلاثينات .. وكنت لا ازال في مراحل دراستي الثانوية ونحن لازلنا نقيم في مدن الريف ولم نغادرها الى القاهرة بعد . وكان اهم ما لفت نظري اليه وحببني فيه .. ما كان يقدمه من ترجمات لبعض الاعمال الادبية العالمية من القصص والكتب واحيانا الروايات تنشر في « السياسة الاسبوعية » وفي بعض مجلات دار الهلال وغيرها . وبأسلوب غير مسبوق يجمع بين دقة التعبير وسلاسة السرد ، وبساطة اختيار العبارات والالفاظ .. وزاد اهتمامي به صديق أهداني أستاذي مصطفى عبد اللطيف السحرتي وكان موجهي .. الاول في دراستي للادب وتعلقي به .. كتابيه الشهيرين « قبض الريح » و « حصاد الهشيم » وكان أستاذنا « السحرتي » لا يزال يفتح مكتبه للمحاماه في المدينة ويحاول جاهدا ان يدفعني للقراءة .. انه من مواليد بلدنا ومن القلائل الذين يخلصون في رعايتهم لكل اديب ناشيء .. وكانت طريقته ان يعيرني الكتاب الذي اقرأه . ثم نلتقي في المساء على النيل او فوق الكوبري الفاصل بين بيت غمر وزفتي او في رحاب عبد العزيز المنتشرة حول الساحل .. في احضان الطبيعة .. وهي اقوى ما تلقاه في أدب السحرتي وشعره الباكر .. ويروح يناقشني فيما خرجت به من الكتاب .. والحق انني لم أطلع كثيرا بكتابي المازني .. لا بحصاد الهشيم ولا بقبض الريح ولعل السبب كان لانني قليل الميل الى ما عرفناه بعد بأنه من ادب المقالات

وكان كتابا المازني يحملان هذا الطابع رغم ما فيهما من جدة وطرافة ..

احتراف الكتابة

لكني عرفت المازني بعد ذلك من « الديوان » وهي الدراسات التي اخرجها مع العقاد للاعلان عن مدرستهما الجديدة في الشعر المناهضة للكلاسيكية شوقي وحافظ .. الشيء [illegible] رغم ارتباطه [illegible] بالعقاد [illegible] يمثل [illegible] الرواية .. وشاهدي على ذلك روايته « ابراهيم الكاتب » رغم موضوعها المقتبس .. فالمازني صاحب أسلوب روائي اكثر منه شاعرا او كاتب مقال .. لكن ظروف حياته وامتهانه للكتابة كحرفة الزمته ان يهدر طاقاته الخلاقة في بيع الكلمة لضمان القوت المتصل .. وهذه عتبة كبرى لا يدركها الا من عمل في الكتابة اليومية المتصلة لكسب المعاش وتغطية نفقات الحياة . ولهذا عشت من أيامها اتابع المازني في اعجاب يشوبه الاشفاق وأتطلع الى نفسي من خلاله . أو فرضي وأنني كما كنت أحلم أيامها . أصبحت مثله من الكتاب محترفي الاقلام . وهو ما حدث .. وما جنبني اياه تجربة المازني نفسه ولهذا ظللت دائما حريصا على التمسك بالوظيفة المضمونة الراتب ولم أحاول أبدا أن أتخلص منها الا قهرا .. فاحتراف الكتابة الادبية كان ولا يزال من مستحيلات مجتمعاتنا العربية .

تابعت المازني بعد ذلك فيما كان يكتبه في الجرائد اليومية . مقالات احيانا بامضاء واحيانا بدون امضاء وفي صحف متعارضة الاتجاه يعبر فيها عن مختلف هذه الاتجاهات رغم تناقضها ومع ذلك فلم أفقد تعلقي به .. كان المازني بكتاباته يكون ركنا ذاتيا في واعيتي الادبية المتفتحة .. وكنت أحس بكتاباته وسمتها وعزارتها وأسلوبه المتفرد بما لا أحسه بالنسبة الى الطليعة المهم من العمالقة الآخرين .. طه حسين او العقاد أو حتى توفيق الحكيم .. المازني كان شيئا آخر تماما .. كان صاحب أسلوب فني يستحيل أن يخرج الانسان قلمه من الغير أن يقلده فيه أحد . تقرأه فتحس وكأنك تأكل ما يشبه البسكويت في صالة الطعام .. فهي الشيء اللذيذ الطعم تحس الا تنتهي صفحاته لانه خال من كل العثرات . تراه مختلفة متعددة الالوان . لكنه يتماسك في نغمة متكاملة تأخذك الى آخر كلمة في آخر سطر فتجد نفسك في حاجة الى أن تعيد ما قرأته من جديد لانك لم تشبع منه بعد ..

عزلة المازني

هكذا كان تأثري بالمازني .. ولهذا اندفعت الى محاولة لقائه عدة مرات ولكنني لم أوفق .. لم يكن هناك من أعرفه وهو على صلة به .. والذين عرفوه كانوا يحذرونني منه . فالرجل نفور منعزل بطبعه عن معظم الناس ولا يطيق أن يتطفل عليه أحد .. انه حتى لا يكاد يقابل من يعمل معهم في الصحف ومن يكتب لهم

- كان صاحب أسلوب فني يستحيل أن تقلده فيه أحد
- سوات مختلفة متعددة الألوان لكنه يغلب عليه نغمة متكاملة
- السارق مرفوض ... والرجل المشهور منعزل بنفسه عن الناس



المازني

في المجلات وقد أرسلت له خطابا ذات مرة على احداها وهي جريدة « المقطم » أطلب لقاءه .. فلم يجبأ بالرد حتى وربما لا يكون قد استلم الخطاب .. كانت مثل هذه اللقاءات مع الكبار الذين نقرأ لهم ونأخذ عنهم ، من أهم ما يشغل تفكيري دائما ، لانني كنت أتطلع الى هؤلاء الناس باكبار وقداسة لا يعادلها الا اكباري لما يكتبون وتقديسي لما ينتجون .. وهذا في الواقع اتجاه عندي كان يلازمني دائما حتى بالنسبة لاستاذي في المدرسة .

مسابقة القصة

وفقدت الامل سنوات عديدة في محاولة لقاء المازني أو حتى رؤيته من بعيد .. ولعل الظروف الثقافية كان لها أكبر دخل في ذلك .. لان المازني في ختام حياته كان قد بدأ يزدري في داخليته ويأخذ مكانه كاتب جديد آخر هو توفيق الحكيم .. ومع ذلك تشاء الظروف وكان هذا على ما أذكر عام ١٩٤٨ أو قبلها بعام ، أن ألقى المازني وأن أجلس اليه ساعات طويلة وأن يدعوني الرجل الى لقائه .. كنت في ذاك الوقت قد انغمرت في كتابة القصص القصيرة التي تكونت منها مجموعتي الاولى « حواديت عم فرج » وكان قد نشر لي منها أكثر من قصة في المجلات العديدة التي كانت تصدر في تلك الايام . وحدث أن أعلنت الادارة الثقافية لوزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف كما كانت تسمي أيامها) أعلنت عن مسابقة للقصة القصيرة وحددت شروطها وجوائزها ولا أدري بالضبط ما الذي لفت نظري الى هذا الاعلان .. ربما لقلة

الصدمة في الأدب

أو تعذر الحصول على مجال للنشر .. أو لأنني كنت أيامها قد فرغت من كتابة قصة جديدة .. المهم أني اندفعت بعد إتمامها .. فأرسلتها من ثلاث نسخ على عنوان المسابقة .. وكانت القصة تدور حول أسطورة ريفية شائعة عندنا في القرى حول النيل .. مؤداها .. أن هناك جنية من جنيات الماء تسكن في داخل النيل وتطلع إلى الشاطيء بين وقت وآخر لتختار لها حبيبا من بين أهل القرية تأخذه إلى قاع النيل ليعيش معها في قصرها هناك .. ثم تعود بعد فترة ليعاود الحياة في القرية من جديد بعد أن تكون قد منحته ما لا يتوقع من أسباب المتعة والنعمة والثراء .. وحورت الأسطورة فجعلت الجنية تخطيء في الاختيار وتجتذب احدى فتيات القرية من اللواتي يملأن جرارهن من النيل .. لكنها لا تستطيع وتتسبب في غرقها .. ورحت أحلل الواقعة من أن الفتاة الغريقة إنما انزلقت إلى الماء بتأثير الأسطورة الشائعة وكما توهم الناس لأن الجنية جاءت فجذبتها من قدمها .. والسبب أن الجنية كانت تعشق خطيبها .. أي بدافع الغيرة منها .. وطبيعي أن أسفه ذلك في سياق القصة وأرجعه إلى سيطرة وهم الأسطورة على عقولهم وبالذات الفتاة الغريقة ..

الجائزة

مرت شهور .. ونسيت خلالها كل ما يتعلق بهذه القصة واشتراكي بها في المسابقة .. حتى كان صباح .. قدم ساعي البريد إلى منزلنا وكنا انتقلنا لسكن الجيزة .. وسلم والدي رحمه الله خطابا باسمي من وزارة المعارف لم يتردد والدي في فتحه فإذا به يفاجأ بوجود شيك بداخله بمبلغ أربعين جنيها وخطاب إخطار وتهنئة عن فوزي بالجائزة الأولى



العقاد

أبو حديد

مسابقة ... الخمسة عشر كانت ... وكان دائما يعتني من كثرة الكتابة والقراءة .. ويتطلع إلى تشجيعي على مواصلة ما أنا ماض فيه من كتاباتي .. وذهبت إلى الوزارة .. فإذا بي أفاجأ بأن الذي اختار قصتي لتمنح الجائزة .. هو المازني الذي كان يرأس لجنة تقدير الجوائز ..

وأخيرا جاءت الفرصة الذهبية للقاء الرجل .. ولكنهم قالوا لي إنه لا يحضر أبدا إلى الوزارة .. وأن القصص كانت ترسل إليه في منزله ويقرأها ثم يعيدها مشفوعة برأيه فيها .. أخذت العنوان .. كان في نهاية مصر الجديدة على أطراف الصحراء ولا أحد يعرف الوصول إلى البيت إلا سائق الموتوسيكل الذي يصل إليه مثل هذه المواد .. وكان السائق قد نقل ولا أحد يعرف له مكانا لكنها فرصتي الوحيدة ولا سبيل غيرها ولا مثلها لكي ألقاه .. كنت أيامها في غاية الزهو والفخر بما نالني من وراء تقديره مادية وأدبيا ..

وطفقت أسأل كل من أعرفه عن كيفية العثور على المازني .. وعن طريق الصداقة المحضة أخبرني صديق كان يعمل أيامها في الجامعة العربية على أن المازني يحضر يوميا إلى الجامعة بعد الثانية عشرة ظهرا لأنه يقوم بتقديم مواد مترجمة لهم هناك ..

مباغتة اللقاء

وكانت المباغتة بعدها مباشرة .. في اليوم التالي قصدت مبنى الجامعة العربية القديمة وكان يقع بالقرب من ميدان الأزهار وسط القاهرة .. وقفت على الباب ولم أبرح عن التحول نحوي لأن المازني لم يكن موظفا ثابتا في الجامعة العربية وصديقي الذي أعرفه والذي دلني على وجوده هناك .. لم يكن في مكتبه .. وظللت لأكثر من ساعة رائحا غاديا على الرصيف المقابل لمدخل الدار .. وبعد نصف ساعة تقريبا .. رأيته وهو يطلع السلالم الطويلة المؤدية إلى باب المبنى .. كان قصيرا نحيلا ويتعرج قليلا .. يمشي في هدوء وقت بدأ الشيب الخفيف يجتاح رأسه .. كان دقيق الخطوة يتطلع من حوله وكأنه يخشى أن يباغته أحدا أو شيء وكانت عيونه تبرق في ذكاء .. وهو يسير في مشية ظاهرة ويحمل في يده بعض الأوراق .. ترددت أن ألقاه على مدخل الدار .. ولكني ظللت أترصده وأتابعه حتى أصبح أمامي مباشرة نفس الرصيف وبيدالله ناديته لاهثا ..

— أستاذ مازني ..

التفت إلي واهما وهز رأسه .. ولكنه لم يتكلم ..

— تسمح لي أكلمك ..

— عاوز تقول إيه ؟

وسرت وتلعثمت •• ولم أجد ما أقوله •• فاستدار الرجل ليكمل سيره غير عابيء بوجودي •• وبعد لحظة •• يبدو انه قد أحس خلالها بأنني اتابعه •• التفت ورائي قائلا :

— انت مين يا ابني ••؟

وأسقط في يدي فوجدتني البادره خوفا من أن يضيع مني ••

— أنا كاتب قصة قصيرة •• حضرتك اديتني الجائزة عنها ••

— قصة ايه ؟••

— ام عويضه •• كانت في مسابقة ادارة الثقافة بوزارة المعارف ••

— موضوعها ايه ؟

— جنية الميه اللي بتطلع من النيل ••

— آه •• هو انت •• قصة كويسة •• انا اديتها الجائزة !!

— شكرا ••

ونظر الى نظرة فاحصة هذه المرة وهو يتطلع الى قامتي •• كنت أطول منه قليلا •• ثم اردف ••

— يا ابني انا لا اعرفك ••

— ولكني يا سيدي أعرفك معرفة جيدة وأعيش معك في كل خطواتك القلمية ••

وابتسم راضيا وهو يتمتم ••

— لا احسبها خطوات ثابتة ••

— يا استاذ انت اثبت من قرأت لهم ••

وهز رأسه وهو يدوس بطرف لسانه على شفته السفلى بما معناه •• « دعك من النفاق » ثم وضع يده في ذراعي •• وطلب الى أن أصحبه الى مقهى الحرية الجديد في ميدان الأزهار حيث تعود أن يجلس ليلتقط أنفاسه من التردد على الجرائد والمجلات التي كان يكتب فيها وكلها تقع قريبا من هذا الميدان ••

جلسة مع المازني

طلب لي مشروبا وطلب لنفسه فنجانا من القهوة السادة وكان قد وضع أوراقه فوق مقعد بجواره •• ثم فاجأني بسؤاله الفجيع ••

— انت عاوز مني ايه بالضبط ••؟

« لا.. لن تعرفني.. أنا نفسي لا أكاد أعرف نفسي.. وأفضل لو ظلت معرفتك بي مقصورة على كتاباتي »



المازني

لأنه لا يحب التملق والتكرار ••

— لو ان قصتك لم تعجبني لما منحتك الجائزة ••

— يا استاذي انما يسعدني أن أقول في يوم من الايام انني جالست المازني وتحادثت اليه •• وعرفته ••

— لا •••• لن تعرفني •• أنا نفسي لا أكاد أعرف نفسي •• وأنا أفضل لو ظلت معرفتك بي قاصرة على ما أكتبه •• اما أنا شخصيا فلا فائدة لك من معرفتي ••

— اتلمذ عليك ••

— سخافة •• الكاتب او الفنان لا يمكن أن يكون تلميذا لأحد •• هذا ضد طبيعة الأدب وحقيقته •• الاديب خالق نفسه •• اعني صاحب انتاج لا يصدر الا عن نفسه مهما تأثر بالآخرين ••

واستمرت جلستنا أكثر من ساعة • كان يصمت خلالها أحيانا لفترات طويلة ولكني كنت انتزعه من صمته باسئلة مباغتة •• ولم يحدث أن أجابني عن احداها بالموافقة أبدا •• انه يتناقض مع كل ما هو سائد أو متعارف عليه من الآراء الدارجة •• ومن الواضح أن فلسفته بالنسبة لعديد من الامور فلسفة ثابتة لا تحتمل التغيير •• لكن الشيء الذي استلفتني حقا في المازني •• انه يقول ما يكتب •• اعني أن كتاباته تستمد الوانها من فكره وهو فكر سوداوي حاد يميل الى ما تسميه المدمية •• تساندها في ذلك سخرية قاسية يخيل اليك معها أن الرجل قد مل الضجر •• لكنه مع ذلك لا يخلو من نفثات العاطفة والاحساس الدائم بحيوية ما حوله من الكون •• وقد ازعجني وهو يهب واقفا ليدفع الحساب للجرسون •• ثم يعتذر عن عدم امكانه متابعة الجلوس وسط كل هذا الضجيج الذي يعم المكان •• وطلب الي أن أظل جالسا ولا ألف لتحيته •• وخرج مسرعا وانا اتابعه في استغراب وذهول •• وكان أول ما فعله حين أطل على الشارع ووقف فوق رصيف المقهى أن نادى تاكسيا وركب في الحال ولم يلتفت وراءه لتراني •• بل ذلك الى تقصده في السيارة •• وقع في ركنها القريب غارقا في صمت ووجوم •• وأنا أسائل نفسي. هل هذا هو المازني ؟!! وصدت ادراجي لأسترجع جلستي معه •• ولا تزال ترن في اذني حتى اليوم وبعد طول هذه السنين اجابته المفجعة « لا ••••• لن تعرفني ••• انا نفسي لا أكاد أعرف نفسي » •

نعمان عاشور

الهيكل •• أيتها الجبال دعيني أحيك

كي يذاب سبحة من الاساطير والهمسات

دعيني احيك في الراكبين كما الفلاح وادعه

لاحيك التهاليل بين خافقات الهواء العطر

قصيدة « لبنان »

بالفرنسية للشاعرة : ناديا تويني

د. عبد الجليل شلبي

المستشرقون والإسلام

اصبحت كتابات المستشرقين عن الاسلام ذات اهمية كبيرة ، ويجدر بنا نحن المسلمين ان نعنى بعرضها وبتفنيد ما تغص به من افكار جامحة أو اتهامات للاسلام لا دليل لهم عليها فكتب المستشرقين الآن تنتشر انتشارا واسعا في الاقطار الشرقية والعربية على السواء ، وقد نجحت نجاحا كبيرا في تشويه الاسلام والعقد عنه، ومن المؤسف ان اللغة العربية لم تلق الى الآن تقدما في البلاد القاصية عن المحيط العربي ، فقد عمل الاستعمار على خمسها وحال بين الشعوب التي استولى عليها وبين اللغة العربية حتى ان بعض الدول الافريقية كانت تكتب لغتها بالحروف العربية فجبرت على كتابتها بالحروف اللاتينية ، فكان حائلا اخر دون تعلم العربية ، والذين يرغبون ان يقرأوا شيئا عن الاسلام مضطرون ان يقرأوه في كتب المستشرقين ، فيقرأون تهما مفتراة ومعايب مفتعلة ، فلا تتجه نفس واحد منهم الى معرفة كثير عن الاسلام فضلا عن اعتناقه أو الدفاع عنه .

ويتخذ المبشرون — وما اكثر مدارسهم واوسع نشاطهم — من كتب المستشرقين عونا لهم على رسالتهم ، وهم لا يبشرون ويدعون بقدر ما ينفرون من الاسلام وينالون من نبيه والمستشرقون والمبشرون ظلوا ردحا طويلا من الزمن أعوانا للمستعمرين فقد كان هؤلاء يشنقون كل جماعة اسلامية وكل دعوة تعرف بالاسلام وتشرح حقائقه ، فيعملون بمختلف الطرق والوسائل على قتل هذه الدعوات او اضعاف نشاطها ، ويجدون في المبشرين والمستشرقين وسائل فعالة لما يريدون . وكثيرا ما بذلت الاموال

> **يتخذ المبشرون من كتب المستشرقين عونا لهم على أداء رسالتهم**
>
> **المبشرون والمستشرقون ظلوا ردحا من الزمن أعوانا للمستعمرين**

لمؤلفي الكتب التي تطعن الاسلام ، وللعاملين في المدارس والمستشفيات التبشيرية، ثم قام النشاط الصهيوني بأعمال اوسع واعمق واتخذ اساليب ملتوية مضللة ولكنها تنتهي الى طعن الاسلام وتشويه تاريخه وتصويره بصور منفرة رهيبة . وهذا النشاط الآن يكل فروعه اكبر حجما واوسع دائرة مما كان في أي وقت سابق

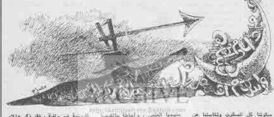
الكتب المريبة

ونستطيع ان نقول في اجمال ان المبشرين والصهيونية السافرة والمادية المجرمة الطاغية ، كلها ترمي غرضا واحدا هو الاسلام . وكل فرع من هذه الانشطة يحتاج الى شرح واسع وبيان مستفيض ولكن حسبي الآن ان اشير اليها مجرد اشارة ، فاني لست بصدد الحديث عنها ، وانما اذكر ان الكتب الاستشراقية وسيلة من وسائلها جميعا . فاذا لم يكن في استطاعتنا ان نفتح مدارس وننشيء مستشفيات، ونعلم لغتنا على نحو ما يفعلون فليس ما نفعله هو ان نبين ما في كتبهم من زيف ، وان نظهر براءة الاسلام وطهارته، وسموه ونزاهته مما يقولون .

وليست ردودنا هذه ضائعة هباء ولا قليلة الفائدة ، بل هي ذات فوائد في العوالم النائية وفي عالمنا العربي ايضا .

ان طلابنا في الجامعات تضطرهم دراساتهم للفكر الاوروبي الى قراءة ما يكتب اعلامه ، سواء في ذلك ما يتناول الاسلام مباشرة او ما يناله من طريق غير مباشر ، حتى القصص التي هي عماد الادب الاوروبي كثيرا ما تحوي الصادا ، واتجاها ماديا بحتا ، وكثيرا ما تمس قوانين الاسلام ونظمه وقراء هذا الادب من ابناء جامعاتنا الشرقية ليس لديهم دراسة اسلامية تمكنهم من الدفاع عن دينهم ، وربما احرجهم بمحتويات هذا الادب من ليسوا من المسلمين ، والكتب الاوروبية التي تؤلف في أي من لغاتها تقرأ في اللغات الاوروبية الاخرى وتدرس في مدارسها ، وطلابنا في الجامعات الشرقية يقرأون على سبيل المثال في اللغة الانجليزية آثار تولستوي ، وجوركي، وسارتر ، ومورافيا ، وكيركه جارد ، وليس فيهم واحد انجليزي ولا كتب شيئا باللغة الانجليزية، والوجوديون والماركسيون تنقل كتبهم الى لغات عديدة منها اللغات الهندية المتعددة، والملاوية والماليزية والاندونيسية ، واللغات الافريقية من السواحلي والهاوسا والفولاني وغيرها . ولا ييأس مترجمو هذه الكتب اذا لم يجدوا قراء كثيرين أو يحكوا فيما بعد قراء كثيرين ، وهو نشاط مستمر على أي حال ، فيا عجبا من تصالح القوم وتحاورهم على الباطل ومن

- في كل أنحاء العالم مسلمون متطلعون للرد على المستشرقين
- علينا أن نستفيد من مناهج البحث الاستشراقي ونوجهها الى الصواب



سكوتنا كل السكوت وتكاسلنا عن الحق !! .

على اننا نجد في كل جوانب العالم مسلمين متطلعين الى الرد على المستشرقين ، ويسرون جدا حين يظفرون بما يفند ما لهم من اباطيل ، ووجود قارىء عربي او نفر قليل ممن يقرأون العربية يؤدي جانبا كبيرا او غير كبير من واجب المسلمين نحو الدفاع عن دينهم ، ولقد كتبت مرة في مجلة الدعوة ـ السعودية ـ ردا على المستشرق الانجليزي ـ الفريد جيوم ـ فتلقيت رسالتين من جنوب افريقية كيب تاون ومن كوالا لامبور ـ كل منهما يخبرني انه اتخذ من هذه المقالات دروسا يلقيها على طلاب المدارس ، لانهم يقرأون كتب هذا المستشرق ، واذن فكتابتنا العربية تجد لها صدى ان لم يكن له كل الفائدة فله فائدة ما .

الروايات الواهنة

وهناك شيء لا ينبغي ان نتغاضى عنه في كتب المستشرقين ، وهو منهجها العلمي ، والمامة مؤلفيها بالمراجع المتعددة ، وهضم الموضوع الذي يتعرضون له ، والربط بين اطرافه ، ومحاولة ايجاد صلات بين احداث التاريخ ، ولكنهم لكراهيتهم للاسلام ولما وقر في اذهانهم عنه يبحثون عن هنواته ، ويتصيدون الروايات الواهنة والاقوال المرجوحة ليتخذوا منها سندا لما يريدون . فاذا تغاضينا نحن عن هذه المغالطات او كشفنا ما بها من فساد وجدنا منهجا دراسيا يجب علينا ان ننتهجه ولسنا جهدا كبيرا في البحث والتنقيب وفي حسن العرض والتبويب فضلا عن الفهارس الوافية الدقيقة ، وتصنيف المراجع وبعد الاستنتاج . وهذا ما ينبغي ان نستفيده وننسج على منواله ، وان كنا نختلف معهم في النتائج والاغراض .

كان الفريد بتلر يعيب المؤرخين العرب انهم كتبوا التاريخ الاسلامي من جهة واحدة ، واغفلوا الجانب المعارض ، وبهذا قدموا صورا تاريخية غير وافية ، فقد ذكر هؤلاء انتصارات المسلمين على الفرس وعلى الروم ووصفوا شجاعة الجيش الاسلامي تارة وتضحياته الاخرى ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عن حال الدولتين العدوين واسباب فشلهما وهزائمهما ، وقد افتتح هو كتابه « فتح العرب مصر » بحديث مفصل عن الوضع الذي كانت عليه الدولة البيزنطية ابان الفتوحات العربية ، وتحدث عن كل من الامبراطورين فوكاس وهرقل حديثا شائقا لا يستفيد منه المؤرخ فقط بل يستفيد منه كل حاكم وكل باحث اجتماعي او رجل سياسة . ولست اعني ان هذا الكتاب قد خلا من النقد والعيوب ولكن منهجه كان ذا اثر في توجيه من تناولوا هذا الموضوع وامثاله من بعده .

ماذا الحيلة ؟

واذن فعلينا ان نستفيد من مناهج البحث الاستشراقي بقدر ما

● [illegible]

● حول التوفيق بين اراء المسلمين .. والباحثين الاوروبيين

علينا ان نمحص اراء المستشرقين ونردها الى الحق والصواب ·

مشكلة متكررة

والمشكلة المتكررة امام المستشرقين دائما وعلى مختلف اقطارهم هي من اين حصل محمد (ص) على هذه المعلومات التي جاءت في القران ·

هناك امران بارزان استوقفا نظر المستشرق الايرلندي " منتوجومري وات " هما دعوة النبي محمد (ص) الى التوحيد المطلق ـ بمعنى ان اله العالم كله اله واحد ، وهو اله مجرد من المادة ومن التركيب ، والامر الثاني ما جاء في القران من حديث عن الامم السابقة وعلى الاخص انبياء بني اسرائيل ، واعمال المسيحيين ·

وغرابة المسالة الاولى في نظره مما كان معروفا لدى اليهود من ان يهوه كان اله اليهود وحدهم ، وظلوا على ذلك ردحا طويلا من الزمن حتى بعد انقسام الدولة الى مملكتين ، ثم كان النبي اليجا اول من جهر بانه اله العالم كله ، وجهر هذا النبي بشيء اخر كان غريبا على اليهود ايضا ، وهو ان حكم الاله يجري على الملوك كما يجري على ابناء الشعب ، ومعروف ان الملكة ايزابلا وزوجها احاب قررا قتل هذا النبي واضطر الى الهرب من البلاد ·

وبهذا نرى ان الديانة اليهودية لم تكن ديانة موحدة بالمعنى الحقيقي انما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها ـ فقد كان لدى الاخرين الهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم ـ كل له اله خاص ، واذن فالتوحيد الاسلامي نوع فريد في كل ما اعلنه من صفات الله خالق الكون سبحانه ·

واما المسالة الثانية فان القران لم يذكر فقط قصص الانبياء الاسرائيليين او رسل المسيح ، بل ذكر قصص هود وصالح والخضر وشعيب وسبأ ·· والكتاب المقدس اقتصر على ذكر الشعب المختار وتاريخه ، وهو لم يتم بوضعه الحالي الا بعد القرن الثاني الميلادي ·

وهذه الحيرة كما ذكرت ليست خاصة بواحد من المستشرقين ، ولكن اجاباتهم عنها تختلف بين كاتب واخر ونظرا لانهم ينكرون الوحي السماوي على نحو ما يفهمه المسلمون ، فهم يبحثون عن مصدر هذه المعلومات ، ولا يزالون مختلفين فيما يستنتجون

التراجم الشائعة

وقد عرض « وات » في كتابه « محمد في مكة » ابرز المستشرقين الذين تعرضوا لمثل هذا الموضوع ، فرشاخت الالماني ولامنس الفرنسي وجب الانجليزي وغيرهم ، ولست ادري لماذا اهمل استاذ « بل » وهو لم ينشر كتابه الا بعد ان عرضه عليه ليعد ان عدل له كثيرا من ارائه ، كما انه اهمل الصديق الحميم الاستاذ وهو اربيري وكلاهما له ترجمة تراثية ، وكلتا الترجمتين مشحونة بالاخطاء ، وزاد « بل » ان نقل ايات من موضع الى موضع اخر كي تكون الايات ذات الموضوع الواحد مجمعة بعضها بجانب بعض ، وهو خلط غير مقبول ·

وقد انتهى وات الى ان محمدا نال معلومات ممتزجة من اليهودية والمسيحية معا ، وفي سبيل الاستدلال على ما اراد بذل جهدا واسعا ، وقال انه يحاول في التوفيق بين اراء الباحثين الاوروبيين ، واراء المسلمين ، واخذ على نفسه اذا ذكر اية ان يقول جاء في القران ، ذلك ليتحاشى ان يقول قال الله او قال محمد ·

ومناقشة وات بها شيء من الجدة وقد سبق ان ناقشنا اراء الاخرين في كتابي ـ « الاسلام والمستشرقون » و « صور استشراقية » ـ وهي مناقشات ليست مكررة ، ولعلي اجد متسعا لعرض اراء وات ومناقشتها ·

عبد الجليل شلبي

التدخين.. أم العافية؟

يشكل التدخين خطرا كبيرا على حياة كل من يدخن ومن تضطره الظروف على البقاء في بيئة ملوثة بدخان السجائر، وقد تنبهت السلطات الصحية والحكومات الى الخطر الذي ينطوي على التدخين بالنسبة لصحة شعوبها وذلك منذ عام ١٩٦٤ عندما ظهر تقرير الجراح العام في امريكا متهما التدخين ومنذرا بانه اصبح وباء متفشيا لاسيطرة لاحد عليه. ولكن ما تم حتى الان ليس كافيا لتوعية الناس بخطر التدخين او للحد من نشاط شركات التبغ العملاقة ذات النفوذ والثراء، التي تروج وتسوق هذه السلعة الضارة بصحة الانسان والخطرة على حياته. ولو قدمت السجائر اليوم كنوع جديد من العقاقير او كمادة لاستهلاك الناس لرفضته السلطات الصحية، لانه اصبح عادة اجتماعية متأصلة في مجتمعات عديدة فقد اصبح اكثر صعوبة على السلطات ان تعالج المشاكل الخطيرة التي يسببها تدخين السجائر.

كانت التقارير السابقة توحي بان خطر التدخين يهدد الرجال بشكل خاص، ولكن اتضح الان ان الخطر يشملنا جميعا، رجالا ونساء واطفالا. وحتى الاجنة في بطون امهاتهم.

وكان الاعتقاد السائد - على ضوء تلك التقارير - ان الامراض المقترنة بتدخين السجائر كسرطان الرئة والنوبات القلبية وتصلب شرايين التاج وامراض الجهاز التنفسي وغيرها قاصرة على العالم الصناعي ومدنه الملوثة الى حد كبير. ولكن الامر ليس كذلك، فالدول النامية مهددة الان بهذا الوباء الذي يسببه الانسان لنفسه وغيره. وإذا لم تفعل شيئا سريعا ستواجه نفس المشاكل الصحية والاجتماعية والاقتصادية وبدرجة من الفظاعة اكثر مما يعانيه العالم المتقدم.



ولقد مات ملايين الناس كنتيجة مباشرة للتدخين، وتعاني ملايين اخرى مشاكل صحية دائمة، كما ان عددا لا يحصى من الناس يعاني من الاثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية للتدخين.

والسجائر غالية ليس فقط من حيث السعر وانما يكلف انتاجها الكثير ايضا وهي ترهق امكانيات الخدمة الصحية، والتي كان يمكن توظيفها في حل مشاكل اخرى، وهي تستنزف الاقتصاد من حيث العمالة، إذ ان التغيب عن العمل بين المدخنين اكثر منه بين غير المدخنين. فاذا لم تتحرك الدول النامية وتفعل شيئا سريعا، فانها ستواجه في ظرف العشر او العشرين سنة اعباء جساما من جراء الامراض المصاحبة لتدخين السجائر.

ان استهلاك السجائر في الدول النامية يزداد بشكل ملحوظ كلما اتجهت الشركات العملية ذات النفوذ والقوة الى البحث عن اسواق جديدة في العالم الثالث لا قيود تشريعية او رقابية على التدخين بها. ولان المستهلك في العالم الثالث يجهل اخطار التدخين، فهو يدخن انواعا من السجائر اكثر خطرا، فهي بلا فلتر، وتحتوي على ضعف كمية القار والنيكوتين، وسموم اخرى، موجودة في السجائر المطروحة للبيع في اسواق الدول المتقدمة. وما تقوم به شركات التبغ والسجائر انما هو التخلص من الانتاج الذي يحظر بيعه في العالم الصناعي باغراق العالم الثالث به.

والتبغ مصدر دخل كبير لعدد من الدول

التدخين..



في كل من الحقلين الصناعي والنامي، ولذا فإن كثيرا من هذه الدول لا يبدي استعدادا للتغيير سياسته، ولكن ذلك قصير نظر منها، لأن العائد السريع من التبغ والضرائب المفروضة عليه، ومن سمعة الشركات العالمية الكبرى لا يمكن قياسه بالأضرار الاجتماعية والاقتصادية والصحية التي يسببها.

ومن الضرورة بمكان أن تنشئ كل دولة سياسة حازمة للتبغ تتم بها حماية شعبها الآن وفي المستقبل. وقد بدأت منظمة الصحة العالمية حملتها الخاصة ضد التدخين تحت شعار: «التدخين أم الصحة»، وقررت يوم ٧ أبريل يوم الصحة العالمية لمكافحة التدخين، واتخذت تبث المعلومات والنصائح حول مشاكل التدخين ووزعتها على الحكومات والسلطات الصحية ووسائل الإعلام.

ومع أن التبغ قد أصبح متوفرا منذ القرن السادس عشر عندما جلبه المكتشفون والتجار إلى أوربا من أمريكا حيث وجدوا بعض مجموعات الهنود الحمر تزرعه لتدخينه في احتفالات معينة، فهو لم يصبح متفشيا بشكل وبائي في العالم الصناعي إلا بعد الحرب العالمية الأولى. وكان في البداية عادة رجالية، ثم دخلت المرأة عالم التدخين بعد أن صارت أكثر تحررا، وأصبحت تتحمل مسئوليات أكبر أثناء غياب الرجل في الحرب العالمية الثانية، ومن الطبيعي ما كان ممكنا في البداية معرفة الأخطار المصاحبة للتدخين السجائر، واستغرق ظهور آثاره الكاملة سنوات طويلة، واستغرق اقتناع أهل الطب والجمهور بالخطر المريع الذي يهدد به التدخين زمنا أطول.

السرطان وأمراض القلب

ولا يمكن اغفال أضرار التدخين فهو يسبب عملية مرضية تحدث تدريجيا وبانتظام ضررا لا يمكن علاجه، ويكون الأثر التالي معادلا بشكل أو بآخر للجرعة التي تراكمت عبر سنوات من التدخين.

وتوضح الاحصائيات أن التدخين يسبب بصورة مباشرة موت ٩٠٪ من المصابين بسرطان الرئة، وموت ٢٥٪ من المصابين بأمراض القلب، وموت ٧٥٪ من المصابين بالالتهاب الرئوي المزمن، ويعني هذا بتقدير متحفظ أن مليوني رجل وامرأة على الأقل يموتون كل سنة بسبب التدخين.

أما الأمراض الأخرى الأكثر شيوعا بين المدخنين فهي سرطان الشفة واللسان والفم والحلق والزور والمريء والمثانة. كما أن إصابات القرحة بين المدخنين في ضعفها عند غيرهم.

فالسجائر قاتلة بشكل أكيد. ومع ذلك فإن الملايين من الناس على استعداد لقبول مخاطره والاستمرار في ممارسة هذه العادة. وقد أجرت جمعية السرطان الأمريكية في وقت قريب مسحا

التدخين خطر على المرأة الحامل ويهدد صحة أطفالها
٧٧٪ من المدخنين يعرفون خطر التدخين .. لكنهم يدخنون







بين المدخنين تشجع منه ان ٧٧٪ يعتقدون انهم سيصابون بسرطان الرئة، ولكن ذلك لم يردعهم ليتخلوا عن الاستمرار في إدمان النيكوتين.

التدخين بين النساء

كانت التقارير الأولى التي شجبت التدخين توحي بأن المرأة مستثناة من الامراض المرتبطة بالتدخين التي تلحق بالرجل، ولكن تلك الاسطورة قد نقضها الجراح العام في الولايات المتحدة عندما قدم تقريره الثاني عشر قبل فترة وجيزة، والذي كان مخصصا للتدخين بين النساء.

وقد اوضح انه في الوقت الذي اخذ عدد المدخنين في الدول الصناعية يميل إلى الانخفاض، وان الذين اقلعوا عن التدخين هم من بين الرجال المتعلمين والمهنيين، فإن النساء قد تخلفن في هذا، وان اعداد المدخنات في تزايد بين من هن في سن السابعة عشر الى الرابعة والعشرين، واللاتي يزيد عددهن عن عدد الرجال المدخنين من نفس السن، وانهن يدخن بنفس الشراهة التي يدخن بها الرجال.

وربما كان ذلك لأن المرأة ترى في التدخين اسلوبا لفرض تحررها، أو تشعر بأن ذلك يجعلها تبدو أكثر تفتحا وشهرة وثقافة، حيث انها في الواقع تقع في براثن الإستعباد وتحكم على نفسها بالموت بسرطان الرئة والتهاب الشعب الهوائية، وامراض شرايين التاج.

ان خطر النوبة القلبية الحادة بين النساء اللاتي يدخن ٣٥ سيجارة او اكثر في اليوم الواحد ويستعملن حبوب منع الحمل في الوقت ذاته، هو اعلى عشرين مرة بالمقارنة الى خطره على غير المدخنات.

ولا يضر التدخين بصحة المرأة فحسب، بل هو خطر على قدرتها على الإنجاب، كما انه يهدد صحة اطفالها. فالحامل التي تدخن تزيد نسبة خطر الإجهاض، وولادة اطفال وزنهم اقل من الوزن الطبيعي، او ولادة طفل ميت، او ولادته قبل الأوان، أو موته في الشهر الأول بعد الولادة.

والعلاقة بين تدخين الأم وإصابات جهاز التنفس لدى الطفل واضحة جلية، إذ انه يصاب بضعف ما يصيب طفل غير المدخنة من نزلات حادة والتهاب رئوي.

ولذا يجب على الآباء والأمهات مراجعة موقفهم بحكمة، وذلك لصحة وسلامة اولادهم في العقد الأول إن لم يكن لصحتهم هم انفسهم.

التدخين والاطفال

لقد ثبت ان هناك علاقة وشيجة بين التدخين وامراض جهاز التنفس. ففي العام الأول من عمر الطفل يصاب طفل المرأة المدخنة بضعف ما يصيب طفل غير المدخنة من التهابات في الشعب الهوائية والتهابات الرئة، وهو فوق ذلك عرضة لامراض جهاز التنفس في المستقبل. وليست العلاقة بين تدخين الآباء والاطفال قاصرة على استنشاق الاطفال لدخان سجائر آبائهم فقط، بل هناك جانب ضار بشكل ايجابي، فالاطفال نادرا ما يدخنون في المرحلة الابتدائية من تعليمهم، ولكنهم يتأثرون فإذا كانوا يرون اباءهم وامهاتهم ومعلميهم والاشخاص الآخرين مرموقين يدخنون، فان الاحتمال الاكبر هو ان يبدأ الاطفال على تقبل هذا السلوك باعتباره سلوكا اجتماعيا مرغوبا ومطلوبا.

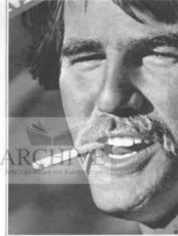
ولذا لابد من القيام بحملة ضد التدخين في حصص التربية الصحية ولكن الاطفال يتعلمون اكثر بالقدوة الحسنة.

وفي المرحلة الثانوية يزداد عدد المدخنين بين التلاميذ، ويستمر ٨٠٪ منهم في مواصلة هذه العادة عندما يكبرون، وكلما كان التدخين مبكرا، كان الموت اسرع.

ويتعرض الاطفال الذين يدخنون للكحة وامراض الصدر اكثر من غيرهم من اقرانهم، واكثر تهربا من واجباتهم.

والتدخين عند كثير من الصغار والكبار يعني النضج ورفعة الذوق وحياة الشهرة والمجد، وهذه افكار يروج

التدخين..



لها التليفزيون والسينما والصحف . وقد آن الأوان لتقديم صورة أخرى عن المدخنين ، تبرز انهم أضعف وأقل عافية من غيرهم ، كما يجب تقديم برامج تبرز إيجابيات الصحة الجيدة والتربية لتشجيع الأطفال وغيرهم على عدم التدخين .

شركات التبغ والدخان ذات الجنسيات المتعددة

تسيطر على صناعة التبغ في العالم سبع شركات ، تبيع ما جملته ٢٣ مليون دولارا أمريكيا في العام . وقد انتقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في واحد من أكثر التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة حدة ، هذه الشركات . ويرد في التقرير ، وهو عن تسويق وتوزيع التبغ ، أن الأرباح العائدة من زراعة التبغ في العالم الثالث تحددها بشكل كامل قرارات الشركات الأمريكية والبريطانية المسيطرة على السعر وكميات وتصنيع وتوزيع وتسويق التبغ في كل أنحاء العالم .

وتوفر الدول النامية في الوقت الحالي أكثر من نصف التبغ الخام لصناعة السجائر . كما يوفر العالم الثالث أكبر سوق لهذه الصناعة ، خاصة بعد أن أخذ استهلاك السجائر يهبط في العالم الصناعي .

وتقوم الشركات الغربية بتشجيع المزارعين في العالم الثالث على زراعة المزيد من التبغ بدلا من المحاصيل الغذائية . وغالبا ما تجد التأييد والسند من منظمة الزراعة والأغذية التابعة للأمم المتحدة .

وهذه الشركات السبع هي :
شركة التبغ الأمريكية البريطانية -
الشركة الملكية البريطانية
شركة فيليب موريس
شركة ر . ج . رينولدز
شركة جلف ووسترن
وشركة أميركان براندز بالولايات المتحدة
ومجموعة روبرت ورمبرانت وروثمان في جنوب أفريقيا .

وتنفق هذه الشركات العالم كله بمئات الأنواع من السجائر بميزانية للدعاية والإعلان تبلغ ٢ بليون دولار أمريكي في العام . وبنفوذها الساقط وبالضرائب والرسوم التي تدفعها للحكومات الوطنية . وتعتبر تجارة التبغ والدخان منها تجارة محصنة ضد التضخم والركود ، لأنها تبيع سلعة يدمنها الناس . ولذا يجدون سبيلا إلى اقتنائها حتى وإن كان ذلك على حساب ضرورياتهم أو أسرهم .

ولقد اشتهرت السجائر المستوردة في كل مكان بالشرق الأوسط . وتباع البلايين منها كل عام . ولا يبدو أن سعرها يشغل مشكلة المشترين ، إلا أن كثيرين يمضون في الهواء ربع دخلهم اليومي كل يوم . وقد أصبحت علبة السجائر الغربية رمزا لوضع الشخص ومكانته ، ودليلا على نجاحه في نظر الآخرين .

وقد واجهت شركات التبغ والدخان بعض النقد لنجاحها في الشرق الأوسط

- مطلوب حملات ضد التدخين في خضم التربية الصحية.
- متى يصبح عدم التدخين هو السلوك الاجتماعي العادي؟

إذ انتهجها الأوساط الصحية في الولايات المتحدة وبريطانيا بالأرجواحة .. فهي ترفع نسبة خطر المرض في الدول النامية ـ بعدما تمنع القيود في أوطانها .

ويروجها فريق آخر بأنها تغرق أسواق العالم الثالث بسجائر ذات نسبة عالية من القار .. وهو اتهام حقيقي وثابت .

ولكن شركات التبغ والدخان تدافع عن نفسها بأنها إنما تقدم للمدخنين ما يطلبونه : سجائر قوية ذات نسبة عالية من القار .

ومن المحزن أن شركات التبغ والدخان وبائعي السجائر أسرع نشاطا وتغلغلا في المناطق النائية من السلطات الصحية نفسها .. والتي عليها أن تغطي مناطق شاسعة بمواصلات ضعيفة .. ورغم ذلك كله عليها أن تصرف منها على التغذية والصحة والتخطيط الصحي .

وتشجع شركات التبغ الفكرة التي ترى في التدخين دليلا على الحياة العصرية الراقية .. التي تشهد بالتقدم .

وغالبا يصور التدخين في الإعلانات كعادة راقية تدل على الرجولة .. وتمنح المتعة .. وتقود إلى النجاح الاجتماعي والشهرة .. وتشتري هذه الشركات الرياضيين ومباريات كرة القدم ، وسباق السيارات ، ومعارض الأزياء ، ومسابقات اختيار ملكات الجمال .. كوسيلة لكسب شعبية واسعة لمصانعها .. وبذلك نجد الناس أنفسهم معرضين لكل وسائل إغرائهم وتشجيعهم على التدخين .. في عالم لا يفرض أية مسئولية على شركات التبغ لتبصير مستهلكي هذه السلعة بأنهم إنما يشترون موتا بطيئا ومؤلما وأكيدا .. ولا يزيد عدد الدول التي تفرض على منتجي السجائر أن يضعوا تحذيرا عن مضار التدخين وخطورة على علب السجائر وإعلانات التبغ عن عشرين دولة .. وظل منتجو السجائر ومؤيدوهم يدافعون عن حقهم في الترويج بحرية عن سلعة تسبب الموت والمرض .. وكانوا يحتجون بأن الناس قادرة على اتخاذ قرارات مسئولة وذكية .

تشريعات وخطوات للسيطرة على التدخين

يؤكد تقرير لجنة منظمة الصحة العالمية عن الرقابة على التدخين أن سن القوانين جزء حيوي في برامج الحكومات للسيطرة على التدخين .. ولكن أفضل ما يمكن عمله هو فرض الحظر الشامل على الترويج للدخان .. وهو مع الأسف غير ممكن بسبب القوة وضغط شركات الدخان .. الأمر الذي جعل حكومات كثيرة تبحث عن حلول وسط واتفاقيات اختيارية من جانب تلك الشركات لصرف النظر عن بعض أنواع الترويج حتى تتجنب فرض تشريعات تحظره .

أما الحل الجذري ، فمنع الإعلان عن السجائر في التليفزيون [illegible] [illegible] الصحف والمجلات .

ويمكن أن تقوم الحكومات بوضع جداول توضح نسب القار والنيكوتين في السجائر وتلزم المنتجين ألا يبيعوا أي منتجات تزيد نسبة القار والنيكوتين فيها عن الحد الأقصى الذي تعينه الحكومة .. وأن يتم تخفيض هذا الحد الأعلى تدريجيا حتى تقل حدة التبغ المشبع بالنيكوتين والقار إلى أدنى حد .

وزيادة في الحماية لعالم الثالث اقترحت منظمة الصحة العالمية ألا تسمح حكومات الدول النامية لأي منتج للدخان بتصدير تبغ لا يبيعه للمدخنين في بلده لارتفاع نسبة القار فيه .. وهذا الإجراء إن تم .. سيوقف إغراق العالم الثالث بما يرفضه العالم الصناعي .

ويجب على الدول النامية أن تدرك أنها ضحية لاستغلال شركات الدخان التي تدفعهم لزراعة واستهلاك التبغ ، مما يؤدي إلى معاناة مخاطر صحية وخسائر اقتصادية .. وأن تزرع محاصيل غذائية ونقدية بدلا من التبغ .. ويمكن لهذه الحكومات أيضا أن تزيد من إنفاقها على الصحة التربوية وتوعية المستهلكين .. وأن تضع الضرائب على السجائر .. وتسن تشريعات تحظر بيعه للأطفال .. وتدخينه في الأماكن العامة كوسائل المواصلات العامة وأماكن اللهو والترفيه .. وقاعات الاجتماعات والمصانع .. والمكاتب الحكومية .

ويمكن لمثل هذه القيود على التدخين أن تظهر للشعب أن التدخين عادة غير محببة .. وأن للناس حقا مشروعا في تنفس الهواء النقي .. والغاية من كل ذلك هو تغيير المناخ الاجتماعي حتى يصبح عدم التدخين هو السلوك الاجتماعي العادي .. وينظر إلى التدخين كسلوك غير اجتماعي تجب محاصرته داخل جدران منزل المدخن .. وهي غاية جريئة لكنها .. يمكن تحقيقها مع الزمن .

لقد كانت الأوبئة في الماضي بسبب المرض والجوع .. وتمكن الناس من السيطرة عليها بمجهودهم الإنساني .. لكن الإنسان قد تكفل بنفسه بهذا الوباء .. وبعد أن اتضحت النتائج الوخيمة لهذا المرض يستطيع الناس مرة أخرى استخدام قدراتهم وأن ينهضوا لوقف زحف هذا الوباء .. ويتطلب ذلك شجاعة وجهدا منسقا من كل الناس الذين يدركون معنى صحة الإنسان للصحة الجيدة .. ضد مصالح كبيرة نافذة وقوية .

وتذكر : التدخين أو الصحة .. ولك أن تختار

العلم ولعبة الأرقام



هل هي أدمغة إلكترونية ذات ذكاء مطلق - أم أنها مجرد خدم ماهرة تفعل ما تؤمر به فقط!

كانت البداية في عام ١٩٦٩ عندما جرى تكليف الشاب الأمريكي م. إي. هوف المتخرج حديثا من جامعة ستانفورد، بالإشراف على الفريق الذي يتولى انتاج المركبات المصغرة المستخدمة في الآلات الحاسبة المكتبية [illegible]

[illegible]

ومع جهود مضنية [illegible] على تركيب كافة عناصر الوحدة المركزية لمعالجة المعلومات على شريحة السيليكون [illegible] القلب الإلكتروني للعقول الحاسبة على تلك الشريحة [illegible] للأجهزة الحاسبة الإلكترونية

الانطلاقة

يحلول عام ١٩٧١ [illegible] الإعلان العلمي وعرف العالم لأول مرة [illegible] الحاسبة المصغرة ذات الشريحة الواحدة والتي اشتهرت تجاريا [illegible]

[illegible]

وفي عام ١٩٨٢ تم تصنيع الة الدروع لحل المعادلات المعقدة

[illegible]

النقلة الكبرى

[illegible]





العلم وقصة الأرقام

الدمغة الإلكترونية ذات ذكاء مطلق في حين ان معظم العلماء يرون فيها وحوشا صماء خرساء لا تأتي إلا ما تؤمر به دون أية اضافة ولا تجيد الا لغة الأرقام حيث يمكنها معالجة ملايين الاعداد في الثانية الواحدة وتخزين ومضاعفات وتحويل المعلومات في سرعة خارقة

عود على بدء

عرفت البشرية الحساب منذ فجر التاريخ فقد استدع انسان العصر الحجري تقويما قمريا بتخطيط مراحل القمر على عظام الحيوانات كما حاول البعض استعمال قطع الحصى في مجالات العد والاحصاء من وراء الكلمة اللاتينية لحساب التفاضل والتكامل تعني الحجارة كما وان الصين القديمة عرفت طبليات التاج التي تستعمل حتى لتعليم الاطفال العمليات الحساب.

غير ان الجنس البشري لم يلجأ إلى وسائل العد الآلي إلا في القرن السابع عشر الميلادي في نيبول النظام العلمي الذي واكب الكشوف الفلكية والجغرافية فقد اقتضت الضرورة أحداث الى جداول رياضية مقواة لبعض الأمور الحسابية الأولية كاللوغريتمات وجيب الزاوية وجيب التمام

ومع هذا فقد القت اوربا السيرة الالية الرياضية حتى مطلع القرن التاسع عشر يوم كتب لها الخلاص الا على يد شارلس بابيج الذي اقترن اسمه بكشوفات الفضاء الحسابية وجهاز قابلي حركة الدوران (تاكو ميتر) والذي اشتهر بولعه بالدقة الحسابية

في عام ١٨٢٢ شرع بابيج في تصميم جهاز اسماه «آلة الفروق» لحل المعادلات متعددة الحدود وقد اعجب وزير المالية البريطانية انذاك بهذا الاختراع وجدواه في المجالات الملاحية والحربية فقدم له الدعم المالي اللازم لتطوير اختراعه ذلك . غير ان بابيج كان يطمح في ابتكار آلة ذات قدرات تحليلية تتيح لها تناول كافة المسائل الرياضية وشرع فعلا في تصميم (وقد استمد) الفكرة من التطوير الذي تم في مجالات الغزل والنسيج باستخدام مجموعة من اللوحات المثقوبة بطريقة استراتيجية تسمح بمرور خيوط الغزل مع حركة المكوك وراى بابيج لهذه الثقوب ان ترمز الى مجموعة التوجيهات الالية التي تتم العمليات الحسابية بمقتضاها

وبالرغم من وفاة بابيج عام ١٨٧١ دون ان يستكمل حلمه إلا ان مصممي العقول الإلكترونية في الاربعينات من هذا القرن دهشوا من بعد نظره ودهمه المتقد الذي انعكس في الرسومات الإيضاحية التي خلفها وراءه .

ويقول عالم الفيزياء الامريكي جيرمي برنستين عن اول حاسب الي تم تركيبه في جامعة هارفارد : لقد كانت الحجرة الضخمة التي يشغلها كما لو انها مليئة بعشرات السيدات اللاتي يغزلن ويطرزن . وقد كانت الاصوات صادرة عن آلاف المفاتيح التي كان يجري فتحها واغلاقها بسرعة محددة ومع هذا فقد كانت العمليات الحسابية التي يجريها خارقة بمقاييس ذلك العصر وكانت طاقته القصوى تتمثل في ضرب عددين متكونين ثلاثة وعشرين رقما في زهاء خمس ثوان .

وتبدأ العمليات الحسابية للكومبيوتر بتزويده بالمعلومات الاساسية عن مختلف القنوات فيتم تحويلها الى شفرة مفهومة لديه وحده وكما حاول بابيج فرائد الاول في هذا المجال في العديد من البطاقات والاشرطة المخرمة مازالت قيد الاستعمال ولو انه استعيض عنها بالاشرطة والاسطوانات المغنطيسية التي تتولى ترجمة الحروف والارقام والرموز والاشارات والاصوات ونقاط الحبر المختلفة الى نبضات كهربائية مفهومة لدى العقل الإلكتروني



العقول الآلية الجبارة تشكل مدعمة للتخزين بعد عهد واحد من الزمن أمام الذاكرات الضاغطة





الذاكرة

اطلق بابيج على هذه الوحدة اسم المخزن وهو ينطبق تماما على الوظيفة التي يؤديها في تخزين المعلومات لتوزيعها على اجزاء الآلة المختلفة متى احتاجت اليها . وظل العقول الحاسبين تلك الذاكرة ذات الخلب المغنطيسي هي الاكثر رواجا

ويجري الآن ابدال هذا النوع من الذاكرة بطرق مصنوعة على شرائح معدنية بالاضافة

الى انواع اخرى ارخص ثمنا واكثر طاقة تساعد على تخزين المعلومات ..... بكثافة .

الحساب والمنطق

يعتمد التحسب الآلي على هذه الوحدة في تناول وتوجيه ومعالجة طوفان المعلومات التي يتغذى بها ، لذا سميناها بالمخ بمقاطعة لأن الارقام تتعرض في هذا القسم للتجزئة والتمحيص والهضم .

التحكم

هذه الوحدة بمثابة شرطي المرور في الحاسب الالكتروني اذ تتولى تفسير المعلومات المخزونة في الذاكرة وتنظيم انسياب المعلومات منها وبين وحدة الحساب والمنطق ويعتبر هذا هو القسم المسؤول عن اصدار التعليمات لخروج المعلومات الجاهزة .

بث المعلومات

ويمكن تسمية هذه الوحدة ايضا بالارسال في مقابل الاستقبال اذ انها تقوم بتحويل المعلومات المختلفة الى نبضات كهربائية لاغراض لا حصر لها قد تتراوح بين الحروف المكتوبة او الارقام المنطوقة او تقليد الاصوات او توجيه الاوامر الى كومبيوتر آخر او تحديد مسار صاروخ في الفضاء الخارجي .

وقد اسهم العالم الرياضي المجري الاصل جون فون نيومان في مجال تطوير الجهد الالكتروني باستنباط الطريقة التي توجهها ثم (كتابة) المعلومات المراد استخلاصها والتعليمات الضرورية لهذه العملية على ذاكرة واحدة باستخدام نفس الشفرة في الحالتين مما جعل الآلة الالكترونية قادرة على تناول التعليمات كما لو كانت جزءا من المعلومات .

وبذلك اصبح ممكنا لبرنامج معين ان يغير او يعدل برنامجا آخر .

وفيما مضى كان على مصممي تلك العقول ان يزيلوا كل الشبكة السلكية في حالة تغيير التوجيهات المراد تزويدها بها وانهم كانوا يقومون بتحريك الآلات ... كما يفعل فنيو صيانة الهاتف ... اما كومبيوتر المعاصر فبوسعه ان يستوعب تلك التوجيهات في صيغ تقارب اللغة المتداولة بين البشر .

ومن المعروف في عالم الصحافة الغربية المعاصرة ان استخدام الكومبيوتر قد وفر ٤٠ ٪ من الوقت والجهد المبذول بإعداد الصحف بل وانه وفي بعض الحالات جاء بنتائج سلبية اذ قاد الى الاستغناء عن معظم الكوادر البشرية العاملة في هذا المجال كما حدث في جريدة التايمز اللندنية التي اوقفها العاملون فيها الادارة بالتمسك بأساليب الاعداد والطبع العتيقة .

ويتولى الكومبيوتر حاليا الرد على التساؤلات ومحجوز السيارات المتداولة بين المكتب الرئيسي لمجلة تايم الامريكية ومكاتبها وعشرين من مكاتبها الفرعية كما وانه يقوم بوضع التصاميم والتبويب وبث المواد المراد نشرها الى المطبعة رأسا عبر خطوط الهاتف كما وانه يتيح لجميع المحررين الاطلاع على الشكل النهائي لكل صفحة من صفحات المجلة قبل ان تطبع .

نظرة الى المستقبل

يعتبر علماء الالكترونيات في عرفهم ان هذه العقول الآلية الجبارة التي تحيطها اليوم هالات الاعجاب ستكون مدعاة للضحك والسخرية بعد عقد واحد من الزمان فالتجارب الجارية تدل على امكان استخدام ذاكرات على هيئة فقاعات او جيوب مغناطيسية يجري تحريكها بواسطة تيار كهربائي او مجال مغناطيسي خارجي عبر ممرات منتظمة ولدى مرورها بمحطات ثابتة يتم رصد المعلومات على ضوء ظهور او اختفاء تلك الفقاعات [illegible]

[illegible]

في درجات الحرارة تقارب الصفر (٢٦٩,٤٤ درجة فهرنهايت) يمكنها من احتمال حواجز لا تقوى عليها في الاحوال العادية .

وعلى ضوء تلك النظرية فقد ارى العلماء ان الالكترونات قادرة على عبور اي حاجز كما يحدث في الترانزستور مع فارق اساسي وهو ان طريقة جوزيفسون لا تستوجب استخدام اي تيار الا بكمية في غاية الضآلة مما يقلل من كمية الحرارة التي تتولد عند التشغيل فيصبح بذلك ميسورا ان يتم تجميع دوائر اكثر في قالب اصغر ويقدر لمختبر شركة آي . بي . ام المعروفة ان الامتيازات ستشهد ظهور حاسبات صغيرة جدا يتم تبريدها داخل خزانات من الهليوم السائل وتشغيلها بسرعة تفوق اداء الآلات الحالية بمئات المرات .

ولا احد ... بما في ذلك العلماء انفسهم ... يدري الى اين سينتهي المطاف بالبشرية في سعيها الدؤوب نحو تصغير العقل الالكتروني مع تطوير قدراته وفعاليته وهل وصل العلماء الى التصغير الذي لا تصغير بعده ؟ ان العلماء الطموحين يشيرون الى ذلك الكم الهائل من المعضلات التي تختزنها مثلا بعض الكائنات التي لا ترى بالعين المجردة وانظر في نظرهم دليلا على ان باب التصغير لا يزال مفتوحا ... وكما جاء على لسان احد علماء الحاسبات الامريكيين : حتى الاميبا الدقيقة اصغر حجما واكبر طاقة وجهدا من اية شريحة توصل اليها العقل البشري حتى الآن .



بعض حالات إصابات العيون



الغدة الدمعية تفرز سائلاً وظيفته تنظيف القرنية وتليينها

لأن العين هي أغلى ما يملك الإنسان فإن من المفيد أن نعرف الظروف التي تؤثر فيها وتتطلب العناية الطبية، وتلك التي يمكن أن يتولى أمرها الإنسان بنفسه في منزله، وفيما يلي بعض الإرشادات التي يمكن اتباعها.

الدموع

تفرز الغدة الدمعية سائلاً يجري فوق سطح العين وظيفته تنظيف القرنية وتليينها أثناء تعرضها اليومي للأتربة والغبار وملوثات الطقس وظروفه. ويقوم الجفن بمهمة مسح ووقاية العين، وتسمح الثقوب الدقيقة في أطراف الجفن بتصريف الدموع إلى قاع الحلق. وعندما تفشل العملية أو يحدث فيها خلل نصبح قلقين من الدموع

ولكن مع تقدم الإنسان في العمر تقل كمية هذا السائل. وإذا جفت العين منه تماماً فإن القرنية تصبح معرضة أكثر للعدوى بسبب تراكم الملوثات حولها. وفي هذه الحالة يجب مراجعة الطبيب ليرشده إلى نوع القطرة التي يمكن استعمالها.

وإذا كانت الدموع أكثر مما ينبغي، فإنها تبقى راكدة في عين الطفل الذي عادة ما تكون مسارب تصريف الدمع فيه مغلقة أو تنفتح تماماً عند ولادته، مما يسبب له التهاباً في العين يستدعي علاجه استخدام قطرة من مضادات حيوية، وعندما يبلغ الطفل عامه الأول تصبح مسارات الدموع واسعة بما يكفي لتصريف الدمع، وإذا لم يتم ذلك، يمكن إجراء جراحة طفيفة.

إن جريان الدمع في العين لا يؤذيها، ولا يعني عند الكبار سوى انسداد في مسارب التصريف ويمكن معالجته بغسل هذه المسارب، أو بإجراء عملية جراحية. أما في حالة كبار السن، فمن المحتمل أن تكون عضلات الوجه قد ارتخت بشكل لا يمكّن الجفن الأسفل من حفظ الماء في ركن العين. ويخشى المرء أن يحتمل هذا أبداً، لأن الجراحة في هذه الحالة لا تنجح دائماً. ويستدعي مسح العين بمنديل نظيف، ولا يشد الجفن إلى أسفل إطلاقاً.

القذى

وهناك أجزاء من المواد صغيرة الحجم تطفح وتتحرك في منتصف مقلة العين. ويمكننا أن



مراها أحياناً، وكلما تقدم المرء في العمر تنكمش طاقة العين، وتكثر حركة هذه الجزيئات الطافية.

ويجب استشارة الطبيب الاخصائي اذا احس المرء بالتماعات ضوئية او شعر بنوع من الحجاب فوق العين.

النظارات

ان لبس النظارات المناسبة لا يضر بحالة العين كما يخشى بعض الناس، وعلى الأمر ان العين تتعود على العدسة وتكيف نفسها معها فاذا خلع المرء النظارة، عادت العين.

ويزداد قصر النظر في العادة حسب حجم ونمو العين، ولا يتوقف الا عندما تكف العين عن النمو - بغض النظر عن استخدام النظارة او عدمه.

ويجب ان يلبس الاطفال المصابون بقصر النظر النظارات حتى يمكنهم قراءة ما على السبورة او الخرائط دون كبير عناء. اما الاطفال من ذوي النظر الطويل او ذوي العيون اللابؤرية فيلبسون النظارة لتصحيح المسافة او للنظر القريب لتفادي عدم تطور مقدرة القراءة، او تأخرها.

اما بعد سن دخول المدرسة، فان اتخاذ قرار لبس النظارة يعتمد على عوامل نفسية او الرغبة في الرؤية الواضحة ودرجة التعب الذي يتم الشعور به.

ويجب على سائقي السيارات لبس النظارات التي تصحح النظر.

وهناك عدد من الحالات التي تستوجب لبس النظارة، مثل تصحيح التوازن الخطي للعيون، او عندما يكون انسان العين كبيراً، او بقصد تكوين تنظيم كمية الضوء التي تدخل العين. وفي مثل هذه الحالات ينتج شعور بالصداع او ازدواج المرئيات اذا خلعت النظارة.

وهناك بعض المعتقدات والخرافات المنتشرة بخصوص العوائق التي تضر بالعين، والتي يمكن تجاهلها لانها غير صحيحة. فمشاهدة التلفزيون مهما جلس المرء قريبا من الجهاز لا تضر بالعين كما ان القراءة لا تضر بالنظر، وإن كانت العين تشعر بالتعب وتحتاج الى راحة.

أما ما يضر بالعين بالفعل فهو النظر إلى كسوف الشمس بالعين المجردة ، إذ إنه يدمر شبكية العين تماماً ، كما يدمر الأعصاب الرائقة في مؤخرة العين ، وذلك لأن التعرض للأشعة فوق البنفسجية يحرق القرنية مؤلماً .

العين جسم حساس

وهناك أشياء كثيرة تحدث كل يوم وتؤثر على بصرنا ، فاحمرار العين ناتج عن التهابها ويظهر ذلك في شكل قذى أبيض في العين ، ويجب في هذه الحالة غسل العين بمحلول الميكروبيت واستخدام قطعة من القطن منفصلة لكل عين مرة واحدة فقط .. ثم تلقى .. فإذا استمر هذا الصديد الأبيض أكثر من ثلاثة أيام وجبت استشارة الطبيب . أما الالتهابات الناتجة عن الحساسية والتي يعاني منها أو الحساسية من حمى الربيع ، فهي غير معدية ، ويمكن علاجها بالقطرة .

ويسهل على الأجسام الغريبة أن تدخل العين ، وترقد تحت الجفن الأعلى أو تلتصق بالقرنية ، أو تظل في بياض العين ، ويظهر وجود جسم غريب بالعين من احمرارها وأكلانها وتجمع الماء بها ، والذي يساعد على إظهار الجسم الغريب ودفعه للظهور ، فإذا أمكن رؤيته في بياض العين ، فإن إخراجه بقطن ناعم أو بغسيل العين ممكن ، فإذا شك المرء بأن أذى خطيراً قد أوقع بالعين ، كما في حالة هجوم على الشخص أو حادث طارئ في العمل أو الطريق أو أثناء الرياضة ، وخاصة بالنسبة للابسي النظارات ، فإن الذهاب إلى قسم الحوادث بالمستشفى أمر ضروري .

ويجدر بلاعبي الاسكواش والبادمنتون أن يلبسوا نظارات واقية ذات زجاج غير قابل للتفتت بعد الكسر ، وعلى السباحين أن يرتدوا النظارة الواقية في حذر عندما يبعدون بتفريغ الماء عنها ، حتى لا ترتد بقوة فتؤذي عيونهم ، وعندما يعمل المرء في الحديقة في تشذيب الشجيرات والنباتات ذات الأشواك أو يقوم بأعمال في المنزل عليه أن يتذكر أن العين يمكن أن تتعرض لأذى جسيم إذا دخلتها قطع من الخشب أو النبات بسرعة عالية ، حتى وإن لم يشعر بألم عند دخولها .

ويجب أخذ استمرار احمرار العين أو تشوش النظر إذا وقعت ضربة على العين المغمضة مأخذ الجد . وفي هذه الحالة يجب مراجعة قدرة العين على الرؤية وذلك بإغلاق عين وفتح الأخرى ويمكن لعين أن تفقد القدرة على الإبصار ولا يكتشف ذلك لعدة من الشهور ، ولكن العلاج يكون أسهل كلما اكتشف ذلك في وقت مبكر .

[illegible]

حالات طبية عامة

هناك حالات ثلاث تعاني منها العيون أكثر من أي شيء آخر ، وهي إما أن تكون عند الإنسان منذ ولادته أو تتطور في الجسم دون أي سبب خارجي وهي :

الحَوَل

بعد الأسبوع السادس من ولادته يرى الطفل في العادة الاستجابة لتوازن العينين خطيا ويحدث الحول عندما تعجز عين عن النظر في نفس الاتجاه كالعين الأخرى ، وفي حالات كثير من الأطفال يتوجد تجعد عبر قصبة الأنف ، ثم يزول تدريجياً ويختفي كلما كبر الطفل ، ولكنه أثناء وجوده يغطي الجزء الداخلي من كل عين ، فإذا أديرت العين قليلاً إلى الجانب يختفي هذا التجعد في الجلد جزءاً من الجزء الملون من العين ، ويبدو الطفل أحول .

ويمكن للحول أن يظهر في أي وقت قبل أن يبلغ الطفل الرابعة من عمره وخاصة إذا كانت الأسرة في ماضيها تعاني من ضعف العيون أو كسلها .

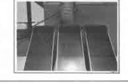
وكلما ظهر الحول مبكراً ، سهلت معالجته بنجاح ، ويمكن لبس النظارة ... التي يسهل على الطفل الصغير أن يتعود عليها قبل دخول المدرسة .

إعتام عدسة العين

وهو غالب الظهور في كبار السن ، ويمكن استعادة البصر في الغالب إذا أديرت النظارة ولكن الأفضل والأكثر فاعلية هو أن تجرى عملية جراحية لاستئصال العدسة المعتمة ، مما يعيد البصر إلى قوته إذا كان قعر العين سليماً ، وبعد ذلك يمكن تصحيح النظر بنظارة سميكة أو عدسات لاصقة ، كما يمكن زرع عدسات من البلاستيك أثناء العملية الجراحية .

الماء الأزرق (الجلوكوما)

في هذه الحالة تتصلب العين ، ويقع ضغط على أعصاب البصر قد يدمر الأنظار تماماً ، وهي حالة تصيب الإنسان في منتصف العمر أو في الكبر ، وغالباً ما تكون وراثية ، ويمكن أن يستشري في سرعة ، فتحمر العين وتؤلم وتغطي ويمكن أن تبدأ هذه الحالة بلا ألم أو عدم وضوح في الرؤيا ، وتمضي دون أن تكتشف حتى يضعف البصر ، ولذا تجب مراجعة الطبيب فوراً حالما يشك المرء بإصابته بالجلوكوما ، ويمكن إيقاف المرض بالعلاج ، وإن كانت الجراحة والعناية تبدو أحياناً ضرورية .



العدد القادم

شمس العرب

بديل جديد للطاقة

بقلم : د . أحمد إسماعيل

إنفصــام الشخصـيــة

انفصام الشخصية من أخطر الأمراض التي تعاني منها الإنسانية اليوم، وما زالت حول إمكانية علاجه لا يزال موضع جدل العلماء المختصين، وهذا المرض يصيب واحداً بين كل مائة بغض النظر عن الوضع الاجتماعي أو العكس أو السياسي أو الجغرافي لكن من أهل الشمال أو أهل الجنوب. وتوضح الإحصائيات في المملكة المتحدة أن ثلث نزلاء المستشفيات البريطانية مصابون بهذا الداء.

وتتكاثر التساؤلات بخصوص هذا المرض: هل هو داء يصيب العقل البشري نتيجة تفاعلات وتأثيرات طبيعية كالوراثة؟ أم أن هناك مرضاً مجهولاً يصيب جسم الإنسان أولاً ثم ينتقل تأثيره للمخ فيصيبه بظاهرة انفصام الشخصية. هذه هي الأسئلة التي دارت ولا زالت تدور بخلد الباحثين وأطباء الأمراض العقلية والعصبية وعلماء النفس، ولم يجدوا لها جواباً واحداً مقنعاً ولم يستقر لهم رأي وقد تسبب هذا الإخفاق في التوصل إلى رأي قاطع بشأنه إلى الإخفاق في علاجه بصورة كاملة وشاملة.

وهناك أربع نظريات حول مرض انفصام الشخصية:

فالعالم ليتج يفسره على أساس أنه استجابة ورد فعل لأمر منهما لعالم مريض وغير طبيعي، وأن الشخص المصاب بهذا المرض هو الوحيد القادر والملهم على معرفة دنياه والحياة من حوله.

والعالم شاز يشك تماماً في وجود مثل هذا المرض ويؤكد أن وجوده توهم مقصود أو غير مقصود لأطباء الأمراض النفسية والعصبية





انفصام الشخصية

الذين اخترعوا تكأة سهلة ليفسروا على ضوئها كل ما يواجهونه من امراض نفسية يستعصي تفسيرها عليهم .

والمدرسة الثالثة تقول بوجود الشخص المنفصم الشخصية على أساس أنه أصبح عليلاً نتيجة ضغوط واجهها نفسي وعصبي لشخص كان من قبل صحيح البدن والعقل .

وهنالك مدرسة رابعة تقول بأن المرض موجود فعلاً في عالمنا اليوم ولكنه لا يعود إلى أسباب نفسية وإنما هو نتيجة اضطرابات كيميائية طبيعية أدت إلى إصابة عضوية للمخ البشري نتج عنها شذوذ في الشخصية المصاب .

وبالفعل فإن كل العلماء والأطباء المشتغلين اليوم في ابحاث وطرق معالجة هذا المرض اتخذوا من التفسيرين الثالث والرابع منطلقاً لهم باعتبار أن هذا المرض نتاج موحد لاضطرابات عصبية وكيميائية احدثت خللاً في المخ البشري المصاب .

اما التعرف على مرضى انفصام الشخصية فهو أمر لا يشكل صعوبة إلا في حدود تشابه الاعراض التي لا يمكن فصلها إلا عن طريق طبيب متخصص وعلى ذلك يمكن أن نشير إلى عدد من الاعراض التي تظهر على المصابين بهذا المرض ولكن لا يعتبر مجرد ظهورها دليلاً قاطعاً على انفصام الشخصية :

منها اولاً مجموعة معقدة من الاضطرابات وعدم انتظام في السلوك والادراك المتعارف بين الناس .

ثانياً يحس الشخص المصاب ويكون ردود فعل عاطفية غير واقعية وبعيدة كل البعد عن الظروف الحقيقية التي من حوله وكأن هاتفاً داخلياً يسيطر على تفكيره وسلوكه وعواطفه ، هذا غير الاصوات التي يسمعها المريض ، والهلوسة والهذيان المصاحبة له دوماً .

ثالثاً يلازم الشخص المصاب شعور داخلي بأنه مضطهد اجتماعياً ومن اقرب الناس إليه وأن هنالك بعض الاشخاص يتتبعون خطاه وأن اعينا تراقبه وتتجسس عليه في تصرفاته وسلوكه في حله وترحاله .

رابعاً بالرغم من هذه الصفات التشخيصية للمصابين فالاشخاص المصابون بهذا المرض لهم إحساس مرهف ، ويحترمون القانون المنظم وليس هنالك أي دليل على إنهم ينحرفون في سلوكهم اكثر من الاشخاص العاديين .

خامساً تقل خصوبة المصابين بهذا الداء عن الناس العاديين .

سادساً في بعض الحالات النادرة يمكن ان يسببوا الأذى لانفسهم دون احساس بالألم ويمكن ان يسببوا الأذى لغيرهم وحتى لأقرب الناس إليهم دون سابق انذار .

وقبل ثلاثين سنة فقط وبينما كان الجراح البحري الاوروبت (الفرنسي الجنسية) يعطي عقاراً مضاداً لبعض مرضاه المصابين بالهذيان في جهازهم الهضمي لاحظ هذا الطبيب أن عقار الكلوربرومازين ليس فقط له تأثير على الهذيان ولكنه ذو تأثير مهدئ على المرضى المصابين ومن ثم اوضحت كل التجارب التي اجريت على الكلوربرومازين ومشتقاته أن لها تأثيراً قوياً على مرضى انفصام الشخصية ليس بالتهدئة والسكون فقط بل بتقويم وتصحيح الاعوجاج في سلوكهم وادراكهم وتفهمهم للاوضاع التي من حولهم ولو بصورة مؤقتة ومن هنا كانت العلاقة بين الكيماويات وتصرفات الانسان المصاب بانفصام الشخصية .

وفي الخمس عشر سنة التي خلت توصل العلماء إلى نتائج إيجابية وخصوصاً في كشف الغموض الكيميائي الذي يصاحب عقول المصابين بهذا المرض . فقد توصل فريق العلماء (أ) الطبيب سنايدر في تورنتو بكندا و (ب) تم كراوز في لندن ، على أن هناك علاقة بين وجود مادة الدوبامين (والتي ما يحتاجه الجسم العادي) في المخ المصاب بهذا المرض .

التعرف على مرضى انفصام الشخصية أصبح لا يشكل صعوبة إلا في حدود ثمانية الأعراض

كذلك في عام ١٩٧١ توصل الدكتور ديفيد هورين (معمل البحوث الطبية بمونتريال بكندا) إلى أن هرمون برولاكتين له كذلك علاقة بمرض انفصام الشخصية إذ أنه توصل بالفعل إلى أن مادة الدوبامين الموجودة في النسيج المخي توقف إفراز مادة البرولاكتين من الغدة النخامية. واستمر الدكتور هورين في تجاربه الناجحة وكان هذه المرة على النسيج عضلات الفئران الدموية للفئران. وتوصل الدكتور إلى نتيجة تعتبر جديدة تماما في علم الكيمياء الحيوية الطبيعية، إذ توصل إلى أن مادة البرولاكتين في الإنسان لكي تقوم مادة البروستاجلاندين في تكويناته المتسلسلة من التعديلات الحمضية (وكذلك توصل إلى أن مرضى انفصام الشخصية ليست لديهم المادة الكافية من البروستاجلاندين (وهذه مواد أو مركبات في ذاتها تتكون من أحماض دهنية أساسية وهذه الأحماض الدهنية الأساسية لا تتكون في جسم الإنسان وإنما هي كالفيتامينات توجد في الأطعمة والمشروبات التي يتناولها الإنسان ولمادة البروستاجلاندين هرمونات لها نشاط حيوي محدد بين الخلايا ومن خلية لأخرى) وكان لاكتشاف هورين فضل كبير في معرفة الكثير عن مرض انفصام الشخصية. فقد توصل العلماء الباحثون بعد ١٩٧٦م للحقائق المذهلة التالية:

١ - إن في عالمنا اليوم مرضى بأعداد كبيرة يشكون من روماتيزم المفاصل وأن المصابين بهذا المرض تفرز في أجسامهم مادة غزيرة من البروستاجلاندين، وكانت دهشتهم عندما توصلوا كذلك إلى أن مرضى انفصام الشخصية لا يمكن أن يصابوا بروماتيزم المفاصل.

٢ - إن المصابين بمرض انفصام الشخصية يقاومون كل أنواع الآلام التي تنتج عن إصابات مثل الكسور والتشققات المركبة والالتهابات مثل التهابات الزائدة الدودية. وكان التفسير الأولي لهذه الظاهرة أن عقول المصابين لا يمكن أن تدرك وتحس وتترجم الشعور بالآلام في أي شكل ملموس وملاحظ ولكن أخيرا وجد العلماء أن الإنسان العادي الذي يمكنه أن يشعر بحرارة هذه الآلام يفرز مادة أكثر من البروستاجلاندين التي تلعب دورا كبيرا وأساسيا في الشعور والإحساس بالمرض.

٣ - لاحظ أبوقراط، أبو الطب، من قديم الزمان وكل من جاء بعد أبي قراط وبحث في هذا المجال أن مرضى انفصام الشخصية يتحولون إلى أناس عاديين ولو لمدة بسيطة عندما يصابون بأي نوع من الحمى. وكان الرد العلمي المثالي لهذه الظاهرة أن مادة البروستاجلاندين يزيد إفرازها في الجسم وتتمركز أكثر في النسيج المخي عندما ترتفع درجة الحرارة عند أي إنسان.

٤ - في سنة ١٩٧٦م وفي مستشفى بلندن قام طبيبان عربيان بإجراء تجربة عن إفراز مادة البروستاجلاندين من الصفائح الدموية لأشخاص عاديين غير مصابين - ولأشخاص مصابين بمرض الانفصام وتوصلوا لنتيجة إيجابية - ألا وهي أن الصفائح الدموية عند الأشخاص العاديين استجابت لمعاملاتهم الكيميائية وأفرزت مادة البروستاجلاندين في حين أن الصفائح الدموية لمرضى الانفصام رفضت الاستجابة.

وهناك فريق من العلماء يرى أنه ليس فقط كثرة مادة الدوبامين هي المسئولة الوحيدة عن نقصان البروستاجلاندين بل (أ) الهرمون ميلاتونين الذي يفرز من الغدة الصنوبرية (أو العين الثالثة كما يسمونها) و (ب) مادة الأبومين لهما دخل كبير في إفراز هذه المادة الحيوية الهامة. وقد لاحظ دكتور سميث في جامعة برادفورد بإنجلترا أن المصابين بمرض الانفصام لا تفرز غددهم الصنوبرية هرمون الميلاتونين كما يجب.

ولنا أن نتساءل هل نقصان مادة البروستاجلاندين هو السبب في مرض الانفصام أم أن الاضطرابات النفسية والضغوط العصبية والإجهاد الذهني تسبب اختلالا في موازنة بعض الهرمونات (الدوبامين - البرولاكتين - الميلاتونين وغيرها) مما ينتج عنه شح في إفراز مادة البروستاجلاندين؟ والإجابة على هذا السؤال سوف تظهر في خلال العام الحالي ١٩٨٠م عندما تتضح معدلات البروستاجلاندين عند مرضى انفصام الشخصية. والله الموفق

أجرى الحوار: صالح زيتون

في طريقي الى الفندق لأعقد هذا اللقاء مع الشاعر محمد الجواهري استعرضت سيرة هذا الرجل منذ احتضنته النجف الاشرف مع بزوغ هذا القرن وحتى آخر عهدي به حين تألق بامسيته الشعرية في الدوحة . يلقي الشعر بروح شاب لا يزال يروم دنيا العاشقين ..

وطرأت في ذهني ذكرى اول مرة سمعت فيها الجواهري وانا طالب صغير حين كنا نردد في وله قصيدته « يافا » . وعندما التقيت به وجها لوجه لاول مرة حاولت ان اتعرف على الشاعر فيه والانسان . اردت ان استبطن من خلال الحديث منه بعض لمحات تجارب سنواته الثمانين. قلت مبتدئا الحوار والتعلم :



على مشارف الثمانين:

الجواهري يفتح ملف الذكريات

ـ أراك لا تزال توثر الشعر العمودي بأوزانه وقوافيه التقليدية أهمية قصوى في الشعر التي ألفتها طيلة الأسر ... فكيف تتفق مع تلك الأشعار الشاب الذي أنشأته في روحه شعرية والقافية وتمسكك بالقديم لا تحيد عنه ؟!

● القافية والوزن هما مقياس هام للقصيدة ... بدونهما لا يكون الشعر إلا كلاما قد يحمل فكرة جميلة دون إطار جميل ...

نعم للقافية كل همي وتركيزي ولذلك متأصل مني منذ الصغر ... حيث كنت في الشباب مع أقراني أتراهن معهم حول إمكانية التصرف بالقوافي المتينة التي غرسها المتنبي والبحتري في أشعارهما .. وهل بالإمكان استبدال هذه القوافي بقوافٍ غيرها .. واعترف أننا كنا جميعا نخسر الرهان .. كنا نعجز عن التصرف بشعر هؤلاء العمالقة .

ـ القافية هي التي على ما يبدو تعطيك التحكم على قوة القصيدة ؟!

● بالطبع ، وحين أنظر الى القصيدة ما أركز في البدء على قافيتها فاذا اكتشفت أن بالإمكان تبديلها بغيرها أترك هزالها تركيبا ومضمونا وروحا شاعرية .. وأنا من الذين يؤمنون بقول الشاعر : الشعر صعب وبعيد سلمه ..

ومن هذا المنطلق فأنا أعارض ما يسمى بالشعر الحديث أو الحر فهو ليس حديثا ... بل هو شعر ركيك . والحداثة لا يمكن أن تعني الركاكة .. بل هي تجديد لروح الشعر العربي وتطور نحو الأفضل والشعراء الذين يدعون الحداثة إنما يفعلون ذلك عجزا . فهم يستسهلون الصعب ويغلفون كلامهم بالغموض لتوحي للقراء بشيء من الرهبة .. وأنا أقول لهذا الجيل من ناظمي الكلام الحر إنكم استرحتم من حيث تعب الكرام بهم من كلامك هذا إلا ضد جيل طويل عريض من الشعراء ذوي الأسماء اللامعة ابتداء من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ونزار قباني وأدونيس ".

● لا أنكر ريادة نازك في الشعر كما أن بدرا كان شاعرا ولكنه ظلم بعد وفاته بالهالة المصطنعة فيها أما نزار فيبقى صديقي ولا أستطيع أن أنتقد هذه الأسماء جميعا حتى لا أخلق حساسية لمن أتبادل معهم الحب والاحترام ... ولكنني أريد أن أقول إنني أحب أدونيس رغم كثرة معارضيه .. وفي هذا الصدد يمر بخاطري سعيد عقل كشاعر أحبه وإن كنت آخذ عليه نزعته الشوفينية وتبنيه

على بلاهد هذا الكفة المعادي لروح اللغة العربية فأنا أكثر من غيره ذلك ولكنني في مجال تقييمي لسعيد عقل لا أستطيع أن أحذف الرجل كاملا والغي الجوانب المشرقة في ثقافته وحرفه العربي النقي ، وإنما أتساءل كيف يجتمع هذا مع رغبته في التنصل من ارتباطه بالعروبة والدعوة الى الفينيقية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية واعتماد العامية المحلية

ـ والبياتي ؟

● أيضا لا أستطيع أن أتهمه الغاء كاملا .. ويظل إن أشير الى مضمونه المتطقة المنسقة المتكررة الشعرية .

ـ [illegible]

● [illegible]

[illegible] الثلاثة التي شطرها ... وصحيحا يقول المثل الشعبي العراقي ، اللي يموت .. تطول كرعانه ، أي من يمت تطل قامته . وهذا هو بدر بعد موته لم أكثر فيه .. الى درجة تصويره أسطورة ، وأعترف أن بدرا يبقى متكورا ومحدودا لكنني أصر على ضرورة أن يتجاوز الجيل القادم جيلنا أنا وبدر .

ـ ننتقل من الشعر الى الحديث عنك وعن مسالك الحياة ؟

● من أين تريد أن أبدأ ؟

ـ من تلك الفكرية والروحية براغ

● في عام ١٩٥٩ واجهتني ظروف عصيبة ، تألبت علي من جميع الوجوه ، سياسيا ، وصحافيا ، وصحيا ، إذ كنت يومها نقيب الصحافيين العراقيين ، وصاحب جريدة ورئيس اتحاد الأدباء ، وسرد هذه المعضلة في الموقف الذي اتخذه مني عبد الكريم قاسم حيث فتح مصر معركة انتهت بيان وضع قدمي وأسرتي على أول طريق الغربة والنفي ، وكانت النية تتجه لدي بالسفر الى ألمانيا للاستشفاء ، والإقامة الى أن تنتهي ذيول هذه المعركة . وكان أن مررت بالعاصمة التشيكوسلوفاكية ، براغ ، وطلب مني الجو إيابا للإقامة قبل مواصلة السفر ، فسمع بأمري اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين فهب أعضاؤه الى الفندق حيث كنت أقيم ،

واستمعوا الى معاناتي وتعجبوا لما لاقيته من عسف واضطهاد من السلطة وأنا رئيس اتحاد الأدباء ونقيب الصحافيين ولم أكن أملك في ذلك الوقت أكثر من راتبي المتواضع وعجبوا أكثر حين علموا كم الأديب مهان في عاصمة العرب ولا يكرم . وكانوا يعتقدون أنني كرئيس لاتحاد الأدباء ونقيب الصحافيين كان يجب أن أحظى بمكانة مرموقة في المجتمع تليق بمكانتي الأدبية

وتأثرت بما لاقيت ، فقرر الاتحاد ، ووزارة الخارجية في براغ بأن أبقى للاستعداد لاستضافتي الى أن تنتهي محنتي وكنت مكرما معززا في التكريم ، وأنا أحس بالفرق بين تكريم الثقافة في بلدي ... وفي براغ . ولقد أحببت براغ كما أحببت النجف ومدن العراق ففيها قضيت زمنا طويلا ... ولي فيها أجمل الذكريات ... ويظل أنني أشعر بمكانتي كمبدع وكلمة ... ولأجل بلدي أقمتها في براغ ... هذه هي براغ التي أعشق ولا أمل من زيارتها كلما سمحت لي الفرصة .

ـ وكيف ومتى عدت الى العراق ؟

● ألحت علي الحكومة العراقية عام ١٩٦٨ للعودة الى بلدي واحتلال المكانة الأدبية التي استحقها ... ولا أكتمك حنيني الى دجلة والفرات وكانا يسكنان في قلبي ، هذا الحنين شجعني على العودة حيث لقيت كل تكريم يليق بأديب مثله أعاد اعتباره وها أنا الآن عدت رئيسا لاتحاد الأدباء العراقيين ومنحت من الدولة مسكنا لائقا وراتبا تقاعديا محترما بدرجة وزير يكفيني ما تبقى من عمري ولكنني لا أستطيع نسيان براغ التي أحببت فحين جاءتني الدعوة بالعودة الى العراق سارع الي الأدباء التشيكوسلوفاكيون راجين ألا أتركهم متعهدين بتقديم المسكن هدية متواضعة واستمرار التكريم حتى نهاية العمر .. ولذلك لا أستطيع نسيان هذه المكارم .

ـ وهذه القبعة التي اشتهرت بها بلبسها ؟

● هذا يعرض العودة لتذكر مكارم الإخوة الأدباء في براغ الذين أوفدوني للاستشفاء في مدينة تقع على البحر الأسود اسمها سوتشي وتشتهر بمياهها المعدنية وطقسها المشمس فيها ... وأهدم الأشياء بي عناية في الاهتمام . وقد قيل لي إن الغرفة التي لازمتها في ذلك المستشفى كان نزيلها في الماضي أحمد سوكارنو رئيس اندونيسيا ، وقد فهمت أنهم يعطونني منزلة

على مشارف الثمانين:

الجواهري يحاور نفسه ويتحدث عن النجوم

● ما زلت عاشقا بالطبع ... وروحي في العاشقة لا أبها لها إلى أنتهاء ...

● حاول الكاظمي ... عن الغرق ويستغيث بأسابعه في الموج ليحميه

الجواهري

رئيس دولة .. هذا هو الأديب عندهم .. غاية في التقدير والاحترام ...

وانتهت الفحوصات التي اجريت على على انني لا اعاني من شيء عضوي بقدر ما اعاني من حساسية مفرطة في رأسي واعصابي وتتصاعد هذه الحساسية في البرد والحر على السواء وعليه فلابد من ارتداء واق على الرأس .. ولم اجد بدا بعد خروجي من المستشفى من التوجه الى الأسواق الفوقانية الإسلامية هناك حيث اشتريت هذه القبعة التي ألبسها حتى الآن ومنذ عشرين عاما وقد اشتريت مجموعة منها للتبديل كلما اتسخت واحدة ولم اخلعها للنوم وقد لا تصدق انني إذا احسست اثناء نومي بانزلاق القبعة عن رأسي فانني اقفز مهتاجا باحثا عن شيء ضروري ينقصني ولا اشعر بالراحة إلا حين أعيدها الى موضعها .. لأنام بعدها مطمئنا ...

ـ والأولاد الى أي مدى تأثروا بك شاعرا ؟

● يكاد يكون ابني الأكبر فرات هو المتفرد في اخوته بأخذ هذا التأثر لكونه يعمل صحفيا لكن الباقين ابتعدوا عن ذلك لما رأوا معاناة أبيهم .. فهذا فلاح يعمل طبيبا متخصصا في الأشعة .. وهذا كفاح يحمل دكتوراه في النفط وأربع بنات هن نجاح المهندسة وأميرة المدرسة وخيال المتخصصة بالمكتبات وظلال التي تحمل الماجستير في اللغات من احدى الجامعات الأمريكية ...

ـ الاحظ التسميات التي تتميز منها ... لأسماء ابنتيك الصغيرتين ظلال وخيال وكأنك تقول من خلالهما شيئا ما !

● وما عسى الشاعر أن يقول غير الشعر ، وهذا يذكرني بقصيدة كنت كتبتها خصيصا لأحد المؤتمرات النسائية التي شاركت فيها ابنتاي ظلال وخيال حيث طلب مني نظم قصيدة عن المرأة فلم أجد إلا الحديث عن ظلال وخيال حيث قلت في مطلع القصيدة :

لي طفلتان القصر ، الخيال ،
عبيرهما والعطر و ... الظلال
أسبوه خالا في يسير خالا

... ...

ـ والمرأة ... ...

● ... ...

... ...

... ...

... ...

... ...

اسميتها مضمة ابنتا .. فالى أي مدى تؤثر فيك ابنتا كمثال المرأة ؟

● سؤالك يأتي بمصادفة غريبة فقد كنت افكر في امرها هذا الصباح .. الغريب انني كنت في صدده .. كنت احسب كم صار عمرها الآن منذ افترقنا عام ١٩٤٩ .. لعلها صارت على مشارف الستين من العمر ولكن انيتا تظل الملهمة ...

أن وجه الدجى ، انيتا ، تجلى
عن صبح من مقلتيك اطلا
وفياض المروج احنيتك ظلا

ـ هل ما زلت عاشقا ؟

● ما زلت عاشقا بالطبع .. وروحي هي العاشقة لأنني مازلت اشعر بها شابة .... بل لعلها اكثر عشقا للحياة الآن وتشبثا بها شعورا امتلاكي ما بقي من العمر قليل .. وحالي كحال من يشرف على الغرق ويتشبث بأصابعه في الموج ليحميه ...

ـ وبعد هذا العمر هل ترى انك حققت طموحاتك ؟

● طموحاتي عجيبة .... ذلك انها كانت طموحات لا يحتاج الى معجزات او معاناة ... وأرى انني حققت طموحاتي بحب الحياة واعتقد انني رأيت ما يكفيني .. وكفاني حب الناس لي كفنان وشاعر استطعت تأدية رسالة الفنان لهم نسبيا حسبما تقتضيني طاقتي البشرية ...

صور كاريكاتورية

عبد الوهاب الأسواني

إتكأ الأستاذ الشيخ في مقعده المريح وقال لتلميذه الفتى :

ـ اسمع يابني .. افعل ما يحلو لك في الحياة ، لكن لا تغير اتجاهك الفكري ..

ـ أنا لا أغير فكري أبدا يا أستاذي ..

ـ تعجبني !.. وأحب أن أقول لك ، إن الناس عادة ، يعتقدون أن الذي يستولي على أموال الآخرين ، عن طريق المخادعة والاحتيال ، رجل في غاية السوء ، بينما الحقيقة عكس ذلك !

ـ صحيح ؟؟

كانت الدهشة تملأ وجه التلميذ الفتى وهو يحدق في وجه أستاذه الشيخ الذي استطرد :

ـ المقياس الحقيقي للرجل المفكر ، هو الكلمة المكتوبة .. فما دمت تحافظ على المبدأ الذي تؤمن به ، فيما تكتب ، فلا غبار عليك في أن تمد يدك لتدخلها في جيب الرجل الذي يجلس بجوارك في القطار أو الطائرة لتستولي على حافظة نقوده !

ـ لكن ...

ـ لكن ماذا يا تلميذي الفتى ؟

ـ هل هناك تفرقة بين الكلمة المكتوبة وبين السلوك الشخصي ؟

ـ طبعا .. فلو أن أحدا طلب منك أن تكتب بحثا يتعارض مع المبدأ الذي تؤمن به ، فلا تفعل .. إياك .. فهذا شيء في غاية الحقارة .. أما إذا كنت في حاجة إلى المال ، واستطعت أن تحضر شحنة أسلحة فاسدة لجيش بلادك ، لكي تكسب منها بضعة ملايين ، فلا تتردد في أن تفعل !

ـ سلاح فاسد !؟

كانت سبابة الأستاذ الشيخ أن تخرج عين تلميذه الفتى وهو يقول :

درس في المبادئ اللولبية!

ـ استغفلني .. الست صاحب مبدأ ، وهذا معناه انك في حاجة الى ان تحصن نفسك اقتصاديا ، لكي تكتب ما يمليه عليك ضميرك ، لا ما يفرضه عليك الآخرون ؟

ـ نعم ..

ـ إذن ، افعل اي شيء في سبيل جمع المال ، بما في ذلك السطو على المصارف ، وتهريب المتاجر ، والتزوير في الاوراق الرسمية ، وكتابة الشيكات بدون رصيد !

ـ اجمع المال عن طريق السرقة يااستاذي الشيخ ؟!

ـ شوف يافتى .. السرقة تنقسم الى ثلاثة انواع : سرقة مورفولوجية ، وسرقة ميتافيزيقية ، وسرقة بنفسجية ..

اما السرقة المورفولوجية والميتافيزيقية ، فلمني ان اشرحهما لك ، لان عقلك المحدود لا يرتقي الى المرتبة التي تمكنك من الفهم ! ..

ـ لماذا ؟

ـ لان اللغة التي يجب ان استخدمها في الشرح ليست لها كلمات تقابلها في اللغات الحية .. ومادام الامر كذلك ، فدعني اشرح لك الاسس الفلسفية للسرقة البنفسجية .. هل معك سيجارة ؟

ـ معي يا استاذي ..

تناول الاستاذ الشيخ السيجارة ، واخرج من جيبه ولاعة من الذهب الخالص ، لها شكل الآلهة التي يحملها [illegible]

[illegible] السيجارة ، ثم جذب منها نفسا عميقا [illegible] الشيوخ من قوى التجديد الواضحة في دنيا (الماريجوانا) واخواتها ، ثم اخرج الدخان من منخريه في خطين رماديين طويلين ، صعدا الى السقف وعادا من جديد في تشكيلات فنية رائعة تدل على ان المرحوم بيكاسو قد استقى منها خطوطه العظيمة قبل ان يدخل في مرحلته الزرقاء !

ـ هل انت معي يا تلميذي الغبي ؟

ـ معك يااستاذي الشيخ ..

السرقة البنفسجية هي التي تكون من اجل الدفاع عن مبدأ .. هي مثل الذي تحارب الاعداء ويستولي على اسلحتهم .. هذه الاسلحة كلفت اصحابها اموالا طائلة .. وحينما تستولي عليها ، فكأنما سرقت الاموال التي دفعها فيها اصحابها .. اليس كذلك ؟

ـ نعم ..

ـ إذن ، هذه هي الاسس الفلسفية للسرقة البنفسجية .. هي سرقة من اجل الخير .. انها اشبه بنجدة الانسان الجائع الذي طلب منك كسرة خبز ، ولم يكن في جيبك مال .. في هذه الحالة انت مطالب بالهجوم على اول رجل تلتقي به على قارعة الطريق ، لتفتح في وجهه المطواه .. على فكرة .. هل تحمل في جيبك مطواة ؟!

ـ لا ..

ـ خطأ ! .. المفكر الحق ، صاحب المبدأ ، مطالب بحمل مطواة في جيبه !

ـ ثم اخرج الاستاذ الشيخ من جيبه مطواة طويلة ، علاها الصدأ ، لها شكل قرن الغزال ، وقال :

ـ افهمت ؟!

ـ فهمت !

ـ نعود الى سياق الحديث .. ماذا كنا نقول ؟

ـ تحدثنا عن السرقة البنفسجية ..

ـ اه .. لكن اين وصلنا فيها ؟

ـ سحبنا المطواة في وجه الرجل !

ـ رائع ! .. عليك بعد ذلك ان تطلب منه تسليم ما معه من اموال ، وإلا فانك ستضطر الى ان تنزل كرشه بين قدميه !

ـ ولنفترض انه رفض تسليم ما معه من اموال ؟

ـ انزل كرشه فورا !

ـ وادخل السجن ؟!

ـ وماذا في هذا ؟ .. الست صاحب مبدأ ، والمبدأ عادة يؤدي بصاحبه الى السجن ؟!

ـ لكني سادخل السجن كسارق ..

ـ قلت لك ، سرقتك هذه بنفسجية .. هي اسمى سرقة عرفتها البشرية في تاريخها الطويل .. هي السرقة التي تمكنك من تأمين نفسك اقتصاديا لكي تتفرغ ..

ـ اتفرغ إلى ماذا ؟

ـ لكي تنتج فنا وفكرا ، تعيد به صياغة العقلية العربية من جديد .. فانت صاحب رسالة .. مطلوب منك ان تنمي في قومك الفضائل ، وتشيع بينهم المثل العليا ، حتى يتجنبوا الكذب والسرقة والخيانة .. لك شرف انك تنشيء انفسا وعقولا .. هل وعيت الدرس جيدا ؟

ـ وعيته !

ـ إذن هات سيجارة اخرى ..

ـ هاهي .. تفضل ..

ـ هه ؟ .. ما هذا ؟ .. كيف حدث هذا ؟ .. هه ؟

ـ مالك يااستاذي الشيخ ؟ .. لماذا تفتش في جيوبك هكذا بطريقة هستيرية

ـ اين ولاعتي الذهبية ؟ .. ثم ، يالله ، ايـن حافظة نقودي ؟!

شكسبير
مصدر الهام في كل العصور

● الوجه الآخر لشكسبير يعبر تأثير النهضة الإيطالية عليه

● النص الأدبي الشكسبيري يحاور نفسه - بل يمكن القول إنه يتحدث إلى النصوص الأخرى التي سبقته

نشر ملحق « الكر ولن » لجريدة البايس مؤخرا (أقوى الجرائد الاسبانية وأوسعها انتشارا في الوقت الراهن) حوارا مع الناقد البولوني الأصل « جون كوت » الذي يعد من الشخصيات المتخصصة في عالم شكسبير وواحد من هؤلاء النقاد الكلاسيكيين القلائل الذين ما زالوا على قيد الحياة الأدبي الأوربي لهذا القرن وما به من مفارقات عجيبة • ولد في بولونيا ١٩١٤ • درس في باريس وشارك في حرب المقاومة ضد النازيين في بلاده • كواحد من الطلبة والمثقفين البولونيين • يعيش الآن في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعمل استاذا للأدب في جامعاتها (ستوني بروك ، وييل) • تعود شهرة « كوت » الثابتة الى كتابه عن شكسبير بعنوان « شكسبير الذي يعاصرنا » ولقد ترجم هذا الكتاب الى ٢٨ لغة عالمية ، وبيعت منه حتى الآن أكثر من نصف مليون نسخة •

جون كوت

يعرف عن (كوت) أنه من المتخصصين البارزين في شكسبير ويعتبر أدق في أعمال شكسبير المختلفة ، فقد كتب عنه حتى الآن ثلاثة كتب وسيلا من المقالات المنشورة في أشهر المجلات العالمية المتخصصة . لقد كان (كوت) وما يزال يمعن النظر في مختلف أعمال عبقري الانجليز . فهو يقول (إني مازلت أعتبر نفسي متخصصا في شكسبير لأسباب عملية . السبب الأول والرئيسي هو أنني مازلت مكلفا بتدريس مادة (الأدب الشكسبيري) في جامعة ستوني بروك بنيويورك ، ومازلت أدرس عاما بعد آخر بلا انقطاع عن هذا العبقري . ثم إن هناك سببا آخر وهو أنني قارئ ، فهو عاشق لكل ما خلقه لنا شكسبير ، وأنا فضلا عن ذلك مازلت أتلو وكتب شكسبير في يدي أي ما زال أحتفظ بملامح القديمة وهي قراءة مختلف أعماله قبل الخلود إلى النوم .

كانت أول كتبي عنه عبارة عن محاولة التعريف بآثاره على أوسع نطاق ، ولقد صدر هذا الكتاب منذ عشرين عاما وعلى الرغم من أن المدة ليست ببعيدة فإن هذا الكتاب يعد بالنسبة لي قديما ، وأريد الآن أن أقدم شكسبير على ضوء المفاهيم المعاصرة ، ولهذا الغاية انتهيت منذ أيام من تأليف كتاب جديد عنه وهو يختلف اختلافا كليا عن كتابي السابق ، وعنوان كتابي الجديد هو (شكسبير لم يعد معاصرا لنا) وقد يفهم البعض أنني أوضح قولا عكس ما ينطق به عنوان الكتاب ، بل أن غايتي هي التعريف بالوجه الآخر لشكسبير أعني تأثير النهضة الايطالية عليه ، ولا يمكن أن يفهم هذا الكتاب بدون قراءة كتاب آخر لي بعنوان (غذاء الآلهة) وهو عبارة عن مجموعة من المقالات النقدية تعالج أعمالا أدبية مختلفة تنتسب النسبة على المؤلفات الاغريقية القديمة ، كما تتناول جانبا هاما من أعمال شكسبير المعروفة ، وأن الأعمال التي يعالجها الكتاب تحت سمتين يجمعها إرثا ثقافيا لا يقدر بثمن وهي - على الرغم من قدمها - ما زالت تعبر تعبيرا حيا عن العالم الذي نعيش فيه . إنني ما زالت ابحث وراء أعمال شكسبير كما كان يهتدي به منذ قرأت له لأول مرة . وكلما عدت للقراءة هذه الأعمال عثرت على شيء غاب عني في قراءة سابقة ، إنني دائما أجد فيه الجديد وأن أعماله تشبه الأدوات الموسيقية الكلاسيكية التي لا يمكن أن تمسه مرتين بنفس الألحان والجودة الأولى) .

لقد فتح شكسبير لهذا العاشق الولهان جميع الأبواب بما فيها أبواب الشهرة والمجد ، فقد سبق لجون كوت أن عمل مع أساتذة معروفة من رجالات المسرح وعالم



شكسبير

السينما كبيتر بروك ، وجورجيو ستريلر ، وبرجمان الخ . كان دائما خير مستشارلهم في عدة اعمال اكتسبت فيما بعد شهرة وصيتا بعيدي المدى . وبصفته دارسا متخصصا فقد فتح هو الآخر ابوابا وشق سبلاله لا شك انها اسهمت بقسط وافر في التعريف ليس فقط بمخلوقة شكسبير بل باعمال ادبية اخرى ذات قيم عالمية .

هاملت شبح الايديولوجية المعاصرة

(اننا لانستطيع ان نعرف بالضبط مدى ما توصل اليه شكسبير في فكره واعماله ، بل انه ليس في مقدورنا التعرف بالتحديد على مايريد قوله شكسبير من خلال اعماله ان نصوصه ذاتها هي التي تفكر ، ان النص الادبي الشكسبيري بنية فكرية قائمة الذات ، فان اول ما يهمني في المقال الاول من هذه النصوص هو ما تفوه به وتعبر عنه او ما تفضي اليه من معان سامية وقيم لا تفنى . ان النص الادبي كائن قائم الكيان وان الدراسات النقدية المنظمة لا تفتأ تبذل قصاراها من اجل استكناه ما به من اسرار او رموز ، ان النص الذي يجاوز نفسه بل يمكن القول كذلك انه يتحدى الى النصوص التي سبقته او التي تليه وان النص الادبي يكتسب قيمته من عالم الرموز لقد رأيت منذ مدة ليست ببعيدة عرضا لاحدى مسرحيات شكسبير بدوبروفنيك وهي مدينة سياحية جميلة بيوغسلافيا ، فعندما يخرج الشباب عن وعيه ويرتمي في احضان الرذيلة يجيء (هاملت) ليقدم لهذا الشباب عالم يعد موجودا بيننا ، يقدم لهم (القيم) لقد كان عرضا رائعا وذكيا ، ان هؤلاء الشباب هم ناس اليوم ، اما (هاملت) فقد كان يسير في اتجاه معاكس لهذا التيار . لقد كان في العمل بمثابة شبح يظهر في عصر الايديولوجيات في هذا المجتمع الغربي الذي نطلق عليه مجتمع الاستهلاك والرفاهة ليضعنا امام اختيار عسير . فالنصف الثاني من القرن يكاد ينتهي وهو يتكلم النصف الاول منه . كل ذلك دفع بي الى تغيير وجهة نظري في الكتاب الاخير)

مايشير اليه (كوت) هنا له علاقة كذلك بصفة مستمرة بكتابه - غذاء الآلهة - ففي هذا الكتاب يرتكز على الدراما الاغريقية من خلال عدة اعمال ذات شهرة عالمية ، ولكن الدراما ذاتها اصبحت كالية في عصر سيطرة اللامعقول على مختلف الجوانب من حياتنا !

اعماق المأساة

(ان السمديات اصبحت بلا معنى ، لقد امست الدراما تعيش بين ظهرانينا اليوم تحت سماء ليس فيها امل مرتقب ، انها سماء خالية وان المجتمع الذي تحتها يملي علينا اوامره وليس لنا سوى الخضوع ، وتلك من اعماق المأساة انه شيء فوق تصورنا وحولنا ، اننا نشعر ان هناك شيئا ما يثقل كاهلنا ويؤرقنا ولا يمكن ان يكون هذا الشيء سوى الفراغ الذي يملأ حياتنا الجديدة انها حقيقة وبالأسف اقوى من الحقيقة ذاتها . انني اعترف ان اسس رؤاي عن هذه المأساة واقوى شعوري بهذا اللامعقول يرجع الفضل فيهما الى (البير كامو) اليس هو القائل : (ان المطلق ليس هو اللامعقول ، بل ان اللامعقول هو شعور الانسان بعبثية الكون)

ان (كوت) شديد الاعتزاز بانتمائه الى بلده (بولونيا) الذي يشعر نحوها بحب ليس له حدود ، وهو من ثم مثال حي للغربة والاغتراب . انه يتحاشى دوما الحديث عن هذا الموضوع لكثرة ما يسبب له من الم وحسرة . ويقول (منذ ثلاثة عشر عاما وانا بعيد عن بلدي ، ان ثلاثة عشر حولا بعيدا عن الوطن الام كثيرة جدا بالنسبة لي ، اظن انني لن اعود ابدا الى موطني ، لقد كافح البولونيون كفاحا مستميتا من اجل استقلال بلادهم ومن اجل حقوق الانسان وفي سبيل حرية الفكر والتعبير وان الصراع الذي فرضته عليهم الظروف يشبه الى حد ما صراع الانسان ضد جميع اشكال الدكتاتورية والحكم المطلق . لقد كانت المقاومة في بولونيا - قوية ومنظمة وكانت

تضم بين صفوفها شبابا يتمتعون بمستوى ثقافي ممتاز . لقد كانت ظروف حياتنا متشابهة وكان الفقر هو عدونا الأول كما أن الحياة الثقافية في كل من بولونيا واسبانيا كانت موالية للفكر الكنسي . غير أن الكنيسة في بولونيا - كانت تساعد وتؤيد المقاومة لا برهان ما اختارت الخط التقدمي وقد يفسر ذلك سبب وجود بابا بولوني الآن على رأس الفاتيكان (إن الكنيسة جزء من ضميرنا الوطني وحتى هؤلاء الذين لا يؤمنون هم بشكل أو بآخر مؤمنون في العمق) إن ما ذهب اليه كوت على صواب غير أن أسماء بعض الفنانين البولونيين تجعلنا نشك في شعورهم الديني بل قد يذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فماذا مثلا عن الكاتب المسرحي (فيتكيفكس) الذي عاصره كوت وتعرف إليه . انه يقول عنه (كان ينتمي الى الجيل السابق انه ابن القرن التاسع عشر - غير انه يعتبر من المعاصرين لنا بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من مفاهيم . لقد كان مجددا في إبداعاته وكان متأثرا بالناقد الفني والأديب (غومبر)

لقد ترك لنا (فيتكيفكس) آثارا قيمة في الأدب البولوني المعاصر ، وان الجيل الجديد لمدين له بالكثير . كانت نظرته للحياة نظرة تشاؤمية وقد تنبأ بنهاية الانسان ومحنته المعاصرة وفقدان القيم وأزمة الفكر الغيبي والفلسفات . وعندما غزا الألمان بولونيا وهاجموها انتحر حيث كان طاعنا في السن . ولقد تنبأ قبل غيره ببداية عصر انحطاط المجتمع الحديث وكان ذلك إرهاصا بظهور اللامعقول ورأى ان ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين ستنتهي الى دكتاتورية والى ضياع اليسار واليمين ، كما تنبأ بأن هذا العالم سيتحول الى قرية صغيرة ما يحدث فيها انما هو راجع لمحض الصدفة والحظ ، وتعد كتبه الآن من أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أصالة وان العالم الذي نعيش فيه اليوم هو نفس العالم الذي تخيله ، لقد كان سابقا لزمانه .

جيل المقاومة

(لقد تعرفت على الكاتب الروائي والمسرحي قبل نشوب الحرب ، كان ينتمي الى جيلي وهو ما اطلق عليه جيل المقاومة والعصيان . ولقد غادر بولونيا بالضبط عندما انهيت دراستي في باريس وعدت الى أرض الوطن . حينئذ انتقل إلى الأرجنتين

كانت نظرته إلى الحياة تشاؤمية وقد تنبأ بمحنة الإنسان

تاريخ الجيل الذي انتمي اليه يبدأ مع الحرب الأهلية الاسبانية

واستقر بها . ولقد كان صديقا حميما لفيتكيفكس ، ويمكن أن أقرر هذا حقيقة لا جدال فيها وهي أنه كان من أعظم كتاب عصره . كان قويا وكان ذا مزاج متفائل ، وان انطرق هنا الى المزايا المتعلقة بنبله وانسانيته . وأنني صديق عام لأرملته . عندما كان في مقتبل العمر كان شبيها بمعمور كما ذهب الى بعض ... في الثقافي ... أشد التعمق في شخصية الأخرين كان يحاول ان الاستماع في شركة ... الاصيل ... شخصيته ... اشتراكي ... وخير الضميم ... الغربية ... في استطاعته خلق الى حكاية لتتخير موقف قوي وبالجملة كانت حياته عرضا مسرحيا شاهدها المرارة والمعاناة)

وبالمقارنة مع حياة (غومبروفيكس) و (فيتكيفكس) العظيمين فان حياة (جون كوت) تعد نغمة إضافية ثالثا في سيمفونية الأدب البولوني المعاصر بعبقريته واتباعه ونضاله ومعاناته هو الآخر . بل إن هناك شيئا آخر مثيرا في حياة هذا الكاتب ، يقول (لقد كنت ابن تاجر بسيط . لم يكن والدي ميسور الحال . غير انه راهن على دفع الترامات الدراسية لسبب بسيط وهو ان الالتحاق بالجامعة البولونية لم يكن يكلف شيئا كثيرا في الحقيقة ، وعندما نشبت الحرب الأهلية الاسبانية كنت قد عدت الى فارسوفيا ، وكانت هناك لجنة خاصة لتأييد الجماعات المحاربة ضد الغزو الأجنبي في ابن بلد . ولقد كنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، كان لي عدة أصدقاء يحاربون ضد الفاشية ، كانوا شجعانا والتحق بعضهم باسبانيا ومات بها . كانت احدنا تلك تسمى باللجنة السابعة . كنت ذا مزاج ثوري ويصعب علي الآن ان أصنف أو أضع نفسي مع اليسار الجديد أو اليسار اليميني . إن تاريخ الجيل الذي انتمى اليه يبدأ مع الحرب الأهلية الاسبانية وينتهي بغزو تشيكو سلوفاكيا (١٩٦٨) .

الموت في المنفى

لقد امتنع كوت في البداية عن الحديث عن منفاه ، ولكنه شرع بعد ذلك قائلا إنني لأول مرة أفعل ذلك (كنت أعمل بجانب المقاومين البولونيين كنت أقطن الشارع ولم يكن لي منزل أو مأوى ألجأ اليه ، وكانت تقف بجانبي صديقة لي حميمة كنا نخبىء المنشورات السرية والأسلحة في منزلها ، ونعقد به بعض الاجتماعات . كانت رائعة الدراسة وعلى قدر عال من الجمال ، وصادقتها بعد ذلك لجوانب فطاهة وبعد تحرير بولونيا كنت أكتب في الصحف . ولقد استدعوا مرة من نشر قصة لي لأنها كانت تتضمن حقائق عن حياتي الخاصة . كنت صديقا حميما للفيلسوف الكبير (كولا كوسكي) الذي يعيش في المهجر هو الآخر مثل كثير من المثقفين البولونيين ، وعندما دعيت من طرف جامعة امريكية لالقاء بعض المحاضرات تعرفت على كثير من الحقائق المرة ، وتفاقم الشعور بالغربة في نفسي عندما أقمت هناك ، ورأيت أنه من الخير أن انتظر لأنظر في أمري وأخيرا فضلت الاستمرار في منفاي ، لم يكن ذلك من وحي افكاري بل لقد ارغمت ان أظل خارج بولونيا لأن معظم زملائي الذين غادروا اليها نزعوا عنهم أستاذيتهم ووظائفهم وتركوا لهم حرية الاختيار في البقاء ببولونيا أو مغادرتها ، أظن انني سأموت بعيدا عن موطني (في هذه اللحظة اعترت وجه جون كوت مرارة غريبة وقطوب شديد وإحساس حقيقي وصارخ (بالمأساة) التي تحدث عنها قبل قليل . لقد بدا أكثر إيمانا بتسليته في المعاناة (كامو) وقال في الأخير (انني رجل محكوم عليه بالغربة وسأموت بين أحضانها) ثم أضاف . إنني أتذكر أنه عندما كان غومبروفيكس يعيش في منفاه بفرنسا سألته إحدى الصحفيات وهو في فراش المرض عما يتمناه في تلك اللحظة ، فقال على الفور . الموت ، وينطبق ذلك على الآن فخير ما أتمناه أنا الآخر هو الموت

مدريد : محمد محمد الخطابي



كان الأدب الانجليزي حتى مستهل الخمسينات من هذا القرن أبدا ناقصا تعوزه الميثولوجيا، فكان كتابه وشعراؤه لا يجدون أمامهم غير الميثولوجيا الاغريقية يقتبسون منها .. فلما كتب تولكين كتابه (رب الخواتم) في ١٩٤٩/ ١٩٥٠ تغير وضع الأدب الانجليزي تماما.

ولكم تردد تولكين في الاقدام على ما وصفه صاحبه جفري سميث بأنه مشروع (لا نظير له ولا مثيل في تاريخ الأدب كله) ذلك هو خلق ميثولوجيا بأكملها...

ولنبدأ القصة من أولها ونقول أن تولكين الصغير، كان منذ طفولته يهوى اختراع كلمات ولغات غريبة عنيدة يطلقها على الشيء ما يرسم بخياله من جنيين وأقزام ومخلوقات. ومن هنا تولدت في نفسه فكرة خلق الميثولوجيا للانجليز على هدى ما كان للاغريق وهو في هذا يقول (لاتضحكوا مني . فقد حدث ذات يوم أن فكرت في خلق هيكل كامل من أساطير متصلة، منها ما هو أساطير كونية ومنها ما هو أساطير صغيرة لا ترتفع عن مستوى قصص الجن).

أولى أساطير تولكين التي وردت في كتابه (سلماريلون) تروي قصة خلق الكون وبناء العالم الذي أسماه تولكين (الأرض الوسطى) وأرض تولكين هي نفس عالمنا إلا أن ما يجري عليها من أحداث، وليد خيال المؤلف نفسه، وزمن وقوع الأحداث هو الزمن القديم يوم كان شكل الأرض يختلف عن شكلها الحالي.

وعالج تولكين في كتابه (سلماريللي) طريقة تكوين الجواهر الثلاث التي يملكها صغار الجن، وكيف سرق مورجوث الشرير تلك الجواهر من مملكة فالينور وما أعقب ذلك من حروب شنتها صغار الجن لاسترداد تلك الجواهر.

والذي يلفت النظر هو أن تولكين ـ الاستاذ الكاتب الفحل ـ كان يؤمن إيمانا راسخا بأن ما يرويه في تلك الأساطير هو الصدق الخالص .. لا لأنه كان يعتقد أن صغار الجن والأقزام والأرواح الشريرة التي صور في أساطيره كانت تمشي على الأرض أو تقوم فعلا بما وصف من حركات وألاعيب وأعمال، ولكن لأنه كان يحس أن الصدق نفسه يتجسم في مضمون تلك القصص دون أن تكون القصص من النوع الرمزي، وهو نوع من الأدب لا ترتاح إليه نفس تولكين الذي كان يؤمن وهو يكتب الميثولوجيا الكاملة ـ أن كتاباته ليست مجرد ابتكار لقصة لأن تلك الأساطير كانت تخطر بباله أولا كمعطيات تمر فرادى أمام عينيه ثم تظهر بينها روابط تضفي عليها صفة التسلسل وكان على حد قوله ـ يحس طول الوقت انه يكتب عن شيء موجود قائم



فعلا وليس عن شيء اخترعه أو ابتكره.

ولعل تولكين كان أوفر حظا من غيره من الكتاب المعاصرين لأنه كان يقرأ ما لم ينشره من كتاباته على جماعة من أفضل أهل العلم والأدب ـ جماعة الانكلنج التي شكلها عام ١٩٢٦ كاتبس لويس. أيام كان طالبا في الكلية الجامعية في اكسفورد ... كان يهتدي بآراء أصدقائه من أمثال تشارلز وليامز قبل النشر.

مسيرة تولكين

في مارس ١٨٩١ ابحرت الآنسة ميبل صفيلد الى جنوب افريقيا لتلحق بخطيبها ارثر تولكين ... الذي كان يعمل مديرا لفرع كبير من فروع بنك افريقيا ... وفي ١٦ ابريل ١٨٩١ تزوج ارثر بميبل وبعد أن ولد أولادهما جون رولاند يوم ٣ يناير ١٨٩٢ ثم بغلام آخر بعد ذلك.



عاشت الأسرة في مدينة بلوم فونتين عيشة نكدة لأن جوها الحار لم يلائم الأم ولا ابنها البكر رولاند ... وبعد خمسة أعوام أتكن الأم أن تترحل بطفليها إلى انجلترا على أن يلحق بها زوجها بعد قليل ... وأبحر ثلاثتهم في ١ أبريل ١٨٩٥ علمت ميبل بعد أشهر بمرض زوجها الذي مات في فبراير ١٨٩٦ ودفن في مقر عمله دون أن يخلف الصغار شيئا يذكر.

وجرى مع الأيام وبدا بين ضفاف الزمن ... وواجهت الأم مشكلة تعليم أولادها فقررت أن تتولى ذلك بنفسها أول الأمر، واستقرت في بيت متواضع في قرية مجاورة لمدينة برمنجهام، وفرح الطفل رولاند لبعده عن المدينة لأنه كان يؤثر حياة الريف التي كان لها أثر ملحوظ على حياته الأدبية.

وبدأ رولاند وأخوه يألفان رطانة أهل الريف وما فيها من ألفاظ غريبة مشتقة من ظروف المكان وأخذ رولاند (يصنع) كلمات جديدة، يصوغ منها لغة جديدة، يتحدث بها مخلوقات يشكلها خياله الخصب.

في عام ١٩٠٠ ارتدت الأم عن مذهب البروتستانت واعتنقت الكاثوليكية وتبعها ولداها ... وغضبت الأسرة وثارت ... ولكن أحد أعمام رولاند تولى دفع الرسوم المدرسية لما جاز رونالد امتحان القبول ولبعد المدرسة عن القرية اضطرت الأم للسكن في برمنجهام نفسها وحزن رولاند لذلك ... ولكنه قبل ما ليس منه بد.

تعرفت الأسرة في برمنجهام على قس كاثوليكي ـ فرانسيس مورجان ـ كان له أثر كبير على حياة رولاند التعليمية، وخاصة بعد أن أصيبت أمه بمرض السكري عام ١٩٠٤ وماتت في نهاية نفس تلك السنة.

وليس أدل على مدى تعلق رولاند بأمه من أنه كتب بعد موتها بتسعة أعوام (كانت أمي من الشهداء حقا ... كان أعظم ما منحنا الله ... إنه أعطانا أما قتلت نفسها كدا وهما لتضمن لنا حياة طيبة وتصون لنا إيماننا).

قرر الأب فرانسيس أن يظل رولاند وأخاه بعد موت أمهما ... كانت ... بشتى ... فوقها ... وكان ... الكتابة ... وعلى الرغم من تفاوت السن، نمت علاقة غرامية بين رولاند وايديث فكانا يلتقيان تحت ستر الظلام .. ورولاند إذ ذاك يستعد لدخول جامعة اكسفورد ويعلم أن امتحان الدخول صعب .. وفعلا فشل ولم ينجح. وقرر أنه لابد أن يبذل جهد المثابرة ليحصل على إحدى المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة كل عام وقرر الأب فرانسيس أن يفصل بينه وبين إيديث، فلما عاد إلى اكسفورد عام ١٩١٠ نجح ونال جائزة علمية متواضعة.

واعلنت الحرب العالمية الأولى ولكن تولكين أصر على أن يتم دراسته .. وأتمها وتزوج إيديث في مارس ١٩١٦ وبعدها أبحر مع فرقته إلى فرنسا .. برتبة ملازم ثان. فلما اعلنت الهدنة عاد إلى اكسفورد ليشترك في إعداد قاموس اكسفورد الجديد.

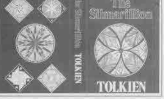
وفي عام ١٩٢٤ عين تولكين أستاذا للغة الانجليزية في جامعة ليدز ثم اختارته جامعة اكسفورد بعد ذلك أستاذا للغة الانجلوسكسونية.

وتوج تولكين حياته الجامعية لما عين أستاذ مرتون للغة الانجليزية في جامعة اكسفورد .. ولم يتخل عن كرسي الأستاذية إلا عام ١٩٥٩.

والذي ماز تولكين عن غيره، أنه كان في تدريسه الجامعي يلقي على طلابه وغيرهم من المستمعين تفسيرات واضحة تلقي على النصوص ضوءا جديدا. وأنه كان محبوبا من طلابه الذين كانوا يقدرون فكاهاته ويطربون لها .. وكانوا يجدون فيه إنسانية لا تتوافر لغيره.

حياته الأدبية

كان من الممكن أن نقول إن حياة تولكين الأدبية اقتصرت على كرسي اللغة الانجلو سكسونية الذي شغله لمدة عشرين عاما، وشغل أمثاله بعد ذلك أستاذ مرتون للغة



الانجليزية وادابها ، وإن هذه الحياة تتصف ببراعة الكلاسيكية ، ولكنها براعة فى نطاق محدود لا يهم القارئ منه قليل أو كثير.

كان من الممكن أن نقول ذلك ونصدق القول ، لو أن تولكين لم يؤلف خلال هذه الفترة كتابين نالا أكبر قسط من الرواج إذ بيع من كل منهما عدد يفوق ما بيع من أى مؤلف آخر ... فالذى بيع من كتاب (رب الخواتم) يزيد كثيرا عن ثلاث ملايين نسخة ولسنا نعرف على وجه التأكيد عدد ما بيع من كتاب (ذى هوبت).

استطاع تولكين أن يخلق شخصية يودع فيها كل ما أحب هو فى الجزء من انجلترا الذى نشأ فيه - وهى شخصية المستر بلبو باجنز (الهوبت) .. كان المستر بلبو باجنز قريب الشبه من تولكين الذى يعترف بوجود هذا الشبه بين (الخالق) و (المخلوق) ويقول (أنا فى واقع الأمر - هوبت - إلا من حيث الحجم ، أحب الحدائق والاشجار والمزارع غير الميكنة ، أدخن غليونى وأحب الطعام العادى ، وأكره الطبخ على الطريقة الفرنسية ، وعندى من الشجاعة ما يمكننى من لبس صدرية مزركشة) (ولا يرجع أصل جماعة الهوبت الى ملابسهم من صفاتى أو مميزاتى) - فالهوبت فى رأى تولكين (جماعة بسطاء من الريف الانجليزى أحجامهم صغيرة لأن خيالهم محدود عادة ولكن شجاعتهم وقوتهم الكامنة لاتحد) ، أى أن جماعة الهوبت التى خلقها تولكين تجمع بين صفات الخيال المحدود والشجاعة النادرة وهى (كما لمس تولكين بنفسه وهو فى الخنادق أيام موقعة نهر السوم) ، التى غالبا ما تعين الانجليز على البقاء فى وجه المخاطر.

وعلى الرغم مما فى القصة من ميثولوجيا إلا أنها أساسا قصة للاطفال كان كاتبها يقرأ حلقاتها على أطفاله قبل النوم ... كان اسم التنين فيها أول الأمر (برفتان) واسم كبير الاقزام جاندالف ، أما الساحر فهو بلادورثين وسرعان ما تغير اسم التنين الى (سموج) وهى كلمة مشتقة من أخرى جرمانية معناها (يمر خلال خرق أو فتحة)

بدأت هذه القصة للتسلية فقط ، ولم يهدف تولكين الى نسبة عالم (بلبو باجنز) البورجوازى الى العالم الميثولوجى العريض الذى رسمه (سلماريلون) إلا أن عناصر الميثولوجيا بدأت ترحف الى القصة بالتدريج وسرعان ما تبين باجنز ، أن طريق رحلته هو ورفاقه تقع عبر ركن من أركان



تولكين

(الأرض الوسطى) ... وفى ذلك يقول تولكين (ولعل هذه هى الأرض التى داسها باجنز لما ضل الطريق) ... ولما كانت أحداث القصة الجديدة قد وقعت بعد أحداث (سلمار ليون) بفترة طويلة ، ومادامت (سلمار ليون) تسجل تاريخ العصرين الأول والثانى من عصور (الأرض الوسطى) فهذه [illegible] (هوبت) هى قصة العصر الثالث.

المعروف أن تولكين بدأ هذه القصة عام ١٩٣٠ / ١٩٣١ [illegible] [illegible] [illegible] عام ١٩٣٦ [illegible] وهو يقول (كانت النهوض [illegible] كتابة هوبت) وأخيرا وصلت القصة الى يد الناشر .. ولما كانت قصة (الأطفال) - سلمها الناشر لولده ليقرأها - فأعجب بها .. ونشرت عام ١٩٣٧ وطالب القراء بالمزيد عن حياة (الهوبت) ولكن تولكين لم يكن يريد مواصلة الكتابة عن هذه المخلوقات ، بل كان كل همه أن يبدأ الكتابة الجدية لبعد الميثولوجيا الكاملة التى كانت تشغل عليه فكره فأخذ يركز هذا التفكير حول (الخاتم) ويكتب الحوار بين بنجو والجنى الصغير (جلدور) ويشرح طبيعة الخاتم الذى يقول الجنى انه واحد من عدة خواتم صنعها نكرو مانسر .. ويبدو أنه هو نفسه الذى يبحث عن الخاتم

وهكذا أخذت الاحداث تتطور والسياق يستطرد فى رأس الكاتب الذى رأى أن يكون خاتم بلبو هو الخاتم الرئيسى - الخاتم الحاكم - وأن تعود الخواتم الاخرى الى موردور ويظل الخاتم الرئيسى مفقودا فهذا الخاتم هو خاتم سورون ومصدر قوته وسورون هو بدوره السيد الخفى لموردور.

وانطلق تولكين الى هذا الوضع وارتاحت نفسه الى هذا الهيكل لأنه يرتفع بكتابه الجديد فوق مستوى (الهوبت) وقصص الأطفال الى عالم أعظم يمثل البطولة الرومانسية . وقرر تولكين بعد ذلك أن يكون عنوان قصته الجديدة (رب الخواتم)

والكتاب قصة طويلة تتألف من مليون كلمة ، استغرقت كتابتها ثلاثة عشر عاما ، ولم يفرغ تولكين من كتابته إلا فى أواخر ١٩٤٩ وبعث تولكين بالمخطوط الى صديقه سى.لويس الذى قرأه ثم كتب الى تولكين يقول :

عزيزى

جرعت الكأس المسمة حتى رويت وأعتقد أن القصص - بعد أن يتسلق القارئ تلك التل الذى يصادفه أولا - لا نظير له فى كل ما قرأت من أدب يتميز كتابك بما يبتكر من شخصيات وشخوص وغير ذلك وكأنها تأتى من معين لا ينضب كما يتميز الكتاب بوزنه وما فيه من قوة جذب

أما تولكين نفسه فقد قال للناشر (إنه كتاب مكتوب بدم حياتى .. ولهذا فمهما يكن من أمره فأنا عاجز عن كتابة غيره)

وبعد خلاف طويل دب بين تولكين والناشر وافق المؤلف على أن ينشر الكتاب فى ثلاثة أجزاء صدر أولها وثانيها عام ١٩٥٤ وصدر الثالث عام ١٩٥٥ وفيما بين ١٩٥٥ - ١٩٥٦ أعيد طبع الكتاب فى انجلترا وحدها أربع عشر مرة وترجم الى جميع اللغات الأوربية والاسكندينافية والعبرية والسلافية .

ماتت إيدث ، زوجته وحبيبته فى نوفمبر ١٩٧٧ وتركت الدنيا فراغا حول تولكين فلما أحست جامعة أكسفورد بوحدته بعثت إليه دعوة ليكون زميل شرف وخصصت له شقة فى مبانى الجامعة وخصصت له من يسهر على خدمته ...

وبقى أن نذكر أن لتولكين أكثر من أربعين مؤلفا شملت الأدب القصصى ومتن اللغة والشعر وغيرها

أحس تولكين فى أواخر ١٩٧٢ بالآم فى معدته زادت من الآم وحشته .. وأراحه الله فلفظ آخر أنفاسه فى صباح الأحد ٢ سبتمبر ١٩٧٣.

فاذا كان تولكين هبة من الله فان الميثولوجيا هبة تولكين للأدب الانجليزى والأدب العالمى

جمال الكنانى

الإسلام .. وأفريقيا

بقلم : د. رأفت غنيمي الشيخ

تشيع في كتابات الاوروبيين ان افريقيا كانت مجهولة للعالم قبل مجيء الرجل الاوروبي اليها اثناء مرحلة الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر ، وقد ساعد على شيوع ذلك قلة المصادر التي تتحدث عن افريقيا قبل مجيء الاوروبيين اليها ، بل وقلة المصادر التي كتبها الافريقيون انفسهم بالمقارنة بما كتبه الاوروبيون بعد ان تجولوا في انحاء افريقيا وحققوا مصالح دولهم في اراضي القارة .

وهذا القول فيه تجن على الحقيقة لان لافريقيا تاريخا حافلا طويلا قبل مجيء الرجل الاوروبي اثناء عملية الكشف التاريخي وان هذا التاريخ حفل بقيام حضارات وظهور ممالك وامارات عديدة ، ومهما قيل عن تواضع الحضارة الافريقية القديمة فان حضارة فراعنة وادي النيل والفينيقيين بشمال القارة والاتصالات التي تمت بين مواطن هذه الحضارات واجزاء من القارة في الشرق والغرب تشير الى ان الحضارة الافريقية حضارة راسخة .

كما انه عند انتشار الديانة المسيحية وجدت طريقها الى افريقيا واقيمت الكنائس والمؤسسات الدينية المسيحية في انحاء من القارة الافريقية واعتنق كثير من الافارقة الدين المسيحي واقاموا علاقات مع اخوانهم في الدين في الدول المطلة على البحر المتوسط استمرت حتى ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية واخذ يتجه صوب افريقيا .

الاسلام في افريقيا

ويعتبر دخول الدين الاسلامي الى افريقيا من الامور ذات الاثر الكبير في تاريخ القارة ، وهذا لان العرب المسلمين اصحاب الدين الجديد لم يؤمنوا يوما بنظرية تفوق الاجناس او وجود جنس نقي ، بل تزاوجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل الافريقية بشمال القارة ووسطها في الصحراء الكبرى ، وربطت بين الافريقيين شمال القارة ووسطها وشرقها وغربها حتى اصبح عقيدة السلم في القارة الافريقية التي يؤمن بها ثلث سكان القارة يسكنون انحاء القارة شمال وجنوب خط الاستواء .

والاسلام يمثل قوة كبرى في القارة الافريقية ، ولا تقتصر هذه القوة على القيمة العددية للافارقة المسلمين فقط بل تشمل هذه القوة ايضا النشاط الثقافي والاقتصادي والاجتماعي الذي يمارسه مسلمو افريقيا الى جانب اشتراكهم الحالي في "الحركات التحريرية لاوطانهم الواقعة تحت نير الاستعمار الاوروبي .

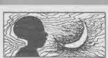
وان نظرة الى الاحصائية التي وردت في بعض المصادر عن اعداد الافارقة المسلمين في كل قطر من الاقطار الافريقية يتضح ان الدين الاسلامي في انتشاره بافريقيا قد اخترق نطاق الغابات في غرب افريقيا، كما انتشر على طول الساحل الغربي ، ودخل مع بعض المهاجرين الى الكنغو ، وكذلك الحال في الشرق فقد نفذ الاسلام الى جنوب السودان وهضبة البحيرات وتدفق الى قلب الهضبة الحبشية ، وتخطى ساحل شرق افريقيا الى المناطق الداخلية ، كينيا وتنجانيقا ، ودخل جنوب افريقيا مع المهاجرين المسلمين من سكان شبه القارة الهندية .

وكان الاسلام يأتي مع موجات من العرب المسلمين المحملين بالرسالة من شبه الجزيرة العربية ، وكل موجة تؤدي دورها من حيث نشر الدين الاسلامي واللغة العربية والاختلاط بالسكان الاصليين لافريقيا ، وكانت كل موجة تستقر في المكان الذي تنزل به اول الامر وسرعان ما تتجه الى المناطق المجاورة لها لكي تنشر فيها نور الايمان بالاسلام ، ولعل الموجة العربية التي وفدت الى شمال افريقيا كانت انشط الموجات العربية الاسلامية حيث ان هذه الموجة الزاحفة من ليبيا في اتجاه الجنوب الافريقي عبر الصحراء الكبرى قد ساعدت على نشر الدين الاسلامي والتأثير في زنوج غرب افريقيا تأثيرا اجتماعيا قويا جعل هناك ارتباطا بين غرب القارة وشمالها قائما حتى اليوم .

طريقان الى افريقيا

وقد نفذ الاسلام الى افريقيا مستخدما عدة طرق اهمها طريقان هما :

اولا : طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس ، وهو الطريق الذي تدفقت منه وعبرته الجماعات والجيوش والقبائل العربية الاسلامية الى مصر وشمال افريقيا بصفة خاصة ، ومن شمال افريقيا امتد الاسلام محاذيا للمحيط الاطلسي حتى تغلغل في حوض نهر النيجر واقطار غرب افريقيا ، وقامت جماعات من القبائل العربية الاسلامية بدور كبير في انتشار الاسلام واللغة



● أفريقيا تاريخها أطول حسابا قبل مجيء الرجل الأبيض
● الإسلام يشكل قوة كبرى في القارة الأفريقية
● الدين الإسلامي في أفريقيا [illegible]



العربية في تلك المناطق كما نهضت حركات دينية تزعمها مشايخ الطرق الصوفية بنشر الدين الاسلامي واللغة العربية في غرب ووسط القارة الافريقية . وما زال لهم دور واضح حتى الآن .

ثانيا : كان الطريق الاول ـ طريق سيناء وبرزخ السويس ـ طريقا بريا بينما كان الطريق الثاني الذي تقدم منه وعبره الاسلام الى افريقيا هو الطريق البحري المتصل في مياه البحر الاحمر ، وخليج عدن ، وباب المندب والمحيط الهندي . وهذا الطريق هو المسئول عن انتشار الاسلام في شرق ووسط وجنوب القارة عن طريق نزول جماعات اسلامية الى هذه الجهات سواء كانت هذه الجماعات من العرب أو من الهنود .

وبالنسبة لانتشار الاسلام داخل القارة فقد كانت الصحراء وسيلة لعبوره من منطقة لاخرى . وقد رأى بعض المؤرخين أن الصحراء تعتبر حاجزا اعاق انتشار الاسلام انتشارا سريعا . ولكن المؤرخين المنصفين يرون عكس ذلك . فـ « جون جنثر » في كتابه « داخل افريقيا » يرى ان الصحراء كانت جسرا يربط بين شمال القارة وجنوبها وسهلت للدين الاسلامي الانتشار في افريقيا الى الساحل الغربي والساحل الشرقي مارا بوسط القارة .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة انه عند دخول الدين الاسلامي الى القارة الافريقية ومعه ثقافة العرب تشربها الافارقة الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ، وحاولوا التوفيق بين عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة اي ثقافتهم على تواضعها ، وبين الثقافة العربية النشطة الحديثة .

ضد الغزو الاستعماري

وانتشر الاسلام والثقافة العربية على شاطئها في افريقيا حتى اصبحت بعض الاقطار والمدن الافريقية مراكز لاشعاع الحضارة العربية الزاهرة ، ومن امثلتها [illegible] الاسلامية [illegible] ثم القاهرة [illegible] القيروان [illegible] وفاس بالمغرب الاقصى [illegible] افريقيا اصبحت [illegible] طوال القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من مراكز الثقافة العالمية ، وعلماؤها يبارون علماء المدارس الاسلامية الاخرى في القوة والانتاج العلمي ، وامتدت هذه النهضة الى سنار والى هرر ومقديشيو وكيلوه وزنزبار وغيرها من مراكز الاسلام في افريقيا .

ولكن الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا غلب عليها مع مرور الزمن التقليد دون التجديد . في الوقت الذي نهضت فيه اوروبا خاصة في القرن التاسع عشر فكريا وماديا بسبب انفجار الثورة الفرنسية وحدوث الانقلاب الصناعي ، والتقت الثقافة الغربية الاوروبية المتحررة النشطة المادية بالثقافة العربية الاسلامية المتمسكة بتقاليد من سبق المسلمين لا تساير متطلبات العصر .

حدث هذا اللقاء على الأرض الافريقية كما حدث على غيرها من اجزاء العالم . وكانت الثقافة الغربية الاوروبية المادية النشطة مؤيدة بمطامع استعمارية اداتها القوة المسلحة الحديثة . ومن ثم بدأت الثقافة الاوروبية تتصدر الميدان في افريقيا لا لصالح الافارقة ولكن لمصلحة المستعمرين الاوروبيين انفسهم وأوطانهم .

ولم يكن هذا عيبا في الاسلام وثقافته العربية . بل كان عيبا في عقول المفكرين المسلمين غير المتطورة بدليل ان المسلمين في افريقيا وغيرها عمتهم نشوة دينية ضد الخطر الاوروبي الاستعماري ، وخاصة خلال القرن التاسع عشر والعشرين ، واخذ قادة هذه النشوة الدينية او الحركات السلفية والاصلاح الديني يستنهضون الشعوب الاسلامية لتنقية الاسلام مما علق به من بدع وخرافات بالرجوع الى المصادر الاصلية للدين الاسلامي وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتعددت الطرق الصوفية والدعوات الاسلامية الدينية في افريقيا وكلها تدعو الى الرجوع بالاسلام الى سيرته الاولى ايام الرسول والخلفاء الراشدين ، كما تدعو الى الوقوف ضد الغزو الاستعماري للبلاد الاسلامية في افريقيا وغيرها .

أجرى الحوار: نبيل خالد الأغا

المفكر الإسلامي محمود شيت خطاب للدوحة

وحدة العسكرية العربية هي قضية الساعة



خلال انعقاد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في قطر في نهاية العام الماضي، التقت « الدوحة » بالمفكر الإسلامي الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب وتم التحاور معه في قضيتين جوهريتين .. الأولى تركيز الضوء على تاريخ أول جيش إسلامي بناه وأسسه وقاده (الرسول القائد) محمد صلى الله عليه وسلم .. مع فكرة موجزة عن مؤلفات مفكرنا في المجالات العسكرية الإسلامية .

والثانية عن تصوراته بالنسبة للأسلحة النووية وضرورة امتلاك العرب إياها .. وكذلك ضرورة تدعيم الجبهة الشرقية في مواجهة العدو الصهيوني .

واللواء الركن « محمود شيت خطاب » غني عن التعريف ، فقد شغل العديد من المناصب في الجيش العراقي ، ومنصب الوزارة في عدة وزارات مختلفة ، وصاحب المؤلفات الضخمة والجهد غير المسبوق في التاريخ العسكري العربي والإسلامي والبحث في المصطلحات العسكرية العربية والإسلامية ورئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، وعضو المجامع العلمية ببغداد ودمشق والقاهرة .

● أريد أن تعطي قارىء الدوحة فكرة موجزة عن آخر الدراسات التي كتبتها .

آخر الدراسات التي كتبتها هو البحث الذي تقدمت به للمؤتمر العلمي الثالث للسيرة والسنة بعنوان « تاريخ جيش النبي صلى الله عليه وسلم » .

وقد تحدثت فيه عن مجمل السيرة وهي عبارة عن توحيد من أجل الجهاد ، وجهاد من أجل التوحيد . فبالتوحيد لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم الانسجام الفكري بين المسلمين فجعل التعاون بينهم ممكنا ويؤدي إلى النصر .

ثم تحدثت بعد ذلك عن رسالة المسجد العسكرية ، وذكرت أن الهجرة إلى المدينة معناها حشد المسلمين في قاعدة أمينة ، وقد بادر النبي (ص) ببناء المسجد ليكون مقرا للقيادة ، ومكانا للتدريب العسكري ، وموجها لتعليم الجهاد ومنطلقا للمجاهدين ، وملجأ لحمايتهم ، ومحلا لتضميد الجرحى ، ومكانا للتجمع إذا داهم المدينة خطر .

لقد كانت رسالة المسجد العسكرية مادية ومعنوية على حد سواء ، وكان المجاهدون الأولون من خريجي مدرسة المسجد .

● ثم تحدثت عن بناء الجندي والقائد المسلم ، وذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى المجاهدين بعوامل ثلاثة هي :

ـ العقيدة الراسخة ، وهي التي تجعل المؤمنين يستقتلون دفاعا عنها ، ويسترخصون الأموال والأنفس لأجل إعلاء كلمة الله ، ولكن القول بأن العقيدة الراسخة وحدها كافية لا يغني عن كل قول ، لأن العقيدة كما جاءت في الكتاب العزيز والسنة النبوية موجودة كما كانت في عهد النبي (ص) ولكن العاملين الآخرين في بناء الإنسان المسلم اللذين طبقهما الرسول (ص) يكادان أن يكونا غائبين . هذان العاملان هما : الأسوة الحسنة ، واستخدام الرجل المناسب في العمل المناسب .

ـ أما الأسوة الحسنة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بشيء إلا ويطبقه شخصيا بمنتهى الدقة والأمانة ، ولا ينهى عن شيء إلا ويبتعد عنه أشد ما يكون البعد ، وبذلك جعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين ، كما أثبت عمليا أن الأمور التي يظن أنها لا يمكن أن تكون يمكن أن تكون ، فكان عليه الصلاة والسلام هو التطبيق العملي لتعاليم الإسلام بشرا سويا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .

ـ أما العامل الثالث وهو استخدام الرجل المناسب في العمل المناسب فقد كان (ص) يعرف كل رجل من رجالات المسلمين معرفة دقيقة فيكلف كل واحد منهم بواجب يستطيع إنجازه أفضل من غيره ، ولا يولي رجلا لا يتميز بالتقوى والحرص والكفاية والأمانة ، والذي له قابلية للقيادة يوليه قيادة الرجال ، والذي له قابلية إدارية يوليه الولاية والفقيه يوليه تفقيه الناس .

بناء الرجال

● كيف كان رسولنا الأعظم يتصرف في بناء الرجل المسلم ؟

لقد كان الرسول يعلم أن كل بشر له مزايا وله نواقص فيستفيد من مزاياه ويحاول إصلاح نواقصه ، ويتكلم عليها ، خذ مثلا ، لقد ولى القيادة خالد بن الوليد بعد إسلامه مباشرة لأنه كان متميزا بقابليته القيادية ، وما يقال عن خالد يقال عن عمرو بن العاص ، وقد استفاد الرسول (ص) من آراء عثمان بن عفان ، ولم نسمع عن أنه كلفه بمسؤولية الأقران في الحرب ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتميز بالتفكير الثاقب فاستفاد من مشورته ، وكان حسان بن ثابت شاعرا فذا فاستفاد من شعره ، فلما التحق بالرفيق الأعلى خلف عددا لا يحصى من القادة والولاة والمحدثين والدعاة والقضاة ... الخ .

هذا هو الدرس الذي يجب أن نتعلمه من الرسول القائد عليه الصلاة والسلام الذي يضع الرجل لمصلحة المجتمع الإسلامي ، ولا يحطهم لأنه لا يولي أحدا إذا كان بعيدا عن التقوى والكفاية والأمانة وهذه الميزة الفذة في الرسول

- كانت رسالة الفتح العسكرية مادية ومعنوية على حد سواء
- العقيدة الراسخة تجعل أصحابها يستمسكون بكل قوة دفاعا عنها
- الجيوش العربية تحت مظلة عسكرية واحدة : بعد أن كانت كيانات شتى
- كرامة العلماء : كتاب القادة كبير بعلماء المسلمين ومكانتهم



جعلت الفرد المسلم يثق بعقيدته ويؤمن بأنه لا يتقدم إلا بتقواه وكفايته ، وبذلك يطمئن على حاضره ومستقبله فيبذل قصارى جهده لإتمام كفايات وتحقيق غاياته . كما يجعل المجتمع يثق بأنه يقاد ويدار ويساس بأفضل القمة من الرجال .

● ماهي الأدوار التي مر بها جيش الرسول عند تكوينه ؟

تسألني عن الأدوار التي مر بها بناء جيش الرسول فالحق لله بأن هذا الجيش العظيم قد مر بأربعة أدوار هي :

١ ـ الدور التمهيدي

وهو عبارة عن إعداد المجاهدين الذي بدأ من مبعثه الى هجرته للمدينة واقتصر هذا الدور على نشر العقيدة الراسخة ، وتكوين مجتمع الأخوة « إنما المسلمون إخوة » .

٢ ـ دور الدفاع عن العقيدة

بعد نزول الإذن بالقتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) والى انتهاء غزوة بدر الكبرى التي انتهت نتائجها لانتصار العقيدة الإسلامية على المشركين . وقد استمر هذا الدور الى تحطم الأحزاب في غزوة الخندق ، وفي نهاية هذا الدور وبعد انسحاب المشركين قال صلى الله عليه وسلم « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » .

٣ ـ دور التعرض

يبدأ بعد غزوة الخندق الى غزوة حنين . وفي هذا الدور أصبح الجيش الإسلامي قوة ضاربة سحقت أعداء الإسلام من مشركين ويهود ومنافقين .

٤ ـ دور التكامل

ويمتد من بعد غزو حنين الى غزوة تبوك التي قادها الرسول (ص) فكانت نتيجتها العظيمة إيذانا بمولد الدولة الإسلامية .

وبهذا الجيش استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يوحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام . هذا التوحيد الذي جرى لأول مرة في التاريخ ولآخر مرة حتى هذا اليوم .

كانت خاتمة البحث هي خطة النبي صلى الله عليه وسلم في بعث سرية أسامة بن زيد بالتعرض بالحدود الجنوبية لأرض الشام حيث كان الروم مسيطرين على تلك البلاد . وبذلك وجه المسلمين وجهة معينة بدأ بها صفحة جديدة من صفحات الفتح الإسلامي العظيم الذي امتد من الصين شرقا الى سيبيريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا الى قلب فرنسا غربا . فكان صلى الله عليه وسلم هو الذي أنشأ هذا الجيش أفرادا وجماعات وجنودا وقيادات . وكان هو المخطط الأول للفتح الإسلامي العظيم والموحد الأول لشبه الجزيرة العربية .

قادة الفتح الإسلامي

● ماهي آخر مجهوداتكم في الدراسات العسكرية ؟

من ناحية الدراسات العسكرية عن قادة الفتح الإسلامي فقد صدر لي منها : الرسول القائد ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ قادة فتح الشام ومصر ـ قادة فتح فارس ـ قادة فتح المغرب العربي .

أما الجزء الخامس فهو تحت الطبع ويتناول : قادة فتح المشرق الإسلامي الذي يشمل فتح ما وراء النهر والأفغانستان وباكستان وتركستان وازبكستان والمناطق التي تمتد الى شمال بخارى وسمرقند .

ويبقى من سلسلة قادة الفتح الإسلامي جزءان هما : فتح الأندلس والبحار وقادة فتح أوربا ، وبذلك تستكمل سلسلة قادة الفتح لأول مرة في التاريخ القديم والحديث ، حيث ألفت كتب في طبقات الشعراء والمحدثين والأدباء والأطباء والفقهاء وحتى طبقات المغنين وبقيت طبقات القادة غائبة حتى اليوم .

كما وفقنا الله لإصدار كتب خاصة عن خالد وعقبة ، والفاروق القائد ، ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم ، والمهلب بن أبي صفرة ، وأبي موسى الأشعري ، وعدد كبير من القادة الآخرين ، ولئن جعل الله في العمر بقية وأمدني بعون من عنده لأخرجن للناس سلسلة عن معارك الفتح .

● هل اقتصر عملكم هذا على التاريخ الاسلامي والفتوحات والقادة فقط ؟

لا لم يقتصر عملنا على التاريخ الاسلامي والفتوحات والقادة المسلمين ، بل عملنا في محاور ثلاث أخرى . ذكرنا المحور الأول في الإجابات السابقة ، أما المحور الثاني فهو اللغة العسكرية ، حيث نشرنا واصدرنا كتب المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (جزءين) ، والمصطلحات العسكرية في كتب التخصص ، وأهمية توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، ثم توجنا هذا العمل اللغوي العسكري بتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، فأصدرنا مع لجنة مؤلفة من ضابط واحد من كل جيش عربي ، المعجم العسكري الموحد ، بأربعة مجلدات كل مجلد يضم ألف صفحة تحتوي على ٦٠٠٠٠ و٨٠ (ثمانون ألف) مصطلح عسكري تغطي جميع القوات العسكرية ، والتدريب العسكري والتعليم بما فيه أسماء الرتب العسكرية والمصطلحات السوقية (الإستراتيجية) والتعبوية والآليات والطائرات والمدافع والحرب الجرثومية والكيماوية والنووية بدقة تفرعاتها وأسماء أقسامها .

وهذه المعاجم هي : المعجم العسكري الموحد (انجليزي ـ عربي) ، المعجم العسكري الموحد (عربي ـ انجليزي) ، والمعجم العسكري الموحد (فرنسي ـ عربي) والمعجم العسكري الموحد (عربي ـ فرنسي) .

وبذلك اصبحت الجيوش العربية تتكلم لغة واحدة ، وكانت قبلها تتكلم لغات عسكرية شتى ، وحسبي أن أذكر أن وفدا عسكريا من أحد أقطار المغرب العربي زار الجيش العراقي فلم يستطع الوفد التفاهم مع العسكريين العراقيين إلا بعد استقدام أحد الذين يحسنون اللغة الفرنسية !

فإذا كان الأمر كذلك في السلم فكيف يتم التطوير في الحرب ؟ .

ومما أدخل السرور في نفسي أن جيشا عربيا كان يتكلم بلغة أجنبية وليس في مصطلحاته العسكرية مصطلح عربي واحد ، فأصبح هذا الجيش ـ وبعد أن صدر المعجم العسكري يتكلم بلغة عربية فصحى ليس فيها كلمة واحدة اجنبية .

أما المحور الثالث فهو محور العسكرية الحديثة ، فقد كانت أول من درس العسكرية الإسرائيلية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، فأخرجت كتاب (الوجيز في العسكرية الإسرائيلية) والذي صدر عن معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ، وأتبعته بكتاب العسكرية ، العسكرية الإسرائيلية للعسكريين العرب المختصين .

كما أصدرت كتاب : دراسات في الوحدة العسكرية العربية ، الذي صدر عن معهد الدراسات العليا بعد إلقائه محاضرات على طلابه ، وأتبعته بكتاب : الوحدة العسكرية العربية ، لأني شعرت أن الوحدة العسكرية هي الجواب لا هي قضية الساعة التي تقضي على العدو الصهيوني قضاء مبرما .

كرامة العلماء

● في [illegible] ... بالقاهرة [illegible] ؟

إن الذي أجده بعد هذه الرحلة الطويلة هو أن [illegible] ... الجاحظ [illegible] ... يستطيع أن يكون [illegible] ... يستطيع أن يكون عالما ، ووقف طويلا . [illegible] ... المجلات ويقرأها الناس يوما أو بعض يوم ثم ينسونها إلى الأبد !

ولقد يقول العالم كلمة في صاحب السلطان فيسجلها التاريخ ويبقى ناطق التاريخ ! هذا الكتاب « كرامة العلماء » أذكر به علماء المسلمين مكانتهم ومكانتهم ، فقد كان السلف الصالح من العلماء يعتبرون العلم عبادة من أجل العبادات ، فليس لأحد من العلماء أو المدعين أن يجعل العلم من أربح التجارات .

إن تاريخ علماء المسلمين طافح بالعلماء العاملين المخلصين المحافظين على كرامة العلماء ، وقد أراد هارون الرشيد أن يستقدم الإمام مالك إلى بغداد لتعليم ولديه الأمين والمأمون فاستعصى عليه مالك ، فقال هارون الذي كان ملكه يمتد من الصين إلى فرنسا إلى المحيط الهندي قولته لا تزال ترن في أذن الزمن « تأبر علينا علم مالك فاستفدنا منه » !!

لقد بدأت بإعداد هذا الكتاب قبل ثلاثين عاما ، فجمعت فيه قصصا عن عزة العلماء لا نظير لها في الأديان أو الأمم الأخرى .

● كيف ترانا نستطيع التغلب على أعدائنا بعد أن ضاقت بنا السبل ؟

إنني أصدقك القول بأننا في ظروفنا الراهنة بحاجة ماسة إلى قادة متميزين كخالد وسعد والمثنى ، وطارق ، وموسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، نحن بحاجة إلى أمثال هؤلاء العباقرة كي نستعين بهم لرفع العار عن العرب والمسلمين في معركتهم ضد اليهود ، ولكننا بحاجة أكبر إلى القادة من العلماء كالأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ، وابن تيمية ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، والإمام الشعبي ، والعز بن عبد السلام ، والشاذلي ، نحن بحاجة لأمثال هؤلاء العلماء المجاهدين الذين يأمرون الناس بالبر ولا ينسون أنفسهم ، يرتدون الكفن ويقتحمون الحشود ، ويحرضون على الجهاد ، ويرددون نشيد النصر : الله أكبر ، حين ذاك سيقول اليهود كما قال أسلافهم من قبل : إن فيها قوما جبارين ، ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله .

● هل يرى العرب والمسلمون قد وجدوا طريقهم لاسترداد فلسطين الحبيبة ؟

التقدم إلى الوراء

طالما سئلت هذا السؤال ، لقد كثر الحديث عن فلسطين خطبا وقصائد وإذاعات مرئية ومسموعة ، وكلمات مطروحة فما أجدى الكلام في هذا المجال فتيلا ، بل تقدمت هذه القضية إلى الوراء كأنها تسير بلا مهل ولا تتقدم !! فكيف يقال إن العرب وجدوا طريقهم لاسترداد الأرض المقدسة ؟ .

وجوابي على ذلك ـ هناك مؤشرين يدلان على أن العرب جادون في تحقيق أهدافهم لاسترداد الأرض المقدسة :

الأول ـ هو منافسة العرب للعدو الصهيوني في مجال العلوم التطبيقية ومحاولة اللحاق بذلك العدو تمهيدا لإحراز السبق عليه ، والعدو الصهيوني لم يضيع من وقته دقيقة واحدة في الإعداد العلمي من أجل الحرب ، فمنذ مولد كيانه بدأ فورا بكتائب التقاطعات النووية وإعداد العلماء واستقدام الخبراء واستيراد المواد ، واستطاع أن يتقدم في المجالات العلمية عامة وفي مجال إنتاج السلاح النووي خاصة .

وكان النشاط الصهيوني مكشوفا إلا بالنسبة للعرب الذين يعتمدون سياسة النعامة لما حرب العدو بينها ولكن النعامة هي التي خربت بيتها بيدها ، وبدلا من أن يزج العرب بكل طاقاتهم المادية والمعنوية في معركة العلوم التطبيقية استنفدوا هذا الجهد وتلك الطاقات في الحرب الكلامية التي لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا . إن الدول العربية تملك مصارف كثيرة في الشرق والغرب وتمول مصارف أخرى كثيرة شرقية وغربية ، وهذه الأموال الطائلة التي تتضاعف عاما بعد عام تسحق العدو الصهيوني سحقا لو أن العرب صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن المعلوم أن أسرار إنتاج الأسلحة النووية أصبحت مكشوفة ، وبإمكان كل دولة أن تمتلك السلاح النووي .

لقد حاولت إحدى الدول العربية في الخمسينات أن تنتج سلاحا نوويا ، ولكن دولة أجنبية صديقة كبرى نصحت تلك الدولة العربية أن

تقفل أبواب مشاريعها النووية بحجة انها ستقدم هذا السلاح للدول العربية اذا احتاجت إليه !

انني اريد ان اقدم حقيقة لامتي العربية لا يشك فيها عاقل ابدا هي ان الاسلحة النووية ليست من البضائع التي تعرض في الاسواق ، واذا اراد العرب الحصول على هذا السلاح فلابد لهم من ان ينتجوه بانفسهم وكل ادعاء يخالف هذا محض افتراء .

لقد كانت هناك حرب بين ايطاليا الفاشية والحبشة عام ١٩٣٦ ، فاستخدم الايطاليون الغازات السامة ضد الاحباش لانهم يمتلكون هذا السلاح ولا يمتلكه الاحباش ، وفي الحرب العالمية الثانية التي امتدت من سنة ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٤ بين الحلفاء من جهة والمحور من جهة ثانية لم يستعمل الطرفان المتحاربان الغازات السامة لان المحور والحلفاء يمتلكان هذا السلاح

وفي سنة ١٩٤٤ كانت اليابان تقاتل بعيدا عن ارض الوطن وتحتل الاراضي الشاسعة التي تسيطر عليها الاف الاميال برا وبحرا ، وكانت قواتها البرية والبحرية والجوية لا تقل شأنا عن اعدائها ، وحين استعمل الامريكان السلاح النووي على هيروشيما وناجازاكي وقف الميكادو بنفسه ليعلن في المذياع الياباني بان العدو استخدم سلاحا رهيبا لاطاقة لنا بمقاومته ، فليس لدينا إلا الاستسلام !

اما اليوم فمن اسباب امتداد عمر السلام بين الشرق والغرب هو ان الطرفين يمتلكان السلاح النووي

والنتيجة ان العدو الصهيوني اذا امتلك السلاح النووي دون ان يمتلكه العرب فانه يؤثر في معنويات العرب حتى قبل استخدام هذا السلاح !

اما من الناحية العملية فسيستخدمه (حتما) في المكان والزمان المناسبين ضد العرب ، ولن يثنيه عن استخدام هذا السلاح إلا امتلاك العرب له .

تكوين الجبهة الشرقية

اما المؤشر الثاني الذي يدل على ان العرب وجدوا طريقهم لانقاذ فلسطين فهو تكوين الجبهة الشرقية ، وحشد كافة طاقاتهم المادية والمعنوية في هذه الجبهة . ان تقدير الموقف العسكري في تقرير اهمية الجبهات العربية المحيطة باسرائيل يثبت ان :

اولا ـ الجبهة المصرية جبهة ثانوية لان على القوات التي تريد غزو اسرائيل ان تقطع سيناء والنقب ، ولذلك وجدنا ماعولة لتصل اخيرا الى القدس او تل ابيب بعد اجتياز هذه المساحة الطويلة التي تنتشر فيها الموانع الدفاعية .

ثانيا ـ الجبهة الاردنية بحدودها الطويلة الواسعة والتي تبعد عن المعاقل الهامة كالقدس وتل ابيب بضع ساعات لا تتجاوز الساعة بالوسائط الحربية وحجم ... يقدرات ، كهذه في الواقع هي القضية الحيوية بالنسبة للعرب وبالنسبة للعدو الصهيوني ومن المستطاع ان تنطلق الى قلب اسرائيل بعد الاطمئنان الى ابعاد ... الحدود وتخليها من القوات المحتشدة الدفاع عنها ، ولذلك فان العرب اذا جعلوا الجبهة الشرقية جبهة دقيقة وشرشوا للعدو لاستطاعوا ان يخترقوا الجبهة الاسرائيلية بسهولة ويسر

● صورة الصهيوني ، كيف تراه الآن ؟

اجل ، ان من واجب العرب ان يدرسوا تاريخ الحروب ليأخذوا منها العظات والعبر ، وعلى العرب ان ينتجوا السلاح النووي ليصاولوا به العدو الصهيوني دفاعا عن انفسهم وحقوقهم واستقلالا لارضهم وعرضهم ، والا فسيصبحون لاجئين اليوم او غدا .

انني اتذكر ... وعلى صفحات مجلتكم اقول من سيبح مجيب ؟ ام على قلوب اقفالها ؟

ويستعيدوا اهدافا هامة في الاراضي المقدسة خلال بضع ساعات !

طالما شبهت الجبهة الاسرائيلية بقشرة البيضة يمكن كسرها من كل مكان بغاية السهولة ، بالنسبة للعدو الصهيوني في تعرضه وبالنسبة للعرب في تعرضهم اذا اعدوا للجبهة الشرقية ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ، والجبهة الشرقية ينبغي ان تضم قوات عراقية وسورية وليبية وتونسية وجزائرية ومغربية وسعودية ويمنية برية وجوية ، وان تكون بقيادة موحدة تحتل كل من تلك القوات المناطق المخصصة لها تنفيذا للخطة المرسومة ، وحين ذاك يستطيع العرب الدفاع عن الجبهة الاردنية في حالة تعرض العدو الاسرائيلي ، كما يستطيع العرب التعرض بهذه القوات في الموعد الذي يقررونه .

اما بقاء الاردن بقواته وحدها فالخطر داهم على الاردن وعلى البلاد التي لها حدود معها وهي سوريا والعراق والسعودية ودول الخليج .

من ذلك يتضح ان الدفاع عن الاردن هو دفاع عن الامة العربية ، فلابد ان يبذل العرب عطاءا كل مستطيعين من اموال وانفس في دعم الاردن وشد ازره ، ولن يتم ذلك إلا باعادة تنظيم الجبهة الشرقية وقيادتها الموحدة .

ذلكما هما المؤشران اللذان يدلان على ان العرب وجدوا طريقهم لاستعادة الارض المقدسة بعد ان ضلوا وطالوا في التيه طويلا .

اما ان يكتفي العرب بالاقوال فلن يضر العدو الصهيوني شيء مثل اكتفاء العرب بالاقوال دون الافعال ..

الاكذوبة الكبرى

ارجوك ان تثق في كلامي .. انني اعتقد ان العدو الصهيوني اكذوبة كبرى فقد كنا نستهين به قبل كل حرب ، اما بعد كل حرب شنه فنضخمه ونبالغ في قدراته العسكرية لنسوغ امر هزيمتنا ، وما هكذا تورد يا سعد الابل ، لان الامم الاخرى تبالغ وتضخم قوات العدو قبل الحرب لتستعد له بكل طاقاتها مدخلة في حساباتها اسوأ الاحتمالات ، اما بعد الحرب وبعد النصر فمن حق تلك الامة ان تستهين بعدوها لانها انتصرت عليه .

لست اجد عربيا واحدا إلا ويتباكى على فلسطين ، وهذا التباكي يذكرني بقصة الواعظ الذي وعظ الناس فاستدر الدموع ، فعلا البكاء والنحيب من السامعين ، ثم التفت فوجد مصحفه الذي يتلو منه على سامعيه قد سرق ! فقال : كلكم يبكي فمن سرق المصحف ؟ !

فكل العرب يبكون ، فمن المقصر في حق فلسطين ؟ ولماذا تتقدم قضيتنا الى الوراء ؟ !!

نبيل خالد الآغا

● العارف فش بش ، بسام يبجل الصغير من تواضعه كما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه

ابن سيناء

● خير الشيم القدمة وعماد الفعل بالتعلم .

● العارف شجاع وجواد لانه بمعزل عن تقية الموت ومحبة الباطل ، وهو صفاح للذنوب ، نساء للاحقاد لان نفسه اكبر من ان تخرجها ذات بشر ، وذكره مشغول بالحق

« ابن سيناء »

جمال قطب

السجاد الإسلامي

لمسة فنية جميلة على لوحة الحضارة

أن الفن الأصيل في أي مجتمع يعبر أول ما يعبر عن المحليات البيئية ذات الطابع الذي يميزها عن غيرها من المجتمعات . لذلك نرى أن كثيرا من البلاد التي تكونت منها الامبراطورية الإسلامية الواسعة ، ذات حضارات عريقة ازدهرت بفنونها الضاربة في أعماق التاريخ قبل العصر الاسلامي ، وشجع حكام المسلمين هذه الأصالة الفنية ولم يفرضوا أية قيود على مسيرتها .. إلا أن الفنان من تلقاء نفسه قد تأثر بمثاليات الإسلام وروحانياته ، واتفق على فنه بعض الأساليب الجديدة التي تلاءمت مع الأحداث الاجتماعية الناشئة عن الدين الجديد ، ونتجت عن هذا الامتزاج فنون ذات طرز وأساليب جديدة تختلف عن فنون البلاد الأصلية ، وقد نسبت هذه الأساليب الإسلامية الجديدة الى مدارس فنية ازدهرت بتشجيع من الأسر الحاكمة ، ومن الطبيعي أن تكون العصور السياسية المتقلبة ، مؤثرة في تشكيل المدارس الفنية شكلا ومضمونا لكي تواكب الأحداث والظروف . وهذه رسالة الفن الخالدة .

وإن كانت الفنون الاسلامية تشد انتظار العالم حتى اليوم بانجازاتها أو بمعجزاتها الفنية في العمارة والزخارف والتصوير والنسيج والسجاد وغيرها من الفنون التطبيقية فذلك يرجع إلى عدة عوامل :

الفن الإسلامي وروعته التي تصل الى حد الاعجاز تعود أصالته الى الالتزام الوجداني الصادق عند الفنان ، يمارس إبداعه في روحانية وإخلاص وتجرد وكأنه يمارس العبادة نفسها ، كما أن القيود الدينية التي فرضتها السنة الشريفة في تحريم المجسمات والصور الآدمية ، جعلت طاقة الفنان مركزة في نطاق تخصصات محدودة ليس أمامه إلا إجادتها والتفوق فيها ، وهناك العامل المساعد في الإبداع الفني وهو التشجيع ... الفنان المسلم لا يتجه لفنون ترفيهية أو ... ، ... ، ... الاتجاه الاستمتاعي الشخصي ، ولكنه ينتج فنا تطبيقيا نافعا يوزع لمساته على الحياة اليومية بكل متطلباتها وأدواتها .. أي أن الانتاج ليس مرغوبا فقط ولكنه ضروري كأحد العوامل الاساسية للحياة . وإذا أضفنا إلى هذه العوامل عاملا نفسيا هاما وهو جو الأمان وضمان الحياة الكريمة تحت مظلة الاسلام ، وجدنا أن الإبداع ينبع من منطلق نوراني وبصيرة وضاءة مطمئنة .

ولنتناول اليوم إحدى لمسات الفنان المسلم على لوحة التاريخ الحضاري .. الا وهي : السجاد !

السجاجيد .. لوحات فنية

في النصف الاول من هذا القرن العشرين .. ظهرت نزعات فنية حديثة ـ ضمن الاتجاهات المستحدثة العديدة ـ في أوربا ، لنسج اللوحات ذات الطابع التجريدي والهندسي التي ظهرت أولى انتاجاته نحو عام ١٩١٣ ، على أنسجة صوفية أو مخملية تحاكي روائع السجاد الإسلامي الشهير ، بل إن الفنانين الاوروبيين قد اقتبسوا الوحدات الزخرفية الإسلامية واستخدموها في عمل الحواشي وملء الفراغات داخل لوحاتهم حتى تكسبها نفس الطابع الإسلامي الذي عرف ـ بالأرابيسك ، وأصبح منهلا لكثير من المدارس الفنية الحديثة . وأصبحت اللوحات في مجملها عبارة عن معرض للسجاد تجمع رسومه أحدث الاتجاهات المعاصرة مطعمة بفن الأرابيسك الإسلامي العريق . بل إن كثيرا من المؤسسات التي تعنى بتخليد الأعمال الفنية وترويجها عالميا ، قد قامت بنسج اللوحات الشهيرة لكبار الفنانين من مختلف المدارس الفنية التقليدية والمعاصرة على أنسجة صوفية أو مخملية وزينتها بأطر اسلامية ويحتفظ العديد من المتاحف العالمية بمثل هذه الأعمال التي طبعت عليها بصمات الفن الإسلامي الخالد .

وظل السجاد ـ بخاماته التقليدية ـ هو الأمتن والأقدر على الخلود وتحمل المتغيرات الجوية عبر السنين ، ولكن المؤكد أن السجاد الذي تفنن في تشكيله الفنان المسلم ، كان له فعل السحر في الاستحواذ على إعجاب المهتمين بمسيرة التشكيل الفني وتطوره في العصر الحديث .. أما تحف السجاد الفنى النادرة .. والتي تطالعنا أنباؤها كل يوم كأثمن المقتنيات عند الهواة وجامعي التحف ومجمعات الآثار والمتاحف ، فقد بلغت من القيمة المادية ما ينافس لوحات الفن الخالد لكبار فناني التاريخ ، وأصبحت المتاحف العالمية تتفاخر باقتنائها قطعا من السجاد

الفن الإسلامي تصل روعته إلى حد الإعجاز .. وتعود أصالته إلى الالتزام الوحيد الأعند الفنان

الفنان المسلم لا يتجه إلى الفنون الترفيهية أو الأساليب الغامضة التي تكون بمثابة أبحاث ذاتية

تحفة من السجاد الهندي النادر ويلاحظ اختلاف الوحدات الزخرفية عن مثيلاتها من السجاجيد الايرانية والتركية

الإسلامي .. وتعلو ثمرات هذا التفاخر ، كلما أوغلت التحفة عبر القرون في قدمها وأصالتها التاريخية .

فن وتخصص

وربما نشأت صناعة السجاد من أقدم العصور عند القبائل الرحل التي تعيش على رعي الأغنام والإبل والماعز ، ومن ثم تتوفر المادة الخام من الصوف اللازمة لهذه الصناعة .. ولا تزال صناعة السجاد من أهم الحرف عند القبائل الرعاة حتى اليوم . وازدهرت صناعة السجاد في بلاد الإسلام وبخاصة منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، ولذلك فإن فن السجاد يعتبر من أحدث الفنون الإسلامية .. إذا ما قورن بالفنون الإسلامية الأخرى كالعمارة والمخطوطات والتصوير والفنون التطبيقية العديدة . والتي واكبت الإسلام منذ ظهوره وحتى اليوم . وانتشرت صناعة السجاد بصفة خاصة في إيران والاناضول وما حولها مثل وسط آسيا والقوقاز ، ثم عرفت في كافة أنحاء بلاد الإسلام مثل الجزيرة العربية ، ومصر وسورية وشمال افريقيا والأندلس وشبه القارة الهندية وغيرها ويعتبر السجاد المعروف بذي الخمل أو ذي الوبر المعقود ، أرقى الأنواع كافة فهو يمتاز بالمتانة وقوة الاحتمال وحسن الملمس فضلا عن مستواه الفني الرفيع ويستخدم الصوف غالبا في صناعة السجاد ، وقد يستخدم الحرير أو الكتان أو القطن . وفي السنوات الأخيرة ، ابتكرت بعض المصانع أنواعا مختلفة

سجادة صلاة تركية (أواخر القرن السادس عشر)



من الخيوط المصنوعة من المواد (البلاستيكية) ومنتجات البترول والكيماويات الأخرى ، ولكنها غير ذات قيمة فنية على الإطلاق . اما ما نعنيه فى استعراضنا اليوم فهو السجاد اليدوى

العريق ، حيث انه فى بعض الانواع الفاخرة ، تضاف خيوط الذهب او الفضة وتلف العقد عادة حول خيوط السداة ، بحيث تكون اطراف العقد عند وجه السجادة ، وقد عرف الصناع المسلمون

انواع مختلفة من العقد فى تشكيل السجادة اهمها : العقدة التركية ، والعقدة الفارسية ، وكلما كثر عدد العقد وازدادت شدة حبكها ومتانتها ، كلما ارتفعت قيمة السجادة .

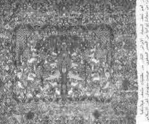
وكما ابتلفنا فإن الصوف هو المادة المستخدمة غالبا فى صناعة السجاد ، ويتوقف جودته على موطن القطيع الذى يؤخذ منه هذا الصوف ، بل إن نوع الكلأ ومياه الشرب تؤثر فى نوعية الصوف ومدى جودته ، ومن المعروف فى عالم هذه الصناعة الفنية العريقة ، ان اجود الصوف هو ما يؤخذ من الكتف ، اما ارذؤه ما يؤخذ من البطن والارجل ، وقد يستخدم الصوف بالوانه الاصلية ، اما إذا استخدمت الاصباغ فإن خبراء السجاد ـ وللسجاد خبراء متخصصون ـ يفضلون الاصباغ المستخرجة من مواد طبيعية ـ عضوية او نباتية ـ عن الالوان الكيمائية الحديثة ، ويتوقف جمال الالوان فى النهاية على مدى لمعان الصوف ونعومة ملمسه .

وصناعة السجاد ـ كعمل فنى متكامل ـ تخصصت فيه بعض الاسر فى بلاد الإسلام ، وتوارثتها جيلا بعد جيل ، بحيث صار لكل منها اسلوبها الخاص سواء فى طريقة الصناعة او فى الوحدات الزخرفية المستخدمة وحرصت كل فئة على إتقان اسلوبها وتطوره ـ ومن هذا التنافس المبدع ، حظى التراث الحضارى بهذه المقتنيات التى تزخر بها المحافل الفنية فى شتى انحاء العالم . وكما تاثرت الاساليب من فنان لآخر ومن اسرة لاسرة ، نرى ان الطرز قد اختلفت ايضا بحسب الاقطار التى نهضت بها هذه الصناعة .

صناعة السّجاد .. تخصصت فيه بعض الأسر فى بلاد الإسلام وتوارثتها جيلاً بعد جيل ـ وصار لكل منها أسلوب خاص


هناك أنواع مختلفة من العقد فى تشكيل السجادة أهمها : العقدة التركية


والعقدة الفارسية ـ وكثرة العقد ترفع قيمة السجادة



السجاد الإيرانى

وربما حازت إيران قصب السبق فى هذا المجال ، وانتجت انواعا عديدة من السجاد نذكر منها السجاد ذا الجامات والرسوم الحيوانية ، وذا الزهريات ، وسجاجيد الاشجار والحدائق وسجاد هراة وتبريز واصفهان وفارس .. وغيرها

سجادية الصلاة التركية تنسج بمحاريب على شكل زاوية يحيط بها اطار مستطيل

وبعد العصر الصفوي عصرا ذهبيا لصناعة السجاد الإيراني، حيث زاد انتاج السجاجيد لكثرة الطلب عليها في بلاد الغرب حيث تأثر به الفنانون الغربيون - تبعا لذلك - والفنانون المصورون الذين تخصصوا في تصوير المخطوطات في القرن السادس عشر الميلادي، تصميمات السجاجيد الصفوية، واستخدموا العناصر الآدمية والتعاقبية بنفس الأشكال التي صاغها الفنان الإيراني الذائع. ويمكن إرجاع اقدم السجاجيد الصفوية إلى عهد الشاه (اسماعيل)، فقد اشتهرت مدينة تبريز في عصره وعهد خليفته الشاه طهماسب بكونها اهم مركز لصناعة السجاجيد، كما اشتهرت ايضا بالسجاد المصنوع من الحرير، ومن اشهر هذا النوع، سجادة توجد الآن بمتحف فكتوريا والبرت، بلندن، وهي تحفة فريدة من حيث الشكل والخامات المستخدمة في صناعتها، فقد استخدمت فيها العديد من الرسوم الحيوانية تتناسق وتتداخل في ايقاع

في جميل، كما استخدمت في صناعتها عقد من الحرير متعدد الألوان تتخلله خيوط الذهب والفضة، وتظهر في اطراف السجادة زخارف لأمين مجنحين، وهذه الزخارف الأخيرة في حد ذاتها هي مبعث الغرابة في تصميمها

والغالب الظن أن أحد مصوري المخطوطات في ذلك العهد هو الذي ربما رسم تصميمها مقتبسا رسوم الملائكة من بعض المخطوطات الكنسية، ومن الطريف أن بعضا من هذه السجاجيد الحريرية النادرة، ظلت ترد في كتب التاريخ على أنها مصنوعة في بولندا..

لأنها اكتشفت ضمن تحف عديدة من الصناعة البولندية القديمة، حتى تحقق - الآن - بصفة قاطعة ونهائية على أنها من صناعة مصانع البلاط الصفوي في اصفهان او قاشان خلال حكم الشاه عباس الذي ربما يكون قد أهداها إلى حكام بولندا في خلال سنوات حكمه.

السجاد اليدوي مازال يحتفظ بقيمته الفنية بالرغم من تعدد أساليب الصناعة الحديثة

السجاد التركي

وتكاد تركيا تلحق بإيران في شهرة سجادها فنرى انواعا منها ذات شهرة كبيرة مثل سجاجيد هولباين وذات الطيور وسجاد ترانسلفانيا، وقد بلغت هذه التخصصات الفنية في عمل السجاد اوجها في بلاد الأناضول في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بعد الهجرة (السابع عشر والثامن عشر للميلاد) وتتميز سجاجيد الصلاة التركية بصفة عامة بمحاريب ذي عقد على شكل زاوية يحيط بها اطار مستطيل، كما تتميز السجاد... بوصفها عنصرا في الزخرفة... العزال ورموز للفرشل... الوحدات المثلثة في السجاد التركي يستخدمها الفنان بشكل محور محوري تشديدا لتبعده عن أشكالها الطبيعية، ووفق عنصر قام

سجادة صلاة تركية من القرن السابع عشر الميلادي



تستطيع أن تميز به السجاد التركي عن السجاد الإيراني وهو ندرة الكتابة أو استخدام الحروف الهجائية، بعكس السجاجيد الإيرانية التي تسرف في استخدام الخطوط، وكتابة الكلمات والجمل والأشعار.

إلا أننا نلاحظ في السجاد التركي ظاهرة ملفتة للنظر، فمنذ القرن العاشر الهجري لاحظنا أن ثمة اختلافا جوهريا قد طرأ على تشكيل السجاد من حيث الوحدات الزخرفية المستخدمة.. ومن حيث ألوانها كذلك، وقد وجدنا أن بعض المؤرخين لسيرة الفن الإسلامي يطلقون على فن السجاد في هذه الفترة. السجاد المصري، فقد كانت مصانع القاهرة وفنانوها هم مصدر الإنتاج السجاد وليست تركيا، ويرجع ذلك الى ما إذا تدارسنا أحوال مصر في العصر المملوكي في الفترة التي استولى فيها العثمانيون من المماليك على مقاليد الأمور في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) نرى أن كثيرا من الصناعات الإبداعية قد تمركزت في القاهرة... بل أن أعدادا كبيرة من المهارات والخبرات المصرية قد ذهبت الى تركيا لتكون عوامل تطعيم فني لكثير من الصناعات الدقيقة ونتيجة لذلك وجدنا تغييرا ملحوظا في ألوان السجاد وزخرفته بوحدات لا تمت بصلة الى الطرز القديمة التي كانت شائعة في تركيا من قبل. فنرى اللونين الأحمر والأخضر وتناسق ألوان الأطار مع الألوان الداخلية أصبحت طابعا مميزا للسجاد التركي منذ ذلك الحين.

وفي العصر الحديث، وقد تعددت أساليب الصناعة، وطغت الآلة على المهارات والإبداعات الفنية الدقيقة مازال السجاد اليدوي الذي اشتهرت به دول الإسلام يحتفظ بقيمته الفنية بصرف النظر عن القيمة التاريخية التي تميز التحف الإسلامية كافة وتضفي عليها هالة الإعزاز في جو يعطره عبق الأصالة والتاريخ...

جمال قطب


أحمد عبد السلام البقالي
كهوف الرعد
إنسان النياندرثال
الذي اختفى بدون أثر
منذ أربعين ألف عام

مقدمة

منذ ما يزيد عن الف سنة ، بعث الخليفة المقتدر باحمد ابن فضلان سفيراً له الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة من ثلاثة آلاف عالم ، وعامل ، ومهندس ، وطبيب لتحصين مملكة الصقالب (بلغاريا) المسلمة من هجوم الخزر اليهود .

وفي طريقه الى (بلغاريا) اختطفه (الفايكنج) ، سكان اسكنديناڤيا ، بايعاز من قهر ماناتهم ليكون العضو الثالث عشر في معلة لانقاذ مملكة (روثغار) من هجوم (الفندول) .

وقد كتب ابن فضلان مذكراته عن هذه الرحلة المهولة المستعة ، في شكل تقرير رفعه الى بلاط المقتدر ، بعد نجاته من عدة اهوال ، وعودته من اصقاع اسكانديناڤيا الباردة المتخلفة الى مدينة السلام ، بغداد ، عاصمة العالم المتحضر ومركز الاشعاع الفكري ، والعلمي ، والادبي ، والفني .

وهنا سانقل للقارىء الكريم فصلا من تقرير (احمد بن فضلان) ، كما اصدره (مايكل كريتشن) في كتابه (أكلة الاموات) وهو كاف لاعطاء صورة عن اسكنديناڤيا وسكانها كما رآهم وعاشرهم ابن فضلان منذ الف سنة خلت .

تعقيب

اثار وصف ابن فضلان للفندول جدالاً حاداً بين علماء الانثروبولوجيا في الجامعات الغربية ، يهمنا تلخيص الجدل الاكاديمي الذي احتدم سنة ١٩٧٦ بين طائفتين من العلماء احداهما تقول بأن وصف ابن فضلان (للفندول) ينطبق على انسان (النياندرتال) الذي ساد الاعتقاد بانه اختفى بدون اثر منذ ٣٠ او ٤٠ الف عام .

ويتزعم هذا الفريق الاستاذ (جيوفري ورايتوود) من جامعة اكسفورد .

اما الطائفة الثانية فيتزعمها (غود ريتش) ، وهو عالم بيولوجي من جامعة فيلادلفيا ، معروف بالتشكك ، ويتبنى وجهة نظر مخالفة فيقول (١٩٧٢) : ان دقة ابن فضلان في الوصف قد تغريناً بالتجاوز عن بعض المبالغات الواردة في مخطوطه وهي كثيرة ، وهي صادرة اما عن التكييف الحضاري السابق ، او من رغبة حاكي القصص في التأثير على سامعيه ، فهو يصف الفايكنج بالعمالقة ، مع انهم لم يكونوا كذلك بكل تأكيد . (وهذا مردود على غود ريتش) فالعملاق بالعربية لا يعني دائما العملاق الاسطوري الذي لا يوجد في الحقيقة . ويكفي ان يكون اطول قامة من المعتاد ليصفه العربي بالعملاق ، كما نصف اليوم سكان تكساس والسويد) . ويؤكد ابن فضلان المظهر القذر للاسكندنافيين وافراطهم في السكر ، الاوصاف التي لم تثر انتباه عدد من الملاحظين الاقل حساسية من ابن فضلان ، ففي تقريره عما يدعى (بالفندول) اعطى اهمية كبيرة لشعر جلودهم ، ومظهرهم المهجي ، بينما ربما لم يكونوا شعرانيين لتلك الدرجة ولا همجيين بل ربما كانوا مجرد قبيلة من البشر العاديين يعيشون في عزلة ودون المستوى الحضاري .

ويمضي (غود ريتش) قائلا :

بان هناك داخل كتاب ابن فضلان ما يدل على ان (الفندول) هي ، مثل التماثيل الصغيرة التي عثر عليها عندهم لنساء حوامل ، فهي شبيهة بالتماثيل المصغرة التي عثر عليها في فرنسا ، والنمسا ، بالطبقة (٩) من الحفريات ، وهي تقترن اساسا بالانسان الحالي ، وليس بانسان (نياندرتال) .

> ربما كانوا مجرد
> قبيلة من البشر
> العاديين يعيشون
> [illegible]

> كنت أعاني من
> الصداع وقت أن
> أخبرني بالاستعداد
> للهجوم من البحر

> [illegible]
> عندما أفهمني
> أننا سننزل
> بالحبال إلى الجرف

كهوف الرعد

قبل انبلاج الفجر ، ركب (بوليويف) وفرسانه ، وانا من بينهم ، وغادرنا مملكة (روثغار) سائرين على حافة الجرف المشرف على البحر .

لم اكن في تمام العافية في ذلك اليوم ، فقد كنت اعاني من صداع في رأسي ، وحموضة في معدتي من احتفالات الليلة السابقة ، ولابد ان جميع فرسان (بوليويف) كانوا يحسون بنفس الاحساس ، ولكن شيئا من ذلك لم يظهر عليهم .

واسرعنا المسير على حافة الجرف الساحلي الوعر ، المرتفع جدا ، والعمودي الانحدار والمكون من صخر رمادي ينتهي الى موج البحر الراغي المزبد تحتنا . وفي بعض الاماكن ، على طول هذا الشاطىء ، كانت توجد سواحل صخرية ، ولكن غالبا ما كان البحر والارض يلتقيان رأسا ، تتكسر الامواج على الحائط الصخري كالرعود .

ورأيت (هيرغر) الذي كان يحمل على حصانه حبالا من جلود الفقمة التي يصنعها الاقزام ، وحثثت ركوبتي لاسير بجانبه ، وسألته عن هدفنا هذا اليوم ، وفي الحقيقة لم يعد يهمني ذلك كثيرا لما كنت اعانيه من صداع وسأم .

قال لي (هيرغر) :

- هذا الصباح سنهاجم ام (الفيندول) في كهوف الرعد وسوف نهجم من البحر كما قلت البارحة .

ونظرت من فوق حصاني الى البحر الذي كان يتكسر على صخور الجرف الشاهق وسألت :

- هل سنهاجم بمركب ؟

فضرب بيده على حبال جلد الفقمة ، ففهمت منه اننا سننزل معلقين بالحبال على الجرف ، ومن ثم سندخل الكهوف بطريقة ما . وافزعت جدا لما ينتظرني .

فلم أكن أحب أن أتعلق بالأماكن العالية ، حتى المباني المرتفعة في مدينة السلام كنت أتجنبها . وقد قلت له ذلك . فرد على (هيرغر) :
- نحمد الله ، فأنت محظوظ .
فسألته عن سبب سعادتي فأجاب :
إذا كنت تخشى الأماكن المرتفعة فسوف تتغلب على خوفك اليوم ، وستكون قد واجهت تحدياً كبيراً ، وسيحكم عليك بأنك بطل .
قلت له :
- أنا لا أريد أن أكون بطلاً .
فأجاب ضاحكاً :
- أنت لا تقول هذا إلا لأنك عربي -
ثم أضاف : - ولأن لك رأساً صلبة ويعني بذلك عند أهل الشمال الحمار أن وجع الرأس الذي يعقب السكر وهذا صحيح ، كما سبق أن قلت .
وصحيح كذلك أنني كنت منزعجاً من فكرة نزول الجرف معلقاً بحبل . وقد كان انزعاجي من الشدة بحيث كنت أفضل عمل أي شيء على وجه الأرض ، سواء كان ذلك الشرب من قدح من ذهب ، أو أن أكل روث خنزير ، أو أن أفقأ عيني ! وحتى الموت نفسه كنت أفضله على النزول معلقاً من الجرف !
وكان مزاجي منحرفاً ، فقلت (لهيرغر) :
- أنت وبوليويف ، ورفاقكم جميعاً يمكنكم أن تكونوا أبطالاً كما يحلو لكم ، ولكن لا دخل لي أنا في هذا الشأن ، ولن أكون واحداً منكم .
وضحك (هيرغر) من كلامي ، ثم نادى (بوليويف) ، وكلمه بسرعة ، فأجابه (بوليويف) من فوق كتفه ، فقال لي (هيرغر) :
- بوليويف يقول إنك ستفعل ما نفعل وتغرقت في اليأس ، وقلت (لهيرغر) :
- لا أستطيع عمل هذا ، وإذا أرغمتموني عليه فسأموت بكل تأكيد .
فقال (هيرغر) :
- كيف ستموت - ؟
فقلت : - ستفلت الحبال من قبضتي .
فضحك (هيرغر) بشدة لجوابي وأعاد مقالته على رفاقه فضحكوا جميعاً على مقالتي . وعندئذ نطق (بوليويف) بكلمات ، فقال لي (هيرغر) :
- يقول لك (بوليويف) إن الحبل سيفلت من قبضتك فقط إذا فتحت يديك ولا يفعل ذلك إلا أحمق . ويقول بوليويف : وأنت لست بأحمق .
وهنا يبدو جانب حقيقي من طبائع الرجال : فقد قال بوليويف بطريقته إنني أستطيع التعلق بالحبال ، وقد صدقت أنا كلامه بقدر تصديقه له ، وأحسست في قلبي بشيء من الاغتباط .
ولاحظ ذلك (هيرغر) فقال :
- كل شخص يحمل نوعاً من الخوف خاصاً به ، فهناك رجل يخاف الأماكن العالية ، وآخر يخشى الغرق ، وكلاهما يضحك من الآخر ، ويدعوه بالمغفل ، ولكل خوفه المفضل ، مثل تفضيل امرأة على أخرى ، أو الخروف على الخنزير أو الكرنب على البصل . ونحن نقول الخوف خوف .
ولم يكن مزاجي مستعداً للفلسفة ، وقد عبرت له عن ذلك ، ففي الحقيقة كنت أقرب إلى التقيؤ مني إلى الخوف ، فضحك (هيرغر) في وجهي وقال :
- أنظر إليه الآن يحلق الموت في دنيا الحياة ، وأمضي في ...
... لا أرى ...
... يضحك ...
... ولا أحد يعرف ...

كل إنسان يحمل نوعاً
من الخوف خاصاً به
ورغم ذلك يضحك
من الآخرين في سذاجة

ثم قال :
- انظر إلى (بوليويف) ألا ترى كيف يمتطي صهوة جواده مستقيماً ، وكيف يتقدم إلى الأمام ، رغم أنه سيموت قريباً فأجبت :
- أنا لا أعرف أنه سيموت .
فقال (هيرغر) :
- نعم ، ولكن (بوليويف) يعرف .
ولم يحدثني بشيء بعد ذلك .
وسرنا مدة طويلة حتى توسطت الشمس السماء ، وأخيراً أعطى بوليويف الإشارة بالوقوف وعند ذلك ترجل جميع الفرسان ، وأخذوا يستعدون لدخول كهوف الرعد .
كنت أعرف أن هؤلاء الشماليين سيخجلون لحد الغثيان ، ولكن عندما نظرت إلى هاوية الجرف تحتنا القوى قلبي داخل صدري ، وأحسست أنني على وشك أن أفرغ ما في جوفي في أي لحظة لقد كان الجرف منحدراً بشكل عمودي وخالياً تماماً من كل نتوء لليد أو القدم ، ويبلغ مسافة حوالي المائة خطوة وكانت الأمواج المتكسرة تحتنا من البعد بحيث كانت تبدو صغيرة جداً كرسم دقيق ، ولكني كنت أعرف أنها كبيرة كأي موج على الأرض ، حين ينزل المرء إلى مستواها .
وكان النزول إلى هذه الهاوية ، في نظري ، جنوناً تعدى جنون أي قلب مسعور ، ولكن الشماليين كانوا يزاولون عملهم بطريقة عادية ، كان بوليويف يوجه أعمال دق الأوتاد الخشبية القوية في الأرض وحولها ربطت حبال جلد الفقمة ، ورميت أطرافها من فوق حافة الجرف .
واكتشفنا أن الحبال كانت أقصر من مسافة الجرف ، فكان لابد من سحبها مرة أخرى وإضافة حبلين آخرين إليها لتصل إلى القعر .
وحين انتهينا من ذلك ، كان لنا حبلان يتدليان على وجه المنحدر ، وعندئذ خاطب (بوليويف) جماعته قائلاً :
- سأنزل أنا الأول ، حتى إذا بلغت الأرض سيعرف الجميع أن الحبال متينة وأن الرحلة يمكن إتمامها ، وسأنتظركم على الحافة الضيقة التي ترونها تحت .
ونظرت إلى هذه الحافة الضيقة فوجدت أن وصفها بضيقة مثل وصف

الجبل بالطبع ، فقد كانت في الواقع مجرد شريط من الصخر الاملس ينكسر عليه الموج ويغطيه باستمرار .

وقال نوليوبف :

ـ وحين نصل جميعا الى القعر سنهاجم (القدول) في كهوف الرعد . كان يتكلم بصوت عاد كما لو كان يأمر امه بطبخ اكلة عادية ، او القيام بأي عمل منزلي . ودون ان يزيد على ذلك شيئا ذهب الى حافة الجرف .

وهذه هي الطريقة التي نزل بها والتي اثارت اعجابي ، ولكن الشماليين اعتبروها شيئا عاديا ، فقد قال لي (هيرغر) انهم يستعملون هذه الطريقة لجمع بيض طيور البحر في بعض اوقات السنة ، حين تبني الطيور اعشاشها على وجه الجرف . وهذه هي الطريقة : يربط الهابط من خصره بمقلاع ، ويدلى الجسم على جانب الجرف ، بينما هو ممسك بالحبل الذي يتدلى الى جانبه وبالاضافة الى ذلك يحمل الهابط عمودا قويا من خشب الارز ، مزودا في نهايته بسير او حزام جلدي لمربطه على رسغه ليستعمله في التحرك بعمق وبعيدا عن هبوطه على وجه الحائط الصخري .

وبينما كان (بوليويف) يهبط ، وبيدو لعيني اصغر فاصغر ، رأيت انه يستعمل الحبل والسير والعصا بمهارة ، ولم انخدع فاعتقد ان ذلك عمل سهل ، فقد رأيت انه صعب ويحتاج الى تدريب .

وفي النهاية وصل الى القعر ووقف على الحافة الضيقة ، والموج يتكسر عليه . وفي الحقيقة صار صغير الحجم نحيلا كما نراه بصعوبة وهو يلوح لنا بيده مشيرا الى انه وصل سالما . وسحبنا المقلاع ومعه عصا الارز والتفت (هيرغر) الي قائلا :

ـ ستنزل انت بعده .

قلت اني احس بضعف ، واتمنى لو ان ارى رجلا آخر ينزل حتى ادرس جيدا طريقة النزول .

فقال :

ـ ان الامر اصعب مع كل هبوط ، لانه كلما نزل واحد نقص عدد الافراد الذين سينزلونك . فالرجل الاخير سينزل بلا مقلاع بالمرة ، وسيكون ذلك هو ، لكنه لان ذراعه من جديد . وبروثك الان هو علامة اكرام منا لك .

كهوف الرعد

وفي عشية رأيت انه لا امل في التأخير، فوضعت في المقلاع، وامسكت بالعصا في يدي اللتين كانتا تنزلقان من العرق، كما كان جسدي بأكمله يتصبب عرقا. وكنت ارتعش في مهب الريح وأنا اتخطى حافة الجرف. وكانت تلك اخر مرة رأيت فيها السكندينافيين الخمسة وهم يمسكون بقوة بالحبل. وقبل ان يختفوا عن نظري وفي النهاية وصلت.

وخطر ببالي ان اتوجه الى الله بالدعاء الكثير، وان اسجل في عمق عقلي، وذاكرتي التجارب العديدة التي يمر بها الانسان وهو معلق بالحبال على جانب هذا الجرف الصخري في مهب الرياح. ولكن حين غاب عني اصدقائي السكندنافيين الذين كانوا يدلونني من فوق نسيت كل ذلك وظللت اهمس واهذي بكلمات كالخارج عن عقله، او كالعجوز البالغ ارذل العمر الذي عجز دماغه عن التفكير، او كطفل احمق.

وفي الواقع لا اذكر كثيرا مما حدث ولم يعلق بذهني غير هذا: وهو ان الريح تعصف بالفرد يمنة ويسرة بسرعة تعجز معها العين على التركيز على حافة الجرف الذي كان عبارة عن حساب رهيب. وانني ارتطمت بالحائط عدة مرات جارحا عظامي وسالخا جلدي، ومرة صدمت رأسي فرأيت نقطا بيضاء تلمع كالنجوم امام عيني وظننت انني سيغمى علي. ولكن ذلك لم يقع. وبعد مدة بدت لي كأنها عمري بكامله، او اكثر، واخيرا وصلت الى القعر فضربني (بولينوف) بيده على كتفي وقال لي انني عملت جيدا

وارتفع المقلاع، وانكسرت الامواج علي وعلى (بولينوف) بجانبي وكافحت من اجل حفظ توازني على هذه الحافة الزلاقة، واستولى هذا على اهتمامي لدرجة انني لم اشاهد الآخرين وهم ينزلون. فقد كان همي الوحيد الا انزلق الى البحر. وقد رأيت امواجا تعلو من قامات ثلاثة رجال يقف الواحد منهم على كتف الاخر. وحين كانت تتكسر الموجة كنت اقف دون احساس داخل دوامة قوية من الماء المثلج، وضربتني الامواج عدة مرات، وابتل جسدي بكامله، وصرت ارتعد بعنف لدرجة ان اسناني كانت تصطك كوقع

كانت المحاولة محفوفة بالأخطار... وعندما قادهم "بولينوف" التقت صرخة مخيفة

ونزل مقاتلو (بولينوف) جميعا سالمين، وكان اخرهم (أكلغو) الذي استعمل قوة ذراعيه الشديدتين، وحين وصل الى الارض اخذت ركبتاه ترتعدان بشدة دون ان يستطيع السيطرة عليهما وكأنه رجل يحتضر. فانتظرنا قليلا حتى عاد اليه هدوءه.

وحينئذ تكلم بولينوف:

ـ سننزل الى الماء، وسنسبح داخل الكهف. سأكون الاول. احملوا خناجركم بين اسنانكم حتى تبقى سواعدكم طليقة لمكافحة التيار.

ونزلت على سمعي هذه الكلمات الجنونية الجديدة في وقت لم اعد استطيع فيه احتمال شيء اكثر. في نظري كانت خطة (بولينوف) حماقة ما بعدها حماقة!

ورأيت الامواج تنسحق وتتفجر على الصخور المسننة، ورأيتها ترتد في قوة عملاق لتستجمع قوتها وتندفع الى الامام من جديد. وتطلعت اليها موقنا انه

لا احد يستطيع السبح في ذلك الخضم دون ان يسحقه ويحيله الى فتات من العظم في الحال.

ولكنني لم احاول الاحتجاج. فلم اعد ادرك اي شيء. فقد كنت في نظري اقرب الى الموت بحيث لم يعد يهمني ان اقترب منه اكثر... فاخذت خنجري وادخلته في حزامي لان اسناني كانت تصطك بشدة بحيث استحال علي الامساك به في فمي.

اما رفاقي السكندنافيون فلم يظهروا اية علامة على البرد او التعب. بل كانوا يستقبلون كل موجة كمنشط جديد. وكانوا الى جانب ذلك يبتسمون سعداء في توقع للمعركة القادمة، وقد كرهتهم من اجل ذلك.

وانتظر (بولينوف)، وهو يراقب الموج ويختار الوقت المناسب. ثم وثب وسط الموج، وترددت انا ولكن احدا... واعتقد انه هوغر... دفعني فغطست الى قعر دوامة البحر المخدر من شدة البرودة. وهزتني الدوامة رأسا على عقب. ولم اكن ارى غير الماء الاخضر. وبعد ذلك رأيت (بولينوف) يسبح تحت الماء عشعته ودخل في شبه ممر بين الصخور. ففعلت مثله وعدت طريقته!

كان الموج يجذبه الى الوراء بقوة يحاول اخراجه الى عرض البحر. وكذلك انا حينئذ كان (بولينوف) يقبض بشدة على صخرة حتى لا يجرفه التيار، وكنت انا افعل مثله. وكانت رئتاي توشكان على الانفجار وانا امسك بالصخرة بقوة وبعد لحظة كان يندفع الموج فيرمي بنا الى الامام بسرعة مفزعة فنرتطم بالصخور والحواجز. ويرتد الماء فنجذب معه الى الوراء كما فعل اول مرة. فكنت افعل مثل (بولينوف) وامسك بالصخرة. واحسست برئتي تحترقان كأنهما على نار. وايقنت انني لن استطيع الاستمرار مدة اطول في هذا الماء المثلج.

واندفع البحر فرمى بي الى الامام، وانا اصطدم هنا وهناك، حتى وجدت نفسي فجأة فوق الماء اتنفس الهواء!

وقد وقع هذا بسرعة كبيرة، وفوجئت لدرجة انني لم اشعر بالراحة التي كان ينبغي ان احس بها، ولا فكرت في حسن طالعي ونجاتي. وتنفست بقوة، وحولي رؤوس مقاتلي (بولينوف) فوق سطح

الماء يفعلون نفس الشيء .

ووجدنا انفسنا في شبه بركة او بحيرة داخل كهف سقفه قبة من صخر املس . وله مدخل من البحر هو الذي دخلنا منه . وامامنا مباشرة كانت ارض صخرية مسطحة . ورأيت ثلاثة او اربعة احجام قائمة مقعية حول نار تشعل باصوات عالية .

وفهمت لماذا سمي المكان بكهف الرعد . فقد كان يهتز مع اصطدام كل موجة ويحدث صوتا رعديا يوجع الاذان ويبدو ان الهواء نفسه يمتد وينضغط .

في هذا الكهف هجم بوليويف واصحابه . وانضممت انا اليهم . فقتلنا الشياطين الاربعة بخناجرنا القصيرة . ورأيتهم بوضوح لاول مرة . في ضوء النار التي كان لهيبها يعلو ويستشيط مع كل ارتطام للامواج . اما شكل الشياطين فكان شبيها بشكل الانسان في كل شيء . ولكن ليس كاي انسان على وجه الارض . فقد كانوا قصارا . عراضا . مقوسين . يكسو الشعر جميع اطرافهم ماعدا اكفهم واخامص اقدامهم . ووجوههم . وكانت وجوههم وافواههم وفكوكهم كبيرة وبارزة . وبشعة المظهر . ورؤوسهم كذلك اكبر من رؤوس الانسان العادي . وكانت عيونهم غائرة في رؤوسهم . وحواجبهم كانت كبيرة . وليس لكثافة الشعر . بل لضخامة العظم . وكانت اسنانهم كبيرة وحادة . رغم ان اسنان بعضهم كانت مسطحة من التاكل .

اما في بقية الملامح الجسمانية الاخرى فكانوا يشبهون البشر . وسمعت من احد تلك المخلوقات . وهو يحتضر . اصواتا تشبه الكلام . ولكنني لا استطيع تاكيد ذلك . فاروية كما سمعته . ووقف بوليويف ينظر الى المخلوقات الاربعة الميتة بجلودها القروية الكثة . وبينما نحن كذلك اذ سمعنا ترتيلا كاناشيد الجن يتردد صداه . فيرتفع وينخفض مع اصوات الرعد الاتي من ارتطام الموج بالصخر . كان الصوت ياتي من داخل الكهف فقادنا بوليويف نحوه ..

واتينا على ثلاثة من تلك المخلوقات . وهم منبطحون على الارض . ووجوههم ملتصقة بالتراب . وقد رفعوا ايديهم في استعطاف لمخلوقة عجوز كامنة خلف الظلال . كانوا يرتلون الاناشيد فلم يشعروا بوصولنا . ولكن العجوز رأتنا



وانطلقت صرخاتها مشقة لاعرابنا وقد لابد ان العجوز هي ام (القيندول) . ولكن اذا كانت امرأة فلم ار عليها علامة للانوثة فقد كانت من الكبر بحيث يصعب تمييز جنسها

ووقع بوليويف وحده في صلاها الاربعة فقتلهم جميعا . بينما انسحبت الام العجوز الى داخل الظلال وهي تصرخ صراخا فظيعا . ولم اكن اراها جيدا . ولكني استطعت ان ارى انها كانت محاطة بالافاعي التي كانت ملتوية عند قدميها . وحول يديها . وعنقها . هذه الافاعي بدات تهس وتحرك السنتها . ومما انها كانت تحيط بالعجوز من كل جانب حول جسدها . على الارض . لم يجرؤ احد من مقاتلي بوليويف على الاقتراب منها .

وعند ذلك هاجمها بوليويف . فانطلقت صرخة مخيفة حين غرس خنجره في صدرها غير عابئ بالافاعي . وطعنها عدة مرات فلم تسقط . بل ظلت واقفة . رغم ان الدم كان ينزف منها كانما يفور من نافورة . وطوال الوقت كانت تصرخ صرخاتها المرعبة .

وفي النهاية انهارت وسقطت ميتة . فدار بوليويف وواجه رجاله . وعند ذلك رأينا أن هذه المرأة . ام القيندول . اكلة الاموات . قد جرحته . كان دبوس فضي كالذي يستعمل للشعر . مغروسا في بطنه . وكان الدبوس يرتعش مع كل نبضة من نبضات قلبه . ونزعه بوليويف فتدفق الدم من الجرح . ولكنه لم يسقط من الضعف . بل وقف واعطى الامر بمغادرة الكهف .

وخرجنا من المدخل المواجه للبر . وكان محروسا . ولكن جميع القيندول هربوا عند سماع صراخ امهم وهي تموت .

وغادرنا المكان دون ملاحقة . وقادنا بوليويف من الكهوف الى حيث كانت خيلنا . وهناك فقط انهار على الارض .

احمد عبد السلام البقالي



نبيل خالد الآغا

يافا

وجه مدينة من فلسطين

حديقة النجوم

كانت يافا واحدة من المدائن الفلسطينية التي اثارت اهتمامي لرؤيتها، فطالما سمعت بها، وقرأت عنها وعاشرت كثيرا من اهلها سواء في مسقط رأسي، او في مهاجر اقدامي بديار الغربة ولعلني ما برحت اذكر اول مرة سمعت فيها باسم يافا.

كنت واسرتي نقيم في مدينة خان يونس، وفي عام ١٩٤٨ اتت الى بيتنا اسرة يافية صديقة يحمل افرادها حاجيات بأيديهم وعلى رؤوسهم، فاستقبلهم ابي، ورحبت بهم امي، وكان من بينهم شاب جريح يدعى يوسف، لم يلبث بضع ساعات حتى ادركته الوفاة، وفي حديقة البيت قام بعض الرجال بغسله، بينما انتزعت امي غطاء ابيض عن بعض الاسرة سرعان ما صار كفنا ليوسف!

لقد كان محزنا ان يموت يوسف، لكن الاكثر حزنا ان لا يستطاع نقله الى مقره الاخير وسط اجواء الحرب والموت والدمار، وكان منتظرا ان يمكث دون تورية مدة ما.. لكن سرعان ما ادركته العناية الالهية، فقيض الله له شابا

يافا اليوم .. ويلاحظ وجود مئذنة وجامع









تل أبيب من الجو .. وتبدو مزارعها الخضراء الممتدة

البطل اليمني الشاهد محمد حسان يوسف على عربة بسيطة وسط أجواء الحنين والتأثر

عند الفالوجة تذكرت بطولة الجيش المصري والشهيدين على مكي طه وأحمد عبد العزيز

بعضنا شجاعا تكفل بنقله الى المقبرة على عربة يد بمساعدة والد يوسف الهرم هذا الشاب اليمني مازال اسمه منقوشا في ذاكرتي نظرا لمواقف عملاقة وقفها بايمان وشهامة ورجولة . وما فقدت الحس في البطل . صالح سرحان المقدشي . كل الاخوة اليمنيين الشرفاء .

وخلال تلك الفترة البعيدة تداخلت في مخيلتي كل المعاني . كل الخطوط والصور والالوان . ولم يستطع العقل ذو السنوات الست ان يميز الاشياء عن اللااشياء . غير انه اختزن في بؤرة ذاكرته الفذة بخمسة امور : اليهود . يافا المندوب السامي . يوسف . الموت . ولما بلغ العقل اشده ادرك ابعاد العلاقة بين هذه المسميات ايما ادراك !!

انهم يخبئون الصبر

كنت متشوقا لان ارطب خاطري برؤية يافا . وحضر سائق السيارة فجرا ليلتقي مع النفر من اصدقائي . وغادرت البيت وانا اترنم باصداء دعوات امي وهي تتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يصرف عني شر اليهود وابناء اليهود !

كانت السيارات تجوب المدينة وكنت ارى مئات من الشباب والرجال راكبون وراجلون . واقفون وجالسون وكأن الوقت قد اضحى ضحى لا فجرا . قال صديقي : اظن هذا المنظر غير مألوف لديك . قلت : بالفعل انه غير مألوف . قال : هؤلاء هم العمال العرب الذين يعملون في عمق وطننا مع الشركات والمؤسسات اليهودية المختلفة . حيث تنقلهم السيارات الى مقار اعمالهم في تل ابيب وهرتسليا ونتانيا والمجدل ... الخ . ولا يغرب عن بالك ان هذا اليوم هو يوم الاحد . وهو يعني بالنسبة للانظمة اليهودية بداية الاسبوع . بعض هؤلاء العمال يمكثون في عملهم ستة ايام حيث يعودون الى اسرهم مساء الجمعة . وبعضهم الاخر يذهب صباحا ويأتي عشاء .

وعندما وصلت صاحبة . السطر . القائلة قلت لاحد الاصدقاء : اين التحاكي الصبي . الذي الشوكي . التي كانت ممتدة حول هذه المنطقة ؟ قال : لقد ازالتها الجرافات الصهيونية بحجة انها كانت تشكل مخابىء طبيعية للفدائيين . قال السائق : لقد ازالوها ومع ذلك يلتقطون على ثمارها . انهم يخبئون الصبر كثيرا لذلك احضرت معي صندوقا لتوزيعه على الخواجات . اذا صادفنا مشاكلهم في الطريق !

وواصلنا المسير . مررنا بالقرارة والى عولى ودير البلح والنصيرات والمغازي والبريج وغزة وخيالنا ثم قرية بيت حانون وهي التي كان يمر منها خط الهدنة قبل عام ١٩٦٧ فيفصل بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة .

امنية بلا رائحة

وحين مررنا بمنطقة المجدل تذكرت المعارك الشجاعة التي خاضها الجيش المصري الباسل عام ١٩٤٨ في هذه المنطقة برغم ظروفه القاسية التي كان يمر بها ووقفت امامي اسم الشهيد علي مكي طه باعتباره اول شهيد عربي مصري في تلك الحرب .. وكذلك الشهيد البطل احمد عبد العزيز باعتباره اعظم قائد عربي مصري امتزج دمه بتراب فلسطين في ذات الحرب .

قال حامد : نحن اللحظة على مشارف يافا وكاد القلب يهوي بين الضلوع . اذن لقد تحولت الامنية الى حقيقة . ولكنها حقيقة مهيضة الجناح . شيحة القوام

يافا حديقة النجوم

بقيت يافا في حوزة الصليبيين حوالي ثمانين عاما حتى حررها الظاهر بيبرس

ازدهرت التجارة والصناعة في يافا .. وكانت مركزا حيويا لكافة الأنشطة الثقافية

هاأنذا سارى يافا .. لكنها رؤية بلا لون ولا طعم ولا رائحة !.

نداء خفى يقدح زناد تفكيرى الذى اوشك ان يصاب بالشلل : استيقظ يارجل فهذه يافا .. يافا التى تلعثمت قرائحكم فى مدحها ، وامتلأت دواوينكم فى وصفها هذه يافا التى نزع الجلاد خمارها فنهب طهارتها .. واستباح عروبتها !!

وفى ميدان الساعة بالثغر الحزين شهقت أسى ، وزفرت غيظا ، ووجدتنى اردد مع الشاعر الشهيد/ راشد حسين :

يافا التى رضعت من الدالها طيب البرتقال
تعطش ... وهى من سقت امواجها المطر
يافا التى كسرت الايام فوق هذه الرمال
زراعها شلل ... غير ظهرها انكسر
يافا التى كانت حديقة النجوم الرجال
قد اصبحت .. مخشخشة تورع الحذر !

.. وبدأنا نجوب الشوارع القديمة بالمدينة ، وجلسنا على مقهى عربى عتيق فى الهواء الطلق ، وتحت سماء يافا الزرقاء اخذنا نلملم بعضا من تاريخ يافا .

خزانة فلسطين

يافا .. كلمة محرفة عن اصلها الكنعانى (يافى) وهى تعنى « الجميل » ، ويافا القديمة تقع على مرتفع طوله ١١٦ قدما عن سطح البحر .. وقد اشتهرت بميناها الطبيعى الواقع فى منتصف الساحل الفلسطينى ، ويعتبر من اقدم موانىء العالم التى اسسها الكنعانيون العرب منذ اربع الاف سنة تقريبا . وقد ذكرت ضمن رسائل « تل العمارنة » التى تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .. وقد وقعت يافا كغيرها من البلاد الفلسطينية تحت حكم المصريين والآشوريين والبابليين ، و الفرس ، واليونان ، والرومان ... واخيرا اليهود الذين يدعونها « يافو » .

وفى عهد الفتوحات الاسلامية تم فتح يافا . قال البلاذرى فى فتوح البلدان « ثم فتح عمرو بن العاص مدينة لد وارضها ، ثم فتح يبنا ، وعمواس ، وبيت جبرين ، وفتح يافا ويقال فتحها معاوية ، وفتح عمرو رفح » . ووصفها « المقدسى » مؤرخ فلسطين وجغرافيها بأنها « خزانة فلسطين وفرضة الرملة » . وإبان الحملات الصليبية على ديار المسلمين وقعت يافا فى قبضتهم عام ١٠٩٩ ميلادية ، وقام « جودفرى » بتحصين المدينة واتخذها ميناء رئيسيا لدولة « بيت المقدس » لتخدم تجارتهم ، واتمنهم وحجاجهم !.

بعد استسلام عكا وموقعة « أرسوف » عام ١١٩١ ميلادية تقدم ريتشارد إلى يافا ، وبعث جيوشه ... سنة فى ربوعها .. وبعد عام وعند حاجتها لقوات المسلمين يوم ١٥ من رجب عام ٥٨٨ هجرية وكان فى طليعة المهاجمين البطل صلاح الدين الايوبى وعلى ميمنته ولده الملك الظاهر وعلى ميسرته أخوه العادل ودخل المسلمون يافا ، إلا انهم لم يتمكنوا من احتلال قلعتها الحصينة ، مما ادى الى توقيع صلح الرملة الذى نص فى احد بنوده على بقاء المنطقة الساحلية الممتدة من صور الى يافا بأيدى الصليبيين . ومكثت يافا فى حوزتهم ما يقرب من ثمانين سنة ، وبالتحديد حتى عام ١٢٦٨ ميلادية حيث قاد الظاهر بيبرس حرب تحرير يافا ، ومنذ ذلك الزمن نعمت بالحياة فى حديقة الاسلام حتى اليوم الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٨ حيث سقطت من التقويم العربى !! ومابرحت تنتظر عودتها ، وترجو الا تيأس من طول الانتظار !

جنون العظمة

بعد أن سقطت غزة فى قبضته بدأ نابليون فى محاصرة يافا فى الثالث من مارس عام ١٧٩٩ ميلادية ، وبعد لأى استطاع جنوده أن يفتحوا إحدى الثغرات ودخلوا المدينة ، وصبوا جام غضبهم على أهلها ، فارتكبوا مجزرة رهيبة شهد بفظاعتها الكثيرون من قادتهم . فقد قال الميجر ديترو : «... وراح الفرنسيون يقتلون اعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله ، إن كل من له وجه انسان سقط صريع جنونهم » .

وقد حدث أن وجد الفرنسيون داخل قلاع يافا الاف الجنود الذين رفضوا الاستسلام برغم نفاد الجزء الاكبر من ذخيرتهم ، ولكن الامبراطور وعدهم بتأمين حياتهم اذا استسلموا بدون قتال وما كادوا يفعلون ذلك حتى هاجت فى دمائه طواغيت العظمة والغرور فعهد الى فرقة « بون » بمهمة تصفيتهم ، واقتادتهم الفرقة الى التلال الرملية ـ



يافا في الإعلان اليهودي .. [illegible]

البوارب الراسية .. والشاطئ ، الحزين

الى ابيد بلاد بسنين انية .. وتراه اليوم من الضفة طبق نسبة



المقامة مكانها اليوم مستعمرة بيت يام ـ وبها قابلوا وجه الله الكريم .
ولقد ادى تراكم الجثث التى زادت عن الاربعة الاف جثة الى تسمم الهواء وانتشار الطاعون ، الذى اصاب ـ اول ما اصاب ـ جنود نابليون ، فكان هذا الوباء من اهم اسباب فشل حملة نابليون على فلسطين ، حيث تمزقت احلامه باستعمار الشرق العربي .

● ● ●

بعد رحيل القوات الفرنسية نهضت يافا من كبوتها ، واخذت تلملم جراحها ، فنمت في عمرانها ، واتسعت في مساحتها ، وتأسس حي المنشية ، وحي العجمي اضافة الى الاحياء المعروفة مثل : ارشيد ، الجبلية ، اهريش . اما الاحياء المعروفة « بالسكنات » فتقع بين مزارع « بيارات » البرتقال ومنها « سكنة درويش » و « سكنة ابو كبير » وغيرها .
كما تمت توسعة الميناء لمواجهة الحركة التجارية ولكى يستوعب المزيد من زائرى القدس بحرا ، ولاجل تأمين راحة هؤلاء الزوار فقد تم انشاء اول خط حديدى فى فلسطين عام ١٨٩٢ ميلادية يربط بين يافا والقدس وطوله ٨٧كم .

البرتقال اليافاوى

تحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث ـ ـ الشمال والشرق والجنوب ـ بساتين البرتقال الواسعة المعروفة لدى اهل فلسطين « بالبيارات » ، اما البحر المتوسط فيحتضن المدينة من الجهة الغربية .
ويتمتع البرتقال اليافاوى « الشموطى » بشهرة عالمية وبخاصة فى الاسواق العربية والاوربية ، وقد استغل العدو الصهيونى هذه الشهرة فى تسويق منتجاته فى السوق الدولية .
ومثلما ازدهرت التجارة والزراعة فى يافا فكذلك نهضت الصناعة ، وقبيل عام ١٩٤٥ كانت تقوم بها مصانع عديدة للصابون والبلاط والنسيج والورق ، والزجاج والسجائر . كما اشتهرت يافا باعتبارها مركزا حيويا للانشطة الثقافية والادبية فى فلسطين ، ومنها ايضا كانت تصدر اهم الصحف والكتب الفلسطينية .

الصحف اليافية

تعتبر جريدة « القدس الشريف » اول جريدة ظهرت فى فلسطين فى اليوم الاول من سبتمبر عام ١٩٠٣ ميلادية ، وهى الجريدة الرسمية لمتصرفية القدس .
وبعدها بست سنوات صدرت جريدة « الاخبار » لصاحبها « بندلى غرابى » ، وبعدها بعام ظهرت جريدة « الترقى » لصاحبها عادل جبر ، وبعدها بعام ايضا صدرت جريدة « فلسطين » لمنشئيها عيسى العيسى ، ويوسف العيسى ، اضافة الى ثلاث جرائد اخرى ، وبذلك يبلغ عدد الجرائد الفلسطينية خلال العهد العثمانى سبع جرائد .
اما فى عهد الانتداب البريطانى الاسود على فلسطين (١٩١٧ـ١٩٤٨) فقد صدرت خلاله عدة صحف فى يافا . فى العشرينات صدرت جرائد « السلام » لنسيم ملول و « الجزيرة » لحسن الدجانى ومحمد الدجانى ، « الصراط المستقيم » للشيخ عبد الله القلقيلى ، « صوت الحق » لفهمى الحسينى .
وفى الثلاثينات صدرت « الجامعة الإسلامية » للشيخ سليمان التاجى الفاروقى ، « الدفاع » لصاحبها ابراهيم الشنطى ، وكانت « الدفاع » من اقوى الصحف الفلسطينية واوسعها انتشارا ، « الجهاد » لمحمد المسلمى ، ومجلة « الفجر » لعارف العزونى ، والدكتور اسكندر حلبى ، ومحمود سيف الدين الايرانى .
وفى الاربعينات صدرت جريدة « الشعب » لحلمى حنون والمون روك ، وكانت اخر ما صدر من جرائد قبيل النكبة .

السقوط .. السقوط

كان قضاء يافا قبيل النكبة الاولى يضم ٢٣ قرية عربية من اهمها : يازور ، بيت دجن ، السافرية ، سلمة ، العباسية ، الشيخ مونس .
فى مقابل هذه القرى كانت توجد ٣٣ مستعمرة يهودية تحيط بالمدينة ، اربع فقط منها انشئت فى العهد العثمانى ، والباقى فى عهد الانتداب البريطانى .
وعلى اثر صدور قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بتاريخ ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ ، اخذ اليهود يسلطون على يافا مدافعهم الثقيلة ، فصبوا عليها اربع الاف قذيفة خلال ثلاثة ايام مما ادى الى تدمير المدينة ، وقد استبسل المجاهدون فى الدفاع عنها ، برغم التساؤلات العديدة التى مازالت تطرح حول تصرفات قادة « جيش الانقاذ » فى منطقة يافا .
يقول سفاح دير ياسين مناحم بيجن « ... لقد هاجمنا يافا بافضل قواتنا واحسنها تدريبا ومراسا فى القتال ، هاجمنا خمس مرات فى يومين وليلتين ، وفى المرات الخمس رُددنا على اعقابنا ، وحطمنا فى ميادين المعركة ابطالا اعزاء علينا ، حطمناهم مضرجين بدمائهم ، وملئ من صلابة حماتها ان فكرنا

يافا
حديقة النجوم

اشتهرت في يافا عائلات عربية عريقة وشخصيات مرموقة لها مكانتها الرفيعة

تل أبيب: مدينة ذات أضواء لكنها مقطوعة الصلة بالجذور التاريخية والدينية والفكرية



الفنادق الحديثة بتل أبيب منتشرة على فيرو ثولفا !

بالعدول عن اقتحامها، وأصدرنا الأوامر الى وحداتنا الامامية بالانسحاب، ولكنها ولأول مرة في تاريخ منظمة «الارغون» خالفت الاوامر وبقيت تحارب ...»

وسقطت يافا تحت سمع وبصر جيش الانقاذ التابع لجامعة الدول العربية، ونزح معظم السكان بطريق البر والبحر، واتجه أكثرهم الى قطاع غزة ومصر، وبعضهم الآخر مازال قابعا فيها، ويبلغ عددهم حاليا عشرة الاف نسمة تقريبا.

شخصيات يافية

لقد عرفت يافا بأنها من أكثر المدن الفلسطينية انفتاحا على العالم، وأكثرها رقيا وازدهارا في كافة المجالات، وكان بعض القاطنين بعيدا عنها يتباهون بأنهم قد زاروها أو أقاموا فيها، أو ابتاعوا شيئا منها. وانه لمعروف عن أهلها بأنهم أكثر الفلسطينيين تمدينا والتصاقا بالحضارة الاوربية !

وإني لأرى يافا قريبة الشبه بالاسكندرية حتى في تكرار انتماء بعض الأحياء السكنية في كلا الثغرين الفاتنين، كالمنشية، والعجمي، والنزهة. اضافة الى اشتراك السكان في النضال الوطني، وحسن الضيافة ورهافة الحس واللباقة وطلاوة اللهجة.

واشتهرت في يافا عائلات عريقة المحتد، قديرة المنزلة، ذات جذور عربية نبيلة، من أشهرها: الدجاني - الدباغ - الفرخ - هيكل - أبو لبن - العيتاني - العزوني - سكر - كشكش - العطار - بدرس - السعيد - خلف - جلاد - النقيب - الفرخ - أبو رياح - أبو حوزية.

ومن الشخصيات اليافية البارزة:

● الشيخ عبد الغني الرافعي ١٨٨٨ - ... كان عالما وشاعرا، أفتى عروبة الشعر، ... وهو من أسرة في القضاء الافتاء المعروف.

● حافظ السعيد ١٨٨٣ - ... انتخب نائبا عن لواء القدس الشريف ... وكان نائبا في «مجلس المبعوثان» العثماني.

● فيليب جلاد ١٨٥٧ - ١٩١٤ تولى تحرير المجلة الرسمية للمحاكم الاهلية وألف قاموس الادارة والقضاء بالعربية والفرنسية.

● ابراهيم مصطفى الدباغ ١٨٨٠ - ١٩٤٦ ولد في يافا، وارتحل الى القاهرة، واصدر جريدة «الانسانية» عام ١٩٠٤، وله عدة مؤلفات. قال عنه صديقه محمود تيمور: «كان ذرب اللسان، عف الكلام، فكه الروح، كان آية عصره في قوة الذاكرة، وحضور البديهة».

● الحاج خالد الفرخ ١٩٠١ - ١٩٦٦ عمل في الصحافة، ثم التحق بصفوف المجاهدين، وأصبح أمينا لسر القائد «أبي درة». توفي ببيروت.

● عمر العزوني ١٩٦٢ - ١٩٦٨ درس الحقوق بجامعة كامبردج، تولى عضوية الوفد الفلسطيني الدائم في الولايات المتحدة، عمل قبل وفاته مستشارا للوفد العربي السعودي في الامم المتحدة.

● الدكتور يوسف هيكل، درس الحقوق في جامعة مونبلييه، وفي جامعة باريس حصل على دكتوراه الدولة في الحقوق والاقتصاد، ثم على دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة لندن، عمل رئيسا لمدينة يافا، وبعد النكبة عمل في السلك السياسي الاردني حتى عام ١٩٦٤ حيث كان سفيرا في الصين الوطنية واليابان.

● مصطفى مراد الدباغ (أبو عمر) من مواليد عام ١٨٩٨، عمل في فلسطين مفتشا للتعليم في ألوية نابلس ويافا والقدس، ويعود اليه الفضل في انشاء كثير من المدارس بالقرى والمدن الفلسطينية. قدم للمكتبة العربية كثيرا من الكتب القيمة في المجالات المدرسية والقومية وبخاصة في تاريخ فلسطين القديم. وقد توج مجهوداته باصدار الموسوعة الشاملة عن «بلادنا فلسطين» وتقع في ١٦ جزءا من الحجم الكبير. عمل مديرا لوزارة المعارف في دولة قطر في بداية الستينات.

وهناك شخصيات وعائلات يافية وجيهة مرموقة لم نستطع ذكرها لقصور في ذاكرتنا ليس إلا.

تل أبيب (تل الربيع)

هذه المدينة اليهودية المنشأ، العربية الفلسطينية الموقع، طالما سمعنا بها، ورددنا اسمها، وتعلمنا عليها وارتبطت في اذهاننا بالغدر والعدوان



فتاتين يهود على شاطئ ... يافا



(ميدان الساعة) أشهر معالم يافا

والازهار - فلا نعرف عنها أكثر من اسمها !

بجوار حي المنشية اسس بعض أفراد اليهود حيا خاصا بهم في عام ١٨٨٦ . وفي عام ١٩٠٩ تمكنت بعض العائلات اليهودية من بناء حوالى ستين بيتا ومدرسة ثانوية على قطعة أرض حصلوا عليها بمباركة بريطانية ، وقد أطلقوا اسم تل (أبيب) وتعني بالعربية تل الربيع .

أخذت تل أبيب تنمو وتتسع شيئا فشيئا حتى بلغ عدد بيوتها ٨٠٠ بيت في عام ١٩٢١ . وحينذاك اصدرت الحكومة البريطانية قرارا بفصل تل أبيب عن يافا بقصد استقلاليتها عن المدينة العربية التي كانت تشكل ضاحية من ضواحيها ، وجعلت لها بلدية مستقلة تحت رئاسة ديزنغوف الذي أطلق اسمه فيما بعد على أضخم شوارع تل أبيب . وطفحت المدينة بعد ذلك باليهود الذين بلغ عددهم ٤٦٫٢٠١ في عام ١٩٣١ ، بينما قدر عددهم في عام ١٩٤٥م ١٩٤٫٦١٠ . أما في عام الهزيمة العربية الثانية فقد زاد سكانها عن ٤٣٠٫٠٠٠ نسمة !

وعلى اثر اضراب عام ١٩٣٦ في فلسطين قررت الحكومة البريطانية انشاء ميناء خاص لتل أبيب كان له أعظم دور في تهريب المهاجرين اليهود والسلاح اليهودي .

وبعد النكبة الأولى اندمجت يافا وتل أبيب معا ، فأصبحت يافا تمثل الحي القديم من تل أبيب ، وقد اتخذها قادة اليهود مركزا لابداعاتهم والهاماتهم المختلفة !

ويلفت اليوم في هذه المدينة أكثر الصناعات اليهودية ... كما أنها أكثر من الوطن المحتل كثافة بالسكان .

أما ... العلمية فقد ... بها (جامعة تل أبيب) في عام ... وهي تضم ... كلية ... إلى أربعة معاهد عليا ، وقد بلغ عدد طلابها ... الف من بينهم طالبات . ومن ضمن معاهد تل أبيب العلمية العالية : معهد المعادن ، ومعهد النظائر المشعة ، ومعهد العلوم الفضائية ، والمعهد الافروآسيوي وغيرها .

• • •

إن عمر تل أبيب لا يتجاوز السبعين عاما ، وهذا يعني انها عديمة الأهمية من النواحي التاريخية والدينية ، أما يافا ... فمن ...

الملفت للنظر فيها حقا فهو سواحلها الشاطئة ، وشوارعها الفسيحة ، وميادينها العامة ، كما أن بها العديد من الفنادق العالمية . والى الشمال من تل أبيب تقع مستعمرة « رامات جان » ١٩٢١ ، ويوجد بها أضخم استاد رياضي في وطننا المحتل يتسع لـ ٦٠٫٠٠٠ شخص . والى الشمال بيافا تقع مستعمرة « هرتسليا » ١٩٢٤ ، وهي منسوبة الى هرتزل - مؤسس الحركة الصهيونية العالمية - وتعتبر من المراكز الصناعية والزراعية المهمة ، وهي ذات موقع ممتاز لذلك تطلق عليها الدعاية الصهيونية « ريفيرا اسرائيل » .

اشكو الى الله

في طريق إيابنا الى رحلتنا يونس بن ... الى يافا قلت لها مودعا : يا حديقتنا التي اقفرت من سرورك خطواتنا ، واقتلعت عن مرابعك نجومنا ، لن أجد ترجمة للواقع الاليم أبلغ من كلمات شاعرك محمود الحوت وهو يناجيك :

يافا لقد جف دمعي فانتحبت دما
متى اراك ؟ وهل في العمر من أمد ؟
أمسي وأصبح والذكرى مجددة
محمولة في طوايا النفس للأبد
تعبت لكنني مازلت في تعبي
اشكو الى الله لا اشكو الى أحد

... وسلام على يافا يوم قامت ، ويوم شاخت ، ويوم تزول .

نبيل خالد الاغا

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

رحلة الأعمى إلى بغداد

● يا شيخ المعرة الأعلامي القلقة .. وأريد فيها التغيير هل بقيت دنيانا؟

● لم يبق إلا كريه عنترة يعانيها لهيب النار ووقع الحلوم الغاربة!

● اكتشفت منابع المعرفة السرية وأدرك ما وراء الكلمات من أسطورة

● وانطلق الشيخ الضرير من عزلته .. المعرفة الحرة ولا أشعر الاكتمال

قال له صوت حازم فيه بعض القسوة.

ـ اخفض رأسك ياأعمى .. هاهنا شجرة ..

فاخفض رأسه .. وكتم نفسه .. وواصلت القافلة السير .. هذى كانت بداية الرحلة إلى بغداد .. وهذا زمن يخفض فيه المبصرون رؤوسهم .. فما بالك بالعميان ..؟ ..

رحلة طويلة .. وصحراء تطل عليها شمس سوداء .. وقمر معتم .. وأبو العلاء خرج من قوقعته .. معرة النعمان .. ليبدأ رحلته إلى عالم الآخرين .. كأنه يركض في سرداب مظلم .. من الأنبار إلى القادسية .. ومن القادسية إلى بادية الشام .. إلى بغداد .. المحيط الذي تصب فيه كل الأنهار .. ولا يعرف أبو العلاء كم ستطول الرحلة .. ولكنه يهبط من على ناقته حين يأمرونه بذلك .. ويسكن عن الحركة كأنه نائم .. ويمد يده للطعام فلا يدري أي شيء دخل جوفه وأي شيء لطخ ثيابه ... يتوضأ متيمماً .. ويجمع الصلوات .. ويختصر النوافل .. ويواصل الرحيل إلى بغداد ..

اقترب منه رجل وصاح في صوت مرتفع ..

ـ ياشيخ المعرة .. أنا حادي القافلة وأريد شعراً أغني به وتنقطع به الطريق .. هل عشقت يوماً ..؟ ..

سؤال وقح غريب .. وجرح ينفتح على غير انتظار .. اتكأ على سنام ناقته وقال

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر
لعل بالجزع أعواناً على السهر
ماسرت إلا وطيف منك يتبعني
سرى أمامي وتأويباً على الأثر

ونغم الحادي .. يا له من شعر .. وانصرف إلى مقدمة القافلة يحاول معالجته بالغناء .

انطلقت كل البروق

«قضى علي وأنا ابن أربع لا أفرق بين البازل والربع .. في هذا العمر المبكر انطلقت كل البروق .. وزحف الجدري على جسده .. ألبسوه ثوباً أحمر ليخفف من وطأة المرض ولكن الظلام أطبق على كل شيء .. لم يبق في ذاكرته إلا شذرات من حمرة الثوب .. من بقايا لهب نار ووهج النجوم الغاربة .. وبقي من طفل الرابعة الصغير وجه متآكل .. وعين نافرة .. وأخرى غائرة

يدعو بعاهة وتسقوانه .. ويعاملونه الحديث .. ويقصونه كل ما يرددون ولم يكن يعتقد أن حرمة للاختيار .. ولكن عقله نما متفرداً .. اكتشف منابع المعرفة السرية .. وبدا يدرك أن الكلمات لا تعني شيئاً بذاتها .. وإن ما تخبئه خلفها أشد وعورة من ظاهرها .. من لحظتها بدأ يبني عقله الخاص .. ويستقل به وينفج رغماً عن أنف الجميع .. وعندما بدأ يجلس مع المبصرين .. ويلاعبهم الشطرنج كان يجد الفرصة ليزيد من اكتشافه لهم ..

ودوت أصوات أجراس عالية فتوقف الحادي عن الغناء .. وانتاب القافلة حركة غريبة .. واشرأب أبو العلاء .. دير آخر .. رهبان جدد .. هتف ..

ـ يارئيس القافلة .. ماهذا الدير؟ ..

وأتاه الجواب همساً خافتاً ..

ـ إخفض صوتك ياشيخ ... سوف نغير اتجاه القافلة ... في هذه الأيام لا نعرف من يسكن الأديرة .. أهم الرهبان أم قطاع الطرق ..؟ ..

وظل أبو العلاء حائراً .. والقافلة تغير طريقها عبر التلال .. والأجراس تدوي .. كأنها تناديه .. في رحلته الأولى إلى أنطاكية .. نادته نفس الأجراس .. وقاده راهب عجوز واهن الصوت كريه الرائحة .. هبط به إلى سراديب الدير .. وكانت صحائف الكتب رطبة متآكلة .. لمسها أبو العلاء فسرت في جسده قشعريرة غريبة .. في هذا السرداب يتصادق الفلاسفة والعناكب .. وتشرب حقائق الكون من الرطوبة .. لا إمامه إلا العقل .. ولا عزيمة إلا للبحث .. ولا فرحة إلا فرحة الاكتشاف .. في هذه الصحائف وضع الحكماء كل الأسئلة المحيرة .. عن الزمن .. والموت والبعث .. وعبثاً حاولوا الإجابة .. وهذا الراهب العجوز الذي قاده إلى السراديب مؤتمن .. سرق منه بقيته الداخلي المسيباني الذي خرج به من معرة النعمان .. وجعله يعود جائعاً .. لم يعد يقنع ببلده الصغيرة .. وليس هناك إلا بغداد تسد رمق هذا الجوع ..

تواصلت أيام الرحيل .. وتسلخ حذاؤه وازدادت قتامة الصحراء .. وأخيراً هب هواء غريب .. محمل بعشرات الأصوات .. وهتف به نفس الصوت ..

ـ إخفض رأسك ياأعمى .. هذه هي بوابة بغداد ..

بغداد في الظهيرة

دخل بغداد في وقت الظهيرة .. وكانت مظلمة .. شم هواءها المختلط بالحنظل والبهارات وصحائف الوراقين وأنفاس الترك والديلم وسمع ركض الخيل وثرثرة البائعين وضحكات الجواري .. ونهره شحاذ وحسب أنه جاء لينافسه .. وقاده طفل صغير عبر الطريق وكان الجو حاراً فأحب أن يذوب في صهد الظهيرة .. لكن كل الذين سألهم دلوه على المكان الخطأ .. وفي المساء بات في أحد المساجد

وكان قد وصل بغداد فى الظهيرة .. وكانت مظلمة ..

بغداد خزف سريع الكسر .. ابو العلاء يسعى فى شوارعها تائها .. والخليفة يهرع فى شوارعها خائفا .. إسمه مثل صفته « الطايع » .. لا يرد كلاما .. ولا يعصى امرا .. ترك مقره وهرع الى قصر « بهاء الدولة » قائد الديلم .. ويبايعه بالإمارة كانما يتوسل إليه .. خلع عليه سبع خلع . وطوق عنقه بطوق كبير من الذهب .. وقبل بهاء الدولة الإمارة تفضلا منه .. ورفع حجاب الديلم سيوفهم يحيون الامير الجديد فانخلع قلب الخليفة وهرول الى قصره .. ترك الديلم والاتراك يلعبون لعبة الحكم التى لم يعد يجيدها احد من العباسيين . اذا مات عز الدولة جاء عضد الدولة .. وإغتاله شرف الدولة .. وظهر عليه صمصام الدولة .. وانقلب عليه بهاء الدولة .. وبين كل هؤلاء تلفت الدولة ..

ويسعى ابو العلاء .. الى بيت الحكمة الذى انشاه المنصور حين كان الزمان رخيا .. يسعى الى مجالس العلم والادباء والشعراء .. يزاحم بالاذنيه ولكن .. لااحد يراه .. كانت بغداد مشغولة عنه بالصراعات اليومية واخر الحروب بين الترك والديلم .. واخر المنازعات بين السنة والشيعة .. ولم يكن امامه إلا ان يسعى الى بيت النقيب « الشريف الطاهر » ليتعرف عليه وعلى ولديه الشريف الرضى والمرتضى .. ولكن البيت كان غارقا فى السواد .. مات الشريف الطاهر والمعزى مزدحم باشراف بغداد .. وحين حاول الدخول منعته يد .. وصاح فيه صوت خشن ..

– إلى اين يا كلب .. ؟ ..

ياله من استقبال .. حسبوه من طلاب الصدقة .. قال للرجل فى حدة

– الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ..

ولم يفهم الرجل ماذا يعنى هذا السخف البليغ .. ودفعه الى اخر المجلس وسط الفقراء والمعوزين ، وكان الشعراء يتلون مراثيهم .. وابو العلاء ينتفض .. يريد ان يعلن عن وجوده .. يبرز هويته فى وجه بغداد التى انكرته حتى الآن .. نهض من مجلسه السفلى ..



تقدم رغم الاعتراضات حتى وصل الى منتصف المجلس .. او هكذا خيل إليه .. وبدا ينشد قصيدته فى الرثاء يرتجل من عمق اللحظة .. من عمق الإهانة .. والتحدى الذى وضع نفسه فيه .. يقدم نفسه لهم .. ويتحداهم ان يرفضوه او يتجاهلوه .. وانطلق الشعر الحبيس من صدره لم ترهقه الغربة ولا طول التجوال .. انتهت القصيدة فساد صمت مطبق .. انبعث بكاء خافت من مكان ما .. وامسك رجلان بذراعيه وقاداه الى مكان مرتفع .. وقال احدهما ..

– لعلك ابو العلاء المعرى ..

اخيرا وجد فى بغداد من يعرفه .. ووجد مجلسا عاليا بين الشريف الرضى والشريف المرتضى .. اى شهادة اخرى يبتغيها .. لقد دخل بغداد محتى الرأس .. واثبت نفسه من خلال مأتم ..

وبدأت خطواته فى بغداد .. وتبدو مظلمة . جلس فى مسجدها الكبير يروى الاخبار .. ويفتى الفتاوى ويجيب فى المسائل . دخل خزائن العلم وتسكع فى سوق الوراقين .. وبدا يشبع جوعه النهم الى المعرفة . ذهب الصيف .. وجاء الشتاء وخرج بهاء الدولة ليحارب صمصام الدولة فى نواحى جرجان .. ولم تبال بغداد .. فالعائد اليها منهما سيكون السلطان وسيسعى إليه الخليفة ليبايعه .. وسوف يبقى الخطأ القاتل فى تركيبها .. نزاعات الترك والديلم لا يحسمها إلا الدم ..

ولكن اخطر ما فى الامر هو اكتشاف ابى العلاء انه اعمى .. فى سكون المعرة كان يمكن ان يخفى عاهته .. ولكن هنا وسط الحركة الصاخبة والتحديات اليومية .. وهو يسعى كل ليلة فى الحوارى الضيقة على حافة الخطر .. وهو يجلس وسط طوفان من المبصرين .. وسط كل هذه الصراعات دون ان يحسم موقفه .. لم تعد كلمات الكتب تاتى اليه خالصة .. بل تاتى محملة بكل نذر الفتن وعلامات الانهيار المنتظر .. لم يذهب الى مجلس الخليفة . فما جدوى المديح فى بزاته الطاعة .. ولم يذهب للسلطان فالديلم بحاجة للسيف اكثر من حاجتهم للشعر ..

وعاد بهاء الدولة بعد ان انتصر على صمصام الدولة . وكان على بغداد ان تدفع ثمن هذا الانتصار .. الخزائن مفلسة والجند قد اعلنوا تمردهم لانهم لم يتسلموا رواتبهم .. وكان ابو العلاء نائما عندما هجموا على الزاوية الحقيرة التى ينام فيها وقتلوا ثيابه البالية وتركوه نصف عار يرتعد تحت برد الطريق .. واكتشفوا انه لا يملك شيئا فاظهروا اشمئزازهم منه ومن وجهه المجدور .. ولكنها بغداد .. المدينة العذبة القاسية وعليه ان يتحملها ..

لم يجمع بهاء الدولة شيئا من حملته .. واشار عليه مستشاره ان المال الذى يريده لا يوجد إلا عند الخليفة . الطائع . واختمرت الفكرة فى ذهن بهاء الدولة وللمرة الاولى تنازل عن كبريائه وذهب الى الخليفة فى قصره .. وكان الخليفة جالسا على عرشه يقضى فى بعض الامور التافهة وحين قبل بهاء الدولة الارض بين يديه وقف شعر راسه وقبل ان يقر بجلده تقدم الديلم وجذبوه من فوق كرسيه ولفوه فى احد الستائر وساروا به الى سجن بغداد وهو يصيح باكيا طوال الطريق :

— إنا لله وإنا اليه راجعون ..

وجاء الخبر مريرا فى المسامع إلى ابى العلاء .. تذكر حلب حين تسقط فتسقط معها معرة النعمان وتسقط معها جميع العالم .. مرة فى ايدى الحمدانيين .. ومرة فى ايدى الفاطميين .. ومرة فى ايدى الروم .. السقوط هو القانون ..

الوداع .. الوداع .. يا بغداد

ازدادت الطعنات من حوله .. لم يتعود البغداديون مثل ذلك الجمل المتلفت والمتلفتة فى كل الامور .. ليشعر عقلهم المحقق التقليدى .. ذهب الى مجلس ابى الحسن بن عيسى [illegible] تتحدث عن بغداد وسلطان فى الدخول اليه .. [illegible]

[illegible]

[illegible] اللغوية .. فالاصطبل هو الاعمى .. والاعمى لا يرى للمتنبى [illegible] والشريف دون رفيق .. كان ماواه الاخير فى بيت الشريف المرتضى .. ما زالت له فيه مكان الصدارة منذ ان قال مرثيته فى مأتم ابيه .. جلس صامتا .. يسمع ولا يرى .. والشريف المرتضى يتحدث فى الشعر .. عن المتنبى .. يعدد عيوبه ومثالبه ويبحث عن الابيات السخيفة من شعره ليستشهد بها .. وجميع من فى المجلس يتمتمون بالموافقة فى طريقة آلية ..

— السيد النقيب اعرف .. السيد النقيب اعرف ..

ولكن النقيب يريد الموافقة كاملة على رأيه .. التفت إلى ابى العلاء وهو يقول :

— وانت ياابا العلاء .. ماذا ترى فى المتنبى .. ؟ ..

وفوجىء الجميع بابى العلاء وهو يتخلى عن الجواب التقليدى الذى يعتصم به الجميع وهو يقول :

— لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قصيدته « لك يامنازل فى القلوب منازل » لكفاه ذلك فضلا ..

وفوجىء الحاضرون بالشريف الرضى وهو يصرخ فى عنف ..

— ويحك يا اعمى .. خذوه .. جروه من رجله والقوه فى الخارج ..

وهجم الخدم على ابى العلاء .. جروه من رجله عبر المجلس .. وطرقة البيت والساحة والباب الخارجى ووحل الطريق وانهالوا عليه بالضرب .. وقال السيد المرتضى ..

— اتدرون اى شيء اراد الاعمى بذكر هذه القصيدة رغم ان للمتنبى ما هو اجود منها لم يذكرها .. ؟ ..

قالوا بالنية ..

— السيد النقيب اعرف ..

قال المرتضى ..

— اراد قول المتنبى :

وإذا اتتك مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل ..

تخبط ابو العلاء فى الطرقات الغريبة . مبللا . موحلا . مهانا . وليس من معجزة تنقله إلى المعرة .. هذى كانت نهاية الرحلة .. والحلم .. وليس هناك سوى العودة بكل الخسائر والجروح .. فى اى وقت منذ الآن .. اى قافلة تحمله واى ناس يرتضون به .. وكيف تتاتى له القدرة على قول الشعر مرة اخرى .. وكيف ينام الليل بدون كوابيس .. ووجهه ملطخ بالدم .. وثيابه ملطخة بالوحل ..

فى اليوم التالى كانت حكايته على كل لسان فى بغداد ووافقت احدى القوافل على اصطحابه .. وسار عبر الصحراء والبلاد الغريبة .. فامروه فركب الناقة .. وامروه ان ياكل .. وحين امروه ان يخفض راسه ادرك ان الرحلة قد انتهت .. وان الجمل المهانة قد سقطته الى معرة النعمان .. وليس من يحميه سوى جدار بيته الصغير ..

المحبوس الارضى

فى داخل البيت الصغير بدات رحلة التسعة والاربعين عاما . لا فرق فيها بين ليل ونهار . حين وصل المعرة لم يكن هناك احد فى انتظاره .. لا احد ينتظر المهزومين .. وكانت صدمته هائلة عندما

وقائع غريبة

وسط هذا الجحيم الأرضي والعزلة القاسية.. لم لا يصنع فردوسه الخاص ويرحل في ترويه.. لا يتحسس طريقه ولا يقوده غريب؟

وجد انه قد ماتت.. المرأة الوحيدة التي كانت في حياته.. لم يعرف قبلها.. ولن يعرف بعدها..

لم يكن يملك إلا إيرادا صغيرا لا يتجاوز الثلاثين دينارا. كان يعطي نصفها لخادمه وينفق النصف الآخر.. لا يأكل إلا العدس والتين، ولا يلبس إلا غليظ القطن. ولا ينام إلا على اللباد في الشتاء وعلى الحصر في الصيف. وجاء إليه بعض طلاب العلم من الفقراء الذين لايملكون القدرة على الذهاب الى العواصم المزدهرة.. ولكن شيئا لا يعوض هزيمته في بغداد. لكانها اغتيال مبكر. وجاءت إليه الرسل من مصر محملة بالوعود.. لقد سمع عنه الحاكم بأمر الله الفاطمي وهو يريده مكرما بجانبه.. ورفض ابو العلاء الدعوة.. لم يكن في حاجة إلى مهانة جديدة.. ما أعتزلت حتى جددت وهزلت فوجدتني لا أصلح لجد ولا هزل.. فعندها رضيت بالأزل....

وتواصلت أيام العزلة. وكل يوم تزداد قسوتها.. كان في حضرة تلاميذه يأكل عسلا فتساقط شيء منه على ثيابه، وسمع همسهم. وتحسست الآثار اللزجة بأصابعه ثم قال..

ــ العمى عورة

وانصرف إلى نفق مظلم في بيته. لا يأكل إلا فيه ولم يره أحد يأكل بعد ذلك أبدا. وظل أعمى. أضاءت داخله عشرات البصائر وظل أعمى.. محروم من أي متعة.. ثروة.. امرأة.. ولد..

ثم جاءت رسالة ابن القارح من حلب. رجل لم يره ولم يعرفه قبل الآن.. كانت رسالة غريبة.. هذا الرجل هو وجهه الآخر وصورته المناقضة. لم يترك متعة واحدة لم يجربها.. ولم يشاهد كأسا لم يشربها.. ولم يطارد جارية مورد في سحر خلقها. جلس مع الفلاسفة وتنسم.. وعرف الزندقة والإلحاد.. ثم أرسل إلى أبي العلاء يطلب منه التوبة.. يؤكد ضلاله في الشعر.. إلا ... وما يريد لا ... فردوسه السماوي.. وتلقى ابو العلاء الرسالة بسخرية مرة.. يطلب منه هو الذي يعيش الجحيم الأرضي أن يمنحه الغفران الفردوس.

ولكن.. لم لا؟.. وسط هذا الجحيم الأرضي والعزلة القاسية لم لا يصنع فردوسه الخاص ويرتحل في ترويه. لا يتحسس طريقه ولا يقوده غريب. وسط ألوان صريحة ومباشرة لا يغفلها اللون الأحمر. ويجلس مع الشعراء والمتكلمين يحدثهم ويحدثونه.. لا يعيره أحد بعماه. ولا يسخر أحد من سقطته.. فردوس لا يوجد فيه وحل.. أي وحل..

وأمسك القلم ليكتب.. رسالة الغفران.. وجاء الشعراء والصعاليك والأفاقون والعشاق القدامى والفرسان بسيوفهم المسلولة والمهرجون ليشاركوا في طقسه الخاص.. وحضر الجن كما حضر البشر.

وامتزجت السخرية المريرة برحلة البحث عن عرض لهذا الفردوس العسير المنال...



● وقف أبو العلاء وحيداً على حدود المعرة التي رفضته .. أصبحت قبة خانقة له .. فهل يجد فيها مكاناً لقبره

لا يهم ماذا يحدث بعد ذلك .. لقد عزى نفسه بنفسه .. وصنع سلواه الخاصة .. لا أهمية للتفاهات التي تحاصره والألسنة التي تقتحم عليه عزلته .. كانت الاتهامات بالزندقة تتقاطر حوله كالسهام .. كل من أعجزه أن يفهم بيتا .. أو جملة .. أو اشارة .. أسرع يتهمه .. وعندما وصلت رسالة الغفران الى أيديهم تحول شكهم الى يقين دامغ .. هل أفزعهم أن يكون له فردوسه الخاص ..

جاء القاضي القزويني ليقابله .. وليناقشه في الشعر .. وقال له أبو العلاء ..

— لم أهج أحدا قط ..

فقال القاضي بتخابث ..

— صدقت .. إلا الأنبياء ..

واصفر لون أبي العلاء .. أدرك أنه سوف يظل يعاني الكثير من قصور العقلي .. وبعد برهة جاء قاض آخر الى منزله .. كأنه نوع من التحقيق الخفي .. وسأله ..

— ماهذا الذي يروى ويحكى عنك ؟

قال أبو العلاء ..

— حسدوني فكذبوا علي وأساءوا إلي ..

قال القاضي ..

— على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ..

وتمتم أبو العلاء في مرارة ..

— والآخرة أيها الشيخ .. والآخرة

وظل يردد الكلمة .. كان عذابه بلا نهاية .. وكأن خطيئته كانت يوم ميلاده .. احتقرته بغداد وعذبته المعرة ورغم سنوات العزلة فإن الفضاء حوله خانق لحد الموت .. دخل في ظلام نفسه وظلام بيته .. ومع ذلك فهاهم يتجمعون امام بيته ويصيحون ...

— اخرج من بيتنا يازنديق ..

ومن قال اني بينكم .. من قال أن هذا الجسد الهزيل المجدور الأعمى جسدي .. اقتربت لحظة الموت ولكنهم لايريدونه أن يموت بسلام ..

ثم جاء صالح بن مرداس حاكم حلب .. ودخلت المعرة في النزاعات السياسية ضد الحاكم .. وقبض على سبعين منهم قالوا ضده .. ورد عليهم بأن سار بجيوشه إليهم وحاصرهم .. ولم يكن أمام أهل المعرة غير أبي العلاء الزنديق الأعمى .. لعل صالحا يستجيب لشفاعته ..

وخرج أبو العلاء من عزلته للمرة الأخيرة .. وان يسير الى حدود البلدة .. لأنهم .. رحلة أخرى خاسرة .. ولكن صالحا استقبله استقبالا حافلا .. استجاب لشفاعته .. أمر جيوشه بالانسحاب .. وقال له ..

— قد وهبت لك المعرة بالشيخ ..

ووقف أبو العلاء وحيدا على حدود المعرة التي رفضته .. أصبحت قبة خانقة له .. فهل يجد فيها مكانا لقبره ..

سوف يموت .. وسوف تحاصره المزيد عن الاتهامات .. وسيمضي أهل المعرة المعذبة ومرائيه .. ولكن المعرة قد وهبت له .. وهبت لاسمه شرف الحياة .. فكر مغلق لا تكسر على الاطلاق .. [illegible] المعرة لمن .. قد وهبت لك المعرة بالشيخ لو يملك شيئا ولو يرد شيئا .. وسيمضي دون شيء .. ولكن المعرة له .. فالوداع الوداع يا بغداد .. لم تكن هزيمتي كاملة.

محمد المنسي قنديل

وقائع عربية

الحيرة

أغنية العشق والشعر والهوس

محمد المنسي قنديل

من مواد العدد القادم والأعداد القادمة

التقدم بين جدلية العقل والأشياء
د. حافظ الجمالي

كلام في السياسة
د. حسين مؤنس

حكومة الرسول كانت تجسيد الروح الحضارية
أحمد بهجت

اللغة العربية ومواجهة التحديات
أنور الجندي

هل يمكننا اللحاق بالغرب
أحمد عبد السلام البقالي

المستشرقون والإسلام
د. عبد الجليل شلبي

العرب وتحدي المرحلة
أنطون مقدسي

سامراء .. مدينة واعتصامه (تحقيق ملون)
محمد رجب السامرائي

نادي العزاب

بقلم: خليل إبراهيم الفزيع



عندما تشرق شمس الحياة .. ويعلن مع بداية كل فجر مولد صراع جديد .. يظل أفق حياته بلا صراع .. خواء وصمت يلونان كل سطر من سطورها .. ويعكران رغبتها الملحة في الانطلاق من كل شيء .. وفي الأفق تظل لمحات الأمل تغيب كتغيب أرغفة القرابين ضحاياه فلم يعد يرغب في سواها .. والسوداوية الملحة في قعر نفسه تحيل أمامه كل خير الى تشاؤم يغفر فاه ويلتهم ايمان العاجزين حتى عن الصمت .. الى ان كان يوم .. تحول فيه الثالث الى انسان يعرف هدفه .. فوجد التفاؤل حتى في الشمة الخمس عندما تلقي بنفسها عند أقدام الشجيرات المنتشرة في حديقة منزله .. او عندما تتسلل من خلال الزمن عبر نوافذ غرفة نومه ..

عندما قابلها وجد فيها السر الكبير الذي ظل يبحث عنه طوال سنواته الماضية دون ان يدري .. حتى انه كان يسخر من زملائه كلما تكلموا عن الزواج وما يحققه من سعادة كان يكره الزواج .. ويكره المرأة .. ويكره الحياة .. رغم كل الانتصارات التي حققها على كل صعيد حياتي قذفته أمواج الحياة اليه .. ورغم كل الآمال العريضة التي استطاع ان يحققها .. رغم كل شيء ..

ولكنه عندما وجد نفسه .. أصبحت الدنيا لا تسعه

لم يكن اعجابه بها هو جمالها .. كما لم يكن سر اعجابه هو سيطرتها على مشاعره منذ التقت عيونهما .. ولكن هناك شيئا في داخله يهتف به ان الهدف الذي لم يتحقق في السابق قد تجسد فجأة امامه .. في شخص منها احد صديقه الذي .. منها .. ما تحمل هذا الاسم .. يا النشوة الأمل الضائع .. الذي تجسد فجأة لحما ودما وغاية .. كانت برفقة صديقه الذي عندما التقى بهما في أمسية ربيعية باسمة وأصر على دعوتهما الى داره .. وبدون ان يدرك كنه شعوره في البداية .. ظل في انتظارهما على أحر من الجمر .. حتى تحقق اللقاء .. فانسابت الكلمات من شفتيها .. جداول رقة وأنهار عذوبة .. حتى عندما تعارضه الرأي كان هناك سر دفين يؤكد عثوره على الأمل المنشود ..

في اليوم التالي كان أول من تكلم مع زملائه عن المرأة والزواج والحياة الزوجية .. فأثار تعجب زملائه .. فهش له البعض وسخر منه البعض الآخر .. وفوجئ الجميع بقرار اقدامه على الزواج ..

قال له احد زملائه متهكما

- هل انت جاد فيما تقول يا محسن ؟

- نعم .. ولم لا ؟ .. لقد كنت مخطئا في رأيي .. وليس عيبا ان يكون الانسان مخطئا والعيب أن يصر الانسان على خطئه بعد اكتشافه لذلك الخطأ .. ولست الوحيد الذي ينفصل على نادي العزاب.

- ولكن هذا تغير مفاجئ .. خطير .. وقد لا تكون راضيا عن نتائجه ..

- المهم .. التي أحصل دائما نتائج تصرفاتي .. لذلك فانا مقتنع ان هذا هو خير طريق اختاره .. وبالتالي ليس هناك ما يخالف به ..

- اتريد نصيحتي ؟ .. دع موضوع الزواج لغيرك

- وفر هذه النصيحة لنفسك حتى أطلبها منك.

وترك زميله غاضبا .. وتركه زميله وهو أشد غضبا

عرف الجميع عن عزمه على الزواج وانفصاله من نادي العزاب الذي كونه مع بعض زملائه .. وفي اجتماع طارئ لمجلس

ادارة النادي اعلن استقالته من رئاسة النادي ، وطلبهم اختيار رئيس جديد للنادي .. الى الصميم هم مع ناديه

نادي الغزاب .. هراء .. انهم يعرفون ماعرف عندما قابل هنا سر صديقه انور الوافد بأسرته الكثيرة من بلاد الشام الى هذه المدينة الساحلية الساخنة .

وفي المساء قرر زيارة صديقه انور ، بعد ان ازال عن نفسه فقاعات التردد التي علقت عليها فترة خالها طويلة رغم ان الامس كان عندها الزمني .

وطرق الباب وقلبه يكاد يقفز من مكانه بعد ان شعر بالتردد ، والخوف من ان تخونه نفسه عن التصريح بما يريد ، رغم ايمانه بان الحياة بدون منها لاتساوي قلامة ظفر .. الا ايها القلب الواجف .. اثبت حتى ينتهي الخطر دون تمرده .. وانت ايها الظل الثالث استقر حتى تنتهي التي تجربة تخوضها ، وانفرج الباب .. فاذا بصديقه انور يملؤه .. والسعادة تكاد تقطر من عينيه ، وراح يرحب به بصدق لم يخف تساؤلا عن سبب الزيارة غير المتوقعة .. لاسيما انه صرح بعدم تمكنه من زيارته عندما دعاه اثناء زيارته له في الامس ، إذ سيكون كما قال مشغولا بالعمل الاضافي خلال هذا الاسبوع والاسبوع القادم ، كان التساؤل باديا على وجهه مهلا يا انور .. عما قليل ستعرف لماذا حضرت بلا موعد .. ستفرح من اجلي عندما تعرف انني ساطلب يد اختك التي حدثتني عنها كثيرا في اعوامك الماضية قبل ان تحضر اسرتك معك .

ـ اهلا وسهلا .. زيارة مفاجئة .. انني سعيد ان تهتم بزيارتي .

ـ شكرا يا انور .

واراد ان يقول شيئا ولكن الكلمات تتوسع في حلقه حتى تكاد تخنقه ، وبدون ان يدري تذوب بين شفتيه فلا يستطيع تمييزها .. بينما راح انور يمطره بعبارات الترحيب والمجاملة .

وعندما اجتمع بقية افراد الاسرة للترحيب به والجلوس معه ، كانت منها اخر من حضر .. ودارت الاحاديث في مواضيع شتى كلها تافهه ، حتى قرر لانور اخيرا ان يقول :

ـ ما هذه الاخبار التي سمعناها عنك .. ارجو الا تكون صحيحة .

وبدا الهواء يتخثر من حوله بشكل فلاس حقير .. وارتبك :

ـ اي اخبار يا انور ؟

ـ سمعنا انك تنوي الزواج

وبدت الفرصة سانحة وعليه الا يجعلها تفلت منه

ـ وهل في هذا ما يعيب ؟

ـ ابدا ليس فيه مايسوء .. كنت فقط متعجبا لموقفك الاخير .. لقد عرفت بعدائك للمرأة

ـ كنت مخطئا يا انور حتى قابلتها

ـ وما السبب ؟

والتحرجت نظراته لتستقر على منها ، فمتى سؤال صديقه انور ..

وفكر .. يجب ان اتزوجها فلماذا لا اصرح له بهدف زيارتي .. كلا .. كلا .. قد يستاؤون من هذا التصرف ، إذ يجب ان نتكلم في هذا الموضوع بمفردنا ، حتى منها يجب ان تكون اول من تعلم برغبتي في الزواج منها ، لا بأس .. سادعو انور لزيارتي او سأزوره في مكتبه وهناك سأتمكن من اخباره بالامر وسرحت الفكرة باعتباري صديقه فيما بعد حتى انتظار رأيه الى ان يستشيرها ويعرض الامر على بقية افراد الاسرة .. وعندها سيكون نهايتها في .. ولكن لم الانتظار الى .. الامر .. الى .. حتى .. الامر .. حتى .. على اعرض الامر على الجميع .

ـ في ماذا تفكر يا محسن ؟

فاجأه انور بهذا السؤال فاجابه :

ـ لا شيء كنت اصغي لما تقولون .

كانوا يتكلمون في موضوع اخر اتاح لهم انشغاله في التفكير والتوغل فيه ، والابتعاد نهائيا عن موضوع الزواج ، وعاد ينظر الى منها بشكل ملفت للآخرين .. فالتفت بكليته الى انور ، وانسجم معه في حديث لم يقطع في صرف ذهنه عن التفكير فيها ، وعندما كانت تتدخل في الحديث ، كان يصغي الى ما تقول بكل جوارحه .

الفرصة ليتها تمر حتى يفضي بما في نفسه .. ولكن الاحاديث تتشعب وتبتعد عن موضوع الزواج ، فقرر ان يجعلهم يعودون للحديث في هذا الموضوع .

وانتهز اول فرصة سكت فيها الجميع ، فقال بعد ان تذكر ان سؤال صديقه انور ظل بلا جـــواب .

ـ كانت قبل قليل تسألني عن سبب عزمي على الزواج .

ـ حقا .. لقد نسيت هذا الموضوع .. فهل لك ان توضح الامر .. ؟

ـ الامر لا يحتاج الى توضيح .. كل ما في الامر انني وجدت من احلم بها .

وبدون قصد نظر الى منها بطرف عينه ، ولكن احدا لم يلحظه كما يبدو اذ انشغل الجميع بالاصغاء الى كلامه .

قال انور :

ـ لابد ان تكون جميلة .. فليس من السهل ان تغني وجهة نظرك .

ـ انها جميلة جدا .

وفي تلك اللحظة كانت خصلة من الشعر قد انسابت على طرف جبهتها ، ولكنها لم تحل عن الشعر الذهبي المتهدل على كتفيها كشلالات السعادة ، كانت جميلة الى اخر حدود الجمال .

ـ الا تريد ان تعرف من هي ؟

ـ إن كان هذا لا يضايقك ؟

وكان جرس الباب يدوي بعنف .. ثم توقف فجأة ، فشعر بالفراغ والسكون ، كان هناك زائر لا زالت تفصله عنهم خطوات .

قال لصديقه انور بعد ان احس برغبة ملحة في انهاء الامر قبل ان يفلت زمامه .

ـ لكن اخبرك يجب ان تكون على انفراد .

وعندما اكمل حديثه .. كان القادم قد وصل .. فتهللت أسارير الجميع بما فيهم منها ، مما جعله يشعر بالنفور من هذا الشاب الذي يدل مظهره على انه واحد من غير هذه البلاد .. مثلهم .

وعندما صافحه مسلما قال انور بينما لازال الشاب يشد على يده :

ـ هذا محسن صديقي ، وهذا احمد .. ابن خالتي وخطيب اختي منها

خليل ابراهيم الفزيع

ثلاثة أسباب لأزمة المسرح

حافظ أحمد أمين

لا يزدهر المسرح ـ في رأيي ـ إلا إذا توفرت ثلاثة عناصر

أحاسيس مشتركة نحو المشكلات العامة للمجتمع

نصوص مسرحية حية تعبر عن هذه الأحاسيس

مناخ يسمح بعرض هذه النصوص

إن غاب عنصر واحد من هذه العناصر، وقع المسرح في أزمة

السبب الأول للأزمة هو تدخل السلطة لمنع المسرحيات التي تعالج المشكلات الحقيقية للناس، سواء كانت هذه السلطة هي سلطة الحكومة، أو سلطة الجماعات ذات القوة والنفوذ، أو سلطة التقاليد والعادات الراسخة في نفوس الناس.

السبب الثاني للأزمة هو عدم ملاحظة مؤلفي المسرح للمشكلات الحقيقية للناس. وهو سبب قد يكون في بعض الأوقات ـ كما هو الحال في وقتنا هذا ـ أهم وأخطر من السبب الأول، ويحدث هذا في عصور التغيرات السريعة العميقة، حيث تصبح الأعمار الفنية للمؤلفين قصيرة، وتحدث الأزمة عندئذ نتيجة عقم الأجيال القديمة ـ فنيا ـ مع استمرار احتكارهم لوسائل العرض.

والسبب الثالث هو أن تكون مشكلات المجتمع غير مشتركة أو متبلورة، وهو أخطر الأسباب جميعا، ذلك لأنه يعني تفكك المجتمع إلى أفراد غارقين في مشكلاتهم الخاصة، لا تجمعهم أحاسيس مشتركة، ولا يشعرون برغبة في الاجتماع ـ في مسرح أو في غير مسرح ـ لمشاهدة عروض تعبر عن أهداف جماعية متبلورة، وهنا تكون أزمة المسرح فرعا من أزمة أكبر وأشمل هي أزمة الثقافة، وتكون أزمة الثقافة فرعا في أزمة أكبر وأشمل هي أزمة الحضارة، وهي أزمة أخطر وأعمق من أزمة نقص الحريات أو أزمة عقم المؤلفين، ذلك لأنها تنتج من انتشار مشاعر اللامبالاة. لا مبالاة بالصالح العام فقط، ويكون هذا بسبب الفساد والانحلال... أو لا مبالاة بالصالح العام والخاص معا، ويكون هذا بسبب تفشي مشاعر اليأس والقنوط.

● منع المسرحيات التي تعالج المشكلات الحقيقية للناس من السلطة

● عدم ملاحظة المؤلفين للمشكلات الجماهيرية في فترة التغيرات السريعة العميقة

● عندما تكون أزمة المسرح فرعا من أزمة أكبر وأشمل هي أزمة الثقافة

السبب الأول.. دائما

ويحب صديقي العزيز الأستاذ نعمان عاشور وكثير من زملائه ـ عند تفسيرهم لأزمة المسرح العربي في السبعينيات ـ أن يضعوا كل الأهمية على السبب الأول، فيركزون اللوم كله على إدارات الرقابة الحكومية أو على جماعات أخرى ذات نفوذ، يسمونها بالجماعات الرجعية، وهم بذلك يستشهدون بالأمثلة التاريخية، عندما كان خنق الحريات أهم أسباب انكماش المسارح وعندما كانت الديمقراطية من أهم أسباب انتعاشه.

ويحكون كيف رسم قلم المطبوعات حدود المسرح في مصر عام ١٩٢٤ فهاجر الريحاني إلى أمريكا، وسافر يوسف وهبي إلى تونس، وحلت فاطمة رشدي فرقتها، وغادر جورج أبيض مصر.

ويحكون كيف عرضت فرقة يوسف خياط مسرحية (المظلوم) على مسرح الأوبرا في القاهرة فطردها الخديوي إسماعيل من مصر، وكيف أغلق الخديوي إسماعيل مسرح يعقوب صنوع عندما نقد الإدارة الحكومية.

ويحكون كيف أفزع الشيخ سعيد الغرا قيام مسرح القباني في الشام، فشد رحاله إلى الآستانة، وانتهز فرصة وجود السلطان عبد الحميد الثاني في صلاة الجمعة، فانبرى من بين صفوف المصلين، وصاح متحمسا لينذر خليفة المسلمين:

أدركنا يا أمير المؤمنين، فإن الفسق والفجور تفشيا في الشام، فهتكت الأعراض، وماتت الفضيلة، ووئد الشرف، واختلط النساء بالرجال...

فصدرت الأوامر السنية، والإرادة الشاهانية إلى حمدي باشا ـ والي الشام ـ بمنع التمثيل العربي في سوريا، وأغلق مسرح أبي خليل القباني.


الخديوي اسماعيل


فاطمة رشدي


يوسف وهبي


نجيب الريحاني

ليست نفس المشكلات

وان كان السبب الاول ـ نقص الحريات من اهم اسباب ركود المسرح في الماضي ، فان السبب الثاني هو الذي يقف ـ في رأيي ـ وراء ازمة المسرح العربي في عصرنا فلا شك ان المسرح العربي كان اكثر ازدهارا في الستينات عنه في السبعينات ، ولا شك ايضا ان الامة العربية ـ على وجه العموم ـ قد تمتعت خلال السبعينات بحريات لم تتمتع بها في الستينات ، فلا يمكن ان يكون نقص الحرية هو سبب ازمتنا الحالية .

كذلك فان معظم مؤلفي المسرح الذين عرفناهم في الستينات ، لم يفقدوا خلال السبعينات حيويتهم ومواهبهم وحبهم للمسرح ، بل اعطيناهم مناصبهم الكبيرة في وزارات الثقافة . فلا يمكن ـ ايضا ـ أن يكون نقص المؤلفين هو السبب .

ازمة المسرح العربي في السبعينات سببها ـ في رأيي ـ ان المشكلات العامة ، التي كانت تؤرق معظم الناس خلال الخمسينات والستينات ، مثل التحرر من السيطرة الاجنبية ، والتخلص من الظلم الاجتماعي ، والتي عبر عنها مؤلفو المسرح خلال الستينات ، لم تعد هي نفسها المشكلات التي تؤرق معظم الناس خلال السبعينات بنفس الدرجة ، وانما اصبحت تؤرقهم مشكلات جديدة لم يدركها مؤلف الستينات الذي واصل تأليف المسرحيات على نفس المنهج ، فلم تلق نجاحا كبيرا ، أو أدركها ولم يستطع التعبير عنها فتوقف عن التأليف .

وإذا تحدى هذا الجيل من المؤلفين والمخرجين ومديري المسارح بالفشل أو بالتقدم ، اراد أن يسد الطريق أمام الجيل الجديد ، القادر على العطاء .

في هذه الحالة ، لايخرجنا من الازمة ـ في رأيي ـ إلا هدم المؤسسات المسرحية القديمة ، بكل ما تحويه من نظم وايديولوجيات ، والبناء بمكانها بأفراد جدد وفي أسس جديدة .

لقد اعتدنا [illegible] من الأزمة [illegible] الجمهور أو ممثلين أو نقاد ، أو أزمة مسارح أو إدارة أو منتج ، وكلها تفسيرات مطروحة ، لا يرى كل صاحب رأي إلا في حدود تخصصه .

والحقيقة أن الجمهور قد هجر المسرح ، وكذلك الممثلين والمؤلفين والنقاد ، لأن هناك أزمة مسرح ، وليس العكس .

والحياة المسرحية ـ كجزء من الحياة الثقافية ـ تمر بدورات من الانتعاش والانكماش ، وكما توجد الدورات السياسية ـ من ديمقراطية وحرية وسيادة قانون ، الى دكتاتورية وشمولية وكبت ، ثم الى ديمقراطية وحرية من جديد ، وكما توجد الدورات الاقتصادية من ازدهار ورخاء الى فقر وكساد ثم الى ازدهار جديد . كذلك تتشكل دورات انتعاش المسرح وانكماشه .

جاء زمن الانتعاش ، وظهرت المسرحيات الجديدة ، وتكونت الفرق ، واقبل عليها الجمهور ، ونشط المؤلف والمخرج والممثل والناقد .

ثم جاء زمن الانكماش ، واختفى التأليف الجيد الحي ، وهرب المخرج والممثل ، وصمت الناقد ، وهجر ما تقدمه عروض مسرحية .

هذه الدورة من الانتعاش الى الانكماش الى الانتعاش من جديد ... سنة من سنن الحياة ، كدورات الليل والنهار ، ودورات الصيف والشتاء ، فهي التي تعمل على استمرار الحيوية والنشاط ، وهي التي تمد الانسان بالقدرة على مواصلة الكفاح والصراع ، وهي التي تقضي على مظاهر الضعف والوهن ، أو تقضي على الضعيف الواهن .

ولهذا فان الازمة الحالية للمسرح لاتثير الحزن والغضب بقدر ما تثير التفكير والاستعداد لمرحلة جديدة من الازدهار ، تنتج من وضوح الاهداف الجديدة للمجتمع ، وظهور جيل جديد من المؤلفين يعي المشكلات الجديدة لوطنه ، ويقدر على التعبير عنها في أعمال نابضة بالحياة .

حافظ احمد امين



رءوف توفيق

السود في السينما

رحلة طويلة من السخرية الى الاعتراف !



الزنوج .. الاضطهاد .. والاهانة .. لقطة من احد الافلام

أصبح ظهور الزنوج في الافلام والمسلسلات الامريكية شيئا طبيعيا .. بعد أن أصبح وجودهم في المجتمع الامريكي، شيئا طبيعيا !!

ولكن المتأمل للشخصيات الزنجية في بعض هذه الاعمال الفنية، يكتشف أحيانا أن وجودها لا يضيف شيئا .. مجرد أدوار ثانوية بسيطة وعابرة ولكن الاصرار على تقديمها، يعني في الحقيقة مغازلة ود هذه النسبة الهائلة من الزنوج الذين يترددون على دور العرض السينمائي .. والتي اعترف ملوك السينما في أمريكا انه من أجل هذه الاعداد المتزايدة من المشاهدين السود، أصبح من الممكن صنع أفلام خاصة بهم .. يخرجها زنجي .. ويمثلها زنوج .. وتدور موضوعاتها حول المسائل التي تهم الزنوج .. !!

وهكـــذا ....

انتهت حقبة السبعينات بهذا الاعتراف الصريح في الفن .. بعد رحلة طويلة بدأت مع بداية ظهور السينما الصامتة !!

رحلة مثيرة ومؤلمة في نفس الوقت .. فيها السخرية والاهانة والاحتقار من جانب البيض .. والاعتراض والدفاع عن النفس من جانب السود، ومحاولة اثبات الوجود .. وتأكيد الكرامة

حرب قاسية بين الابيض والاسود .. في صلب بنيان المجتمع الامريكي .. انعكست على الشاشة بمزيد من العنف .. والضراوة !

والآن .. لم يعد الفرد الابيض قادرا على إنكار الواقع الفعلي .. فالسود يشكلون قاعدة متينة في الاقتصاد الامريكي .. واحتلوا أرقى المناصب، وتولوا أخطر

● بعض البيض ما زالوا يعيشون بالعقلية القديمة ويرفضون المساواة

● أول ظهور حقيقي في تاريخ السينما للزنوج الفيلم الأمريكي "مقتل الجمل"

شيرلي تمبل ترقص مع الممثل الراقص بيل روبنسون في فيلم الكولونيل الصغير

المهام التي تتعلق بالسياسة الأمريكية .. إلا أن بعض البيض ما زالوا يعيشون بالعقلية القديمة ويرفضون .. بينهم وبين أنفسهم أو يعلنونها بصراحة ـ أن يتساوى الأبيض والأسود .. فالأسود أقل درجة .. مواطن فعلا .. ولكن من الدرجة الثانية !

ويحاول البعض الآخر .. التطرف في إظهار الترحيب بالسود .. لإحساس منهم بعقدة الذنب .. ويعترض البعض الثالث بشدة .. إننا لا نعاني من عقدة الذنب .. بل السود هم الذين يعانون من عقدة الاضطهاد !!

والمسألة نفسيا .. مازالت شائكة وغير مستقرة ..

ولا أدل على هذا التخبط .. من حالة الدهشة والشفقة والانبهار .. التي صاحبت عرض مسلسل (الجذور) في أمريكا وأوربا .. وكأن مشاهدي التليفزيون .. أفاقوا لاكتشاف جيرانهم السود .. أو كأنهم محتاجون بين حين وآخر لمن يذكرهم بما فعله أجدادهم البيض في عمليات خطف الأفريقيين من ديارهم وأوطانهم .. ومهانة تجارة الرقيق .. ومعاناة النفس البشرية التي تحملت كل هذه القسوة والبشاعة لمجرد اختلاف لون الجلد !!

وها هو الجزء الثاني من مسلسل الجذور .. في طريقه للعرض .. ليتحكم العواطف أكثر .. ويحكي المزيد من هذه المأساة الإنسانية !

مرحلة السينما الصامتة

والزنوج ظهروا في أول أفلام السينما الأمريكية .. مع أول عروض سينمائية قدمها (توماس إديسون) !

ويسجل تاريخ السينما .. ظهور الزنوج في أفلامهم .. (الرجال الثلاث الراقصون ـ ١٨٩٤) و (رقصات الزنوج ـ ١٨٩٥) و (الراقص الأسود ـ ١٨٩٧) .

وفي تلك الفترة .. دخلت شركة سينمائية أخرى تنافس عروض (توماس إديسون) واتجهت نفس الاتجاه في الاستعانة بالزنوج في أفلامها الصامتة القصيرة .. وقدمت فيلما بعنوان (رقصات سوداء) سنة ١٨٩٧

ومن المعروف أن تلك العروض السينمائية كانت أشبه بالاسكتشات القصيرة التي تدلل على هذا الاختراع المدهش .. ولم تعتمد هذه الأفلام على قالب درامي محدد .. وبالتالي لم يكن هناك دور للزنوج في تلك الأفلام إلا لإظهار بعض رقصاتهم المميزة .

وفي كتاب صدر أخيرا عن السود في السينما الأمريكية لمؤلفه (جيم بيتس) قال تعليقا على هذه المرحلة :

(كانت أفلام الزنوج في العروض السينمائية الأولى .. مفيدة .. ليس فقط من الناحية الترفيهية والتي كانوا يقومون بالنصيب الأكبر منها .. بل أيضا .. وهذا هو المهم .. كانت مفيدة للتعريف بهم) .

وما يقصده المؤلف بالطبع .. هو التعريف بوجودهم على الأرض الأمريكية !

والبدايات لا يمكن التركيز عليها .. أو إدخالها ضمن إطار تطور دور الزنوج في السينما الأمريكية .. فالبدايات كانت مرحلة تجريب لهذا الفن .

ولكن مع التطور الذي صاحب صناعة السينما .. ومع أوائل القرن العشرين بدأت


محمد علي كلاي وفيلم الاعظم

تظهر بالفعل افلام يقوم فيها الزنوج ببعض الادوار.

وللاسف .. كانت غالبية الادوار لا تتعدى حدود الشخصيات التافهة التي تعبر عن مفهوم البيض من أن هؤلاء السود .. بشر أقل قيمة .. أقل ذكاء .. وأقل انسانية .. وبالتالي لا يصلحون إلا في أدوار الخادم المطيع .. أو المهرج الذي يملأ الصفحات .. أو هذا المتوحش الهائج الطباع عامل السكين !!

والغريب تماما أن أفلام تلك المرحلة من السينما الصامتة بالرغم من أنها كانت تعتمد في بعض أدوارها على الشخصيات الزنجية .. إلا أن الممثلين كانوا من البيض (!!) يلونون وجوههم باللون الاسود ويبالغون في تحديد ملامح الفم والعينين باللون الابيض تأكيدا في الشخوص والسخرية !!

وفي عام ١٩١٥ ظهر أول فيلم سينمائي يحترم شخصية الزنجي .. ويقدمها داخل اطار انساني صادق .. كان هذا في فيلم (مولد أمة) للمخرج الامريكي العظيم (ديفيد جريفيث) الذي تناول في فيلمه الحرب الأهلية الامريكية

كان الفيلم صامتا .. ولكن اعتبر في وقته معالجة فنية مذهلة على امكانية التعبير بالسينما .. وما يمكن أن تتناوله من موضوعات .. ومازال هذا الفيلم حتى الآن يمثل قيمة فنية رائدة .. ويعتبر أول بداية حقيقية للسينما الامريكية ذات المستوى العالمي

واطلق على المخرج (جريفيث) لقب المعلم الاول ... التي ... ... الفنية التي ... ... والتقنية الرائدة ...

● وتنطلق السينما .. بمغن زنجي !

وبشاء الظروف أن يكون أول فيلم ناطق في تاريخ السينما .. هو الفيلم الامريكي (مغني الجاز) الذي يحكي قصة هذا المغني الزنجي في محاولاته للشهرة والنجاح .. ولم يكن هذا المغني الزنجي إلا الممثل المغني الابيض (ال جولسون) الذي لون وجهه باللون الاسود وحدد عينيه وفمه باللون الابيض !!

ويسجل تاريخ السينما يوم ٢٣ اكتوبر عام ١٩٢٧ كميلاد للسينما الناطقة .. بعرض هذا الفيلم .. ولكن هذا الفيلم لم يتميز بأية قيمة سوى أنه ناطق ..

واشتهر هذا الممثل الابيض (ال جولسون) بأدائه لدور المغني الزنجي .. ويتوقف مؤلف كتاب السود في السينما .. ليعلق على طابع هذا الممثل واستخدامه المكياج الاسود لطلاء وجهه .. فيقول :

(في الافلام الصامتة .. كان هؤلاء البيض خلف اقنعتهم المدهونة بالسواد ، وبحركاتهم السلاجة .. كانوا يؤمنون حقيقة بأنهم اصبحوا زنوجا .. وكانوا يقطعون ذلك بطريقة مريضة .. أما الممثل ال جولسون فلم يكن موهما بتقاليد الزنوج .. ولكن كان يستلهم سيرة الوجه الاسود لاسباب درامية خاصة بدوره .. وكان يبدو كمهرج في سيرك اكثر من كونه زنجيا مزيفا) !

اول فيلم حقيقى عن الزنوج

وبعد أن نطقت السينما بعامين .. أي في عام ١٩٢٩ .. ظهر فيلم (هاليلويا) للمخرج الامريكي (كينج فيدور) .. واطلق على هذا الفيلم .. الفيلم رقم واحد .. الممتاز .. عن الزنوج في السينما الناطقة

ويأتي هذا الفيلم ليسجل مرحلة اخرى تالية لفيلم (مولد امة) حيث تفتح تكنولوجيا الصناعة السينمائية بعدالة الدلالة لقضية الزنوج في المجتمع الامريكي وتدور احداث فيلم (هاليلويا) في مزرعة قطن بالجنوب الامريكي .. مع التركيز على حياة الزنوج ومشاهم الداخلي المتمثل في جو من الغناء الفولكلوري والرقص والصلاة .

واشاد النقاد بهذا الفيلم .. خصوصا الرؤية المخلصة عند المخرج (فيدور) في تقديمه زنوج الجنوب في شخصيات اصلية تعيش بالمشاعر .. ويظل هذا الفيلم يحتفظ بمبادرته في تقديم الزنوج بشكل مشرف وصادق .. حتى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الثلاثينات والاربعينات .. حيث عادت السينما الامريكية الى مفهوم الرجل الابيض في تقديم السود في قوالب سلفية وشخصيات متهافتة .. كالخادم التقليدي .. او المهرج الذي يملأ الصفحات

النجم الذى ابتلعت نجوم السينما

وفي كتاب صدر في امريكا في اوائل السبعينات بعنوان (ثلاثون عاما من الضياع) يقدم مؤلفه (ابريل بيتنتي) فصوله عن الزنوج الذين ضاعوا فضيتهم .. ومن بينهم الممثل الفنى الشهير (بول روبسون) .. حيث كانت لنذر هذا الفنان كل الفرص المتاحة للدفاع عن حقوق السود خصوصا وزملاءه الفنانين الذين كانوا يتعاملون مع المؤسسات الامريكية سواء للسينما او المسرح او التسجيلات الغنائية .. ولكنه لم

يفعل شيئاً .. بل كان موقفه ديناميكا ..

يبقى بشدة طريقة معاملة هوليود للسود وفي نفس الوقت يشترك في افلام ضد السود !! كما حدث مثلا في فيلم رمال الشاطئ (١٩٣٥) حيث لعب دور الامريكي الخائن .. وكان عذره ان قصة الفيلم حكيت له ـ قبل أن يبدأ التصوير ـ بطريقة توحي بانها فرصة لاظهار ثقافة ومواهب الافريقيين .. وبعد أن مثل الفيلم على لمشاهدته .. فوجد انه يشترك في مهزلة تبارك الامبراطورية والاستعمار الانجليزي وبالرغم من ذلك لم يستطع أن يهاجم الفيلم !! .. بل ظهر بعد ذلك في ثلاثة افلام انجليزية من نفس النوع الذي يستغل غناء الافريقيين وثرواتهم (القبلة الحرية عام ٣٧ ـ الرجال السوداء عام ٣٥ ـ كنوز الملك سليمان عام ٣٨ ايضا) !!

وبالرغم من أن (بول روبسون) كان نجمة محبوبا ومميزا غنيا وشخصية مليئة بالحيوية .. إلا انه للاسف لم يستطع أن يحمي نفسه .. أو يحمي زملائه السود (الثلاثة مثله صناعة السينما في امريكا) !

تعادل الابيض والاسود

ومع فترة الخمسينات بدأت تظهر بوضوح الافلام التي تعرض لمشكلة التمييز العنصري .. وغالبا كانت القصة تدور حول الانسان الاسود وهو يدافع عن وجوده وكرامته من بين انياب الانسان الابيض لغة الاثارة والعنف كما ارادها صناع السينما .. ولكنها لغة محسوبة بحسابات دقيقة .. وبميزان لا يسمح بان يعطى للسود اكثر مما يريد البيض

ويبرز في تلك المرحلة فيلمان على قدر من الاهمية :

الفيلم الاول (خروج من القيمة) للمخرج ريتشارد بروكس ـ عام ٥٧) .. والذي يصور فيه كينيا تحت الاحتلال الانجليزي .. ويقدم فيه شخصية الزنجي الباحث عن وضعه الاجتماعي والباحث ايضا عن ذاته

الفيلم الثاني ـ المخرج (ستانلي كرامر) والذي ظهر في عام ٥٨ بعنوان




سيدني بواتييه (ممثل ومخرج)

مرح السود .. لقطة من الفيلم الامريكي (غسيل السيارات)

(حطمت قيودي) حيث يتخلى شخصية الزنجي الطيب المدافع عن نفسه .. ويقدم شخصية الزنجي الواثق من نفسه .. الحقيد ضد كل ما يمس كرامته .. والقوي من اقدامه لانسانيته ومكانته .. هذه الشخصية تقابل شخصية الابيض .. الحاد الطباع .. الكاره للزنوج .. ويضع المخرج هاتين الشخصيتين المتناقضتين في قيد حديدي واحد .. هاربين من السجن .. باحثين عن الحرية .. والعلاقة بينهما تتطور حتى تصل الى لغة مشتركة من التفاهم .. والانسانية وربما كان هذا النسيج الدرامي من النوعية النادرة في الافلام الامريكية حيث يتعادل الابيض والاسود في الموقف !

وقد لعب بطولة الفيلمين .. الممثل الاسود البارع (سيدني بواتييه) .. في الفيلم الاول امام (رود ستيجر) .. وفي الفيلم الثاني مع (توني كيرتس)

اشهر ممثل اسود

والممثل (سيدني بواتييه) يعتبر من اشهر الممثلين السود .. فقد ارتبط اسمه بعدد كبير من الافلام .. وربما كان افضلها في فترة الستينات .. وأواخر السبعينات

[illegible] الفيلم الموقف على الشخصية (بطل التحدي) الذي [illegible] المرموق مهنيا الذي يستخدم عقله وذكاءه وحكمته بعكس شخصية مأمور البوليس (لعب الدور الممثل رود ستايجر) الذي يفكر بعضلاته

وقبل هذا الفيلم .. كان قد حقق سيدني بواتييه نجاحا هائلا في فيلم (الى استاذي مع حبي) عام ٦٦ .. عن اخراج (جيمس كلافيل) حيث قدم قصة المدرس الزنجي في مواجهة طلبته الذين استثارهم اول وجوده فيها ان يحتكوا به ويعزلون عنه وهو يبادلهم بالمنطق حتى كسب البطولة

وفي نفس العام ٦٦ .. عاد المخرج (ستانلي كرامر) صاحب فيلم (حطمت قيودي) ليخرج فيلما اخر عن الزنوج والتفرقة العنصرية .. عن بطولة سيدني بواتييه (ايضا الذي يلعب دور الشاب طبيب يقع في حب فتاة بيضاء والدها صاحب جريدة وطالما كتب مطالبا المساواة بين الابيض والاسود .. ولكنه عندما يقع شخصيا في مأزق ان شخصا اسود يطلب الزواج من ابنته .. يكون ويفقد السيطرة على نفسه ويتناول الشكل هذا الزواج (لعب الدور الممثل القدير سبنسر ترايسي) فالكلام سهل .. والفعل صعب

والاصعب ان يتخلص الابيض من عقدة احتقار الاسود .. اسلافا اقل قيمة ! وكان هذا الفيلم (خمن من سيأتي للعشاء) الذي حصل على ثلاث جوائز اوسكار عام ٦٧ .. كأحسن فيلم .. واحسن سيناريو .. واحسن ممثلة (كاترين هيبورن) التي مثلت دور الام .. في مزيج مدهش من الغضب والحيرة وقبول الامر الواقع .. وفي احد مشاهد الفيلم تقول لزوجها في اسف وسخرية : (ان ابنتنا تصرفت كما ربيناها على الحرية والمناقشة .. كنا دائما نجيب على اسئلتها .. ويقطعت قلنا لها .. انه لا معنى اطلاقا ان تنظر الى الزنوج نظرة مختلفة .. انه لا فرق بين الاسود والابيض والاصفر والاحمر .. قلنا لها ذلك .. واقتنعت !) .. وبدأت تعامل الحياة على هذا الاساس ويبدو انه كان لابد ان نضبط .. (ولكن حذار ان تقعي في غرام اسود الزنوج !!)

سنوات الانطلاق

واذا كانت مرحلة الستينات .. تمثل (سنوات التحضير) بالنسبة للسينما السوداء .. فان مرحلة السبعينات .. تمثل (سنوات الانطلاق) .. حيث اصبح في مقدور صناع السينما الامريكية تقديم السود في صورة افضل وباقل قدر من الحساسيات .. بل وصلت مغازلة صناع السينما للسود الى مرحلة تقديم السوبرمان الاسود .. وجيمس بوند الاسود .. وظهرت افلام تتخيل صورة اول رئيس اسود للولايات المتحدة الامريكية .. والرجل .. فيليب .. بالسود .. كمخرجين والعبقري سيدني بواتييه اول فيلم له عام ٧٢ وظهر ممثلون جدد من السود .. ولمعوا .. وتعددت الاسماء .. والافكار ..

وهذا الانطلاق .. هو نتيجة طبيعية لكفاح السود في مجال السينما .. والفن عموما

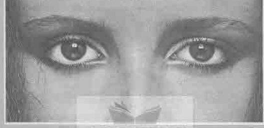
ولكن .. هل انتهت تماما عقدة البيض تجاه السود ؟!

لا اعتقد ..

رءوف توفيق

كمال الدين الحناوي

عيناها



سألت الرأي في عينيـ
ك هل ابقيت لي رأيا
كلتاني منهما أنـي
الاقي فيهما الوحيا
واني منهما أحيا
من الإعلام في دنيا
وان أمسيت ظمآنا
وجدت لديهما الريا
عما ينبوع إلهامي
ومصدر نشوتي العليا

●●●

كلتاني منهما ضوء
يتيه غيوم أشجاني
كلتاني منهما نور
بفترة عقل ووجداني
كلتاني منهما روح
تشيع بكل ألحاني
كلتاني اللتي أحيا
لأرعاها وترعاني
كلتاني فيهما سر
نعمت به واعياني

●●●

غموض فيهما يبدو
يثير الشك في نفسي
ويؤنس مرة روحي
ويوقظ مرة حسي
وفيه رأيت آمالي
ومنه بليت باليأس
فكوني الآن يا يأسي
ويبقى خلفه راسي
ـشا أحببت الاستقـ
ـرار في يومي ولا أمسي

●●●

سمعت الرأي في عينيـ
ك قد أبدعته لحنا
وهذي أنت عن قلبي
وهذي عينك الوسنى
وهذا بعض ما توحـ
ـين بأدقائي من معنى
وهل يسأل ذاك الوالـ
ـه الحيران أن عنى ؟
وقد فتكت به عيناك
حتى خلته يفنى ؟

الوفاء

قادتني ظروف الحرب الثانية لاختيار قرية في جبال الالب قريبة من البلدة الفرنسية ، مرة تويل ، لتمضية اشهر الصيف فيها اتناول طعاما مغذيا افتقر اليه في باريس لفقدان المواد الغذائية آنذاك ، والعيش في القرية تسمح لي بادخار بعض المواد الغذائية انقلها معي عند عودتي .

وهناك وفي وسط القرية ، وجدت بحب الاكاري للكلب ، فتساءلت ! ما شان هذا الكلب ؟ على الف السالة متحرجا في جو وسط الشارع [illegible] برباطة الجأش [illegible] اخرى [illegible] وكادني فضولي حيث عرفت القصة .

[illegible] صاحبه [illegible] الرجل [illegible] يذهب صباح كل يوم من قريته الى محطة القطار التي تبعد عن القرية اربعة كيلو مترات ليستقل القطار الى مرة تويل ، ليعمل في وظيفة تبعد عنه شبح الحاجة . يعود الكلب بعد سفر القطار بمفرده الى منزله ، ويعود الرجل مساء ليشعر بوجود الكلب الذي ينتظره في موعد عودة القطار دون اي تأخير ويحتفي به برقبته فيقبض على طوقه ليذهب به الى منزله في القرية .

بقي الامر كذلك يتكرر كل يوم مدة طويلة الى ان توفي الرجل فبقي الكلب ، على عادته ، يذهب صباحا الى محطة القطار بمفرده ويعود مساء ينتظر صاحبه ثم يرجع الى المنزل بعد ان يقطع الامل من عودته ، وبعد اشهر وجدوا الكلب ميتا على محطة القطار بعد ان اضيه ويئس من القطار صاحبه .

دكتور جميل محفوظة
سوريا

رد الجميل ..

كان عم عبد الله قد تجاوز الخمسين من عمره ، يظهر عليه تعب السنين ، وهمومها الكثيرة منذ ان تقع عيناك عليه لاول مرة . فدائما وجهه عابس لا يعرف الابتسامة ، وحين كنا نسأله عن احواله ، كان يجيب بكلمات قليلة مقتضبة ، ولما سألته ذات يوم عن سبب عدم زواجه ، رد علي بان قطار الزواج قد فاته .

وعم عبد الله كما يعرفه كل الناس ـ لا يملك من الدنيا سوى عربة خشبية صغيرة يحمل فيها حاجيات الآخرين ، وينقلها من مكان الى آخر ، مقابل بعض الدراهم القليلة التي يعيش منها .

وذات يوم رأيت الناس تتجمهر حول عربة العم عبد الله ، وشابا يبدو في الخامسة والعشرين من عمره ، يخيل إليك من حسن مظهره انه يعمل بوظيفة مرموقة ، إذ كان يرتدي افخر الثياب .. وكان يتكلم بخشونة مع عم عبد الله ، وتناهت الى سمعي بعض العبارات ، فقد قال : ابتعد عني ، انني ، لا اسمح لك بزيارة بيتي ثانية .. هل تريد ان تحرجني امام اصدقائي ؟ وفجأة رأيته الرجل العجوز ينهار ويصرخ في الشاب بكلمات مرتجلة ومتقطعة ـ هل هذا جزائي ؟ .. الله والدي ، وانا ابوك .. وقد رعيتك منذ وفاة والدك ، وبذلت كل جهدي لتعليمك واسعادك .. كنت احرم نفسي من الطعام لادفع لك مصروفات الجامعة .. والآن جئت لتستحي من رؤيتك ..

ودهشت كما دهش الحاضرون عندما علمنا بان عم عبد الله ابو لهذا الشاب الجاحد الذي كان يحاول ان يمنعه من رؤيته ، لانه كان يستنكف من ابيه ومهنته المتواضعة .. ثم غادر الشاب المكان بينما راحت عيون الجميع تتبعه ، وتعجبت كيف يفعل بعض الابناء هكذا بآبائهم بعد كل التضحيات التي قاموا بها من اجلهم . فما كان اجدر بذلك الشاب ان يريح اباه من عمله الشاق ، ويأخذه ليعيش معه في بيته . أليس هذا اقل القليل لرد بعض الجميل ؟!..

يوسف جابر العراق

في موسم الياسمين

أليفة رفعت

ألقى برأسه على مسند مقعده، وقطار الصعيد مزدحم يترنح به، مولعا على القضبان نحنا قلبيا.

مسح وجهه بمنديله، فازال ذرات الرمال المتطايرة، ومع ذلك ظلت الرؤية في عينيه مغبشة، تتهاوى من خلالها أعمدة البرق مع النخيل النحيل، منطلقة الى الخلف متماثلة، تتكرر بسرعة، مطلة بصفحة السماء الصفراء الغبرها تظهر كاختفاء بنفس السرعة.

يتصيد نظره بعض الصبية، يلقون بأجسامهم عرايا في شق ترعة الإبراهيمية الطويل المتعرج يبترددون في مياهه الضحلة. والوضع يشد ويلحن النسمات القليلة ليحولها الى قيظ لاهب.

الوقت رائق حالم على ثقالته، فيعبث بربطته السوداء في سأم، وهو ينظر بانتظار ذاهل الى زحمة المحطات الصغيرة التي تمر عليها القطار، يتلقى بعزاء الرجال الأشداء وهم يحتضنون بنادقهم على أكتافهم باعتزاز، فيما كالنساء المتشحات بالسواد يحملن أطفالهن محتقنا حريصة، بينما تقبع على رؤوسهن القفف الدواجن التي يتاجرن بها في الأسواق.

البرقية التي تلقاها في الصباح، في جيبه، يعرفه:

«والدك، الحاجة بالله بشرى توفي وتكرم الميت سرعة دفنه». كلمات لها ثقل الرابط في حلقه، بالرغم من أن أباه في مقام الميت نفسه من زمن طويل، منذ ذلك اليوم الذي اصطحبه فيه الى المدرسة الانجليزية في المعادي، بعد مدة من وفاة أمه.

كانت أمه تضع الابريق الفضي بين يديه كل صباح، فيهرول الى حيث يجلس الوالد على طرف سجادة الصلاة، وقد شمر عن ساعديه، ومد كفوفه فوق الطست الفضي الصغير، فيصب عليهما الماء برفق وفي عينيه نظرة اكبار لأبيه وهو يتوضأ، ثم يعود يصب الماء على قدميه وقد نزع عنهما الجوارب. لا يذكر انه خالف أباه مرة، حتى عندما ضلله وخرج به الى حيث الرجال، فرشه على صهوة الفرس وهو يشعد مفتخرا بعقله.

حتى احتفال الزفاف، الفرس تتهادى الى موارد ... وهو يحاذر تومها، ولا تفارقه الشيك الذي ... ينعتق الرسغ واقتفاء الطوق فيها تموج الشعلة، وانها تلف ... المتحلقين حول الحصان ... خليفة حول خيلته في ... متدلية بينه بالشيء الطويل، فرمح به الى مخازن المصنور المتفلطحة حول البلدة، ويرجع به ... تهليل الرجال وتكبيرهم.

وحتى، منتهى، الفتاة الحلوة الكحيلة، ذات الشعر السوداء الغزيرة، حينما حضرت لتبيت بصندوقها الأحمر في هودجها على صهوة الجمل، من النجع المجاور، فحملها أبوه ودخل بها الى فراشه حيث تنام أمه من قبل، احتوها والتصق بثوبها اللامع المعطر في شبوها ورواحها بالدار، مؤنسا بها عن الوحشة الشاسعة التي قلبي منها بعد فراق أمه.

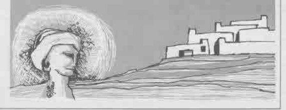
وفي غريبة بين العزيزين الاثنين اختضرت طفولته سريعا، ونجمد الحب لأبيه فتحول الى رجل رائق متحضر لا يأبه كثيرا للعواطف، وانما أصبح يرضخ كل أمر لموازين الحكمة والتقاليد، وشاع التحسن في نفسه على مر الأيام لتلك التهنئة، وهمست الليالي ذكرى حرائقها في جنباته.

ولما كبر، كان يقوم بواجب الزيارة كلما رزق والده بمولود جديد، حتى لا يقال عنه انه يضيق بالأخوة الذين سيتقاسمون معه أراضي أبيه، وحين افتتح مكتب المحاسبة، ندرت زيارته لانشغاله بعمله، ثم انقطعت الزيارات بعدما تزوج من زميلته التركية، توجا هقم طويجى، يومها أرسل برقية لأبيه يقول: «تزوجت الليلة».

وقابل الوالد الخبر المفرح بالصمت، وحين رزق بطفلته بعد صمت بالخبر السعيد لأبيه، فقطعه الصمت بتكرر ببرقية يقول فيها: «اسموها ياسمين».

وانقلبت زوجته على مر الأيام متأففة، يغلب عليها لأخرينة قومها، فتحملها صابرا، حتى اليوم الذي صرخت فيه:

«أنا... توجا هانم طويجى يصيح أسمي مدام



تمشي ؟ »

وبهدوء رهيب قال لها :

« ارجعي البيت »

فحملت ابنته وذهبت لبيت طوجي بغزالة ، وبقي هو في شقته بقلب القاهرة لا يشكو بوحدته ، أغلقها ليكسر ألمها الشديد ، فركبت رأسها ولم تعد .. ولم تفكر في زيارة البلد فقد طوته دوامة أعماله ، واليوم ربما تنقطع الصلة بنفس الأهل بعد موت الأب ، فيبقى بغير جذور .

توقف القطار بمحطة « نوش » مركز بلدته ، فتناول حقيبته التي دس بها مع متعلقاته الكفن الذي اشتراه قبل أن يغادر القاهرة ، التفت تاكل وجهه أن لم يأت بالحرير الأبيض والأخضر والشال الكشمير ، ويحتمي ثوبه ... في جيبه ... من مدخراته بالبلد ليقوم بواجبه .

نزل من القطار ، فتلقفته أيدي الرجال تحت فيه العزاء ، قرغلي الذي كان يسرق ... السيدة ... زوجة ... فيجنبها بمساندته وهو صغير وأصبح ثانيا من الفلاحين ، فلواد في احتضانه بداخل عباءته القالبة وهو يتمتم :

« البقية في حياتك يا أستاذ حسان »

زم بعينيه وهمهم بشفتيه بكلمات مبهمة ، ثم تلقفت يده كف « الشيخ جمعة » القوية ... فضغط بأصابعه الخشنة على يد « حسان » الضعيفة في استهانة وهو يتولاه ... قائلا :

« الحر شديد يا رجالة وحرام علينا الميت نتركه للقيالة »

فانطلق « حسان » على صهوة « عنتر » والشمس ... جامحة على رأسه العارية ، والرجال يتحدثون على ركائبهم ، وقد أرخوا شيلان عمائمهم ، تحجب عنهم وقدة الحر .

رفع بعينه جريدة الصباح قد يفعل بالقاهرة ، ثم عاد فرد هاجانبا ، حتى وجد ... بنات ... الفلاحين والقلت يحملق فيه وهو يمر بينهن .

لفحة الهواء الساخن المحملة بعطر اليفسين ... والتصق رائحته ... ذرات الرمال المتطايرة ، فتتوغل في الصدور وتحشرج الأنفاس على مر الأيام ، حتى تسبب السعال المزمن لأهل الناحية ، وما تكاد تهدأ حتى تدور الأيام ويهل الموسم التالي .

عوقد نجا من الداء ساقته في القاهرة ، ولكنه يسعل بشدة بمجرد استنشاق الغبير ، سالت دموعه مع السعال حتى احمرت عيناه واشتعلتا ، وعنتر يجري به على الجسور بين الحقول ، حتى توقف أمام السور الحجري الذي يحيط الدار .

قال الشيخ « جمعة » :

ـ تصريح الدفن جاهز والمشايخ حاضرين .

بمجرد دخوله علت الأصوات بالعويل من النسوة الجالسات أرضا يهلن التراب على رؤوسهن .

تقدم نحوه أخوه الصغير يحمل الطست والإبريق الفضي ليتوضأ وفي وجهه ذبول وحيرة كالتي اعترته يوم ماتت أمه .

ربت على كتفه مواسيا وتوضأ ثم دخل غرفة الميت ، ارتجفت ساقاه في هزة مفاجئة ، وهو يتقدم للسرير النحاسي حيث جثة أبيه ، نزع طرف الملاءة التي تغطي وجهه ، قبل الكفن ثم عاد يحط عليها في الحاح ، فحدق بشفقة ، جفلة وهو يحملق في وجه أبيه :

ـ السلام عليكم ورحمة الله ..

ثم ألصقها بالجبهة الباردة الشاحبة ، يقينا يسمعه الميت ، ولكنه لا يستطيع رد سلامه ، ترقرق الدمع في عينيه بنظرات ... لها أبعاد الحوائط وبدت متراقصة في عينيه اللوحة المكتوب عليها الآية القرآنية بخط كوفي كبير فوق الفراش .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. صدق الله العظيم »

علت أصوات المشايخ بالذكر ، ترتل أسماء الله الحسنى ، تقدم « الشيخ عبد المقصود » الحانوتي فنزع الجلباب الأبيض وفك من حول الخصر حزام جلد الثعبان الأسود الذي كان يتمنطق به الحاج وقد أهداه ... بعدما ... الرعب طويلا في « ... » .

... « الشيخ عبد المقصود » ... في ... ورقات ... الميت ... هذا ... بالماء ...

... الشيخ ...

« اللهم ... »

... « حسان » على العصابة وبيد كانه حين الماء على الرقبى والجسد الذي يملكه ، « الشيخ عبد المقصود » بالصابون .

وعندما علت الأصوات بالقرآن التفوا للميت بملابس الوضوء ، ثم جففوا الجسد ، ...



الكفن بحرير حل أحترت له العيناب ، « حسان » ولكنه تماسك وهم يكبلون الأثواب ويلفونها على الجسد ويربطونها على ساقين وعلى قمة الرأس بإحكام ، فرفعوا غطاء السرير في داخل النعش الخشبي وأرقدوا الجثة عليه ثم غطوها بالشال الكشمير .

● ●

دخل « الشيخ جمعة » فعلا الفراش النحاسي وأصوات النساء تعلو بالعويل ، وارتفعت بدون صرخة حادة ، لا شك أنها صدرت من الأرملة المفجوعة ، فالسرير النحاسي قد نصب منذ زواج « الحاجة » بأبيه الأول ، وأسلمت الروح عليه « أم حسان » فتزوج بـ « منتهى » ووضعت عليه أولاده الآخرين ، ولكن بموت سيد الدار لابد للسرير أن يزال ، ولا يقام مرة أخرى إلا بعد انقضاء مدة الحداد .

شعل « حسان » في حدة وعبق البخور يهيج حساسية أنفه حتى سالت الدموع من عينيه غزيرة مرارة ، فطاف على وجهه بمنديله متجلدا ، وتقدم يحمل أحد ذراعي النعش الأماميين مع « الشيخ جمعة » الذي تناول الآخرين ، وحمل الخلفيين رجلان من الخلصاء ، فسندوه على أكتافهم ، وخرجوا للفناء .

طرح « حسان » كلاك الدهاليز فحل جلبوس نهد النعش ، وجرى على عاتقه متين ، حكمه ، الخشب ، فتدافق الدم غزيرا على الرمال الحارة المتوهجة فداء للميت .

تخطى بركائبها الرجال حاملين النعش خارج السور الحجري والتفت مسيرة الجنازة صفوفا وراءهم .

أسرعوا بالنعش يهرولون وهم يجأرون بشهادة التوحيد في صوت أجش ، وهرولت النساء وراءهم مدثرات بالشحة التي تنسدل على أجسادهن كالخيمة ، لا تظهر منهن سوى بريق العيون .

كانت الشمس قد حلقت كبد السماء ، ومازالت ترسل بشواظها على الرمال ، فتنفذ سخونتها لاسعة من خلال النعال .

اجتازوا دروب القرية ، وهبطوا مع تعرجاتها إلى حيث المسجد الوحيد ، بمتوسط الطريق المؤدي إلى التل الآخر الذي تقوم عليه القبور المتهالكة ، صفوفا في سفح الجبل .

خلعوا النعال ، ودخلوا بالميت فوضعوه في المحراب ، كبروا سبع مرات وأقاموا صلاة الجنازة ، ثم عادوا لحمله والسعي به وهم يهرولون إلى المقبرة ، وقد أعدها الحفار فتح فوهتها وأزاح التراب من مدخلها ، وأزاح الميتين القدامى ، فلملم عظامهم وصرها في اللفائف البالية ، ورصها بجوار الحائط الداخلي المطلي بالجير ، وفرش الرمال الناعمة مخلوطة بالحناء ، استعدادا لرقدة الميت الجديد .

أنزلوا ثقل التابوت على كتفهم ، وهم يرطقون لاهثي الأنفاس ، تكاد تنخلع منهم الأكتاف ، كأن الميت يقاوم تهيبا من القبر ، حتى ملأت بهم ناحية البيوت برأس النعش ، مسرعتهم فتقدموا

قصة

في موسم الياسمين

بخطوات جلفية ، وعيدان الأزهار الحواشي المزارع تلفت بخارا أبيض يزيغ النظر ، وراء ثرارات حمر تنفصل عن تحلق الشمس الحامية ، انغضوا الأعين المكدودة حين وصلوا للقوحة المفتوحة بعد ما وضعوا النعش أمامها .

وضع ، الشيخ حمد ، مقصا صغيرا في يد حسان ، وهو يقول من بين أسنانه :

- يلا يا رجال الرواجبة ، قصقص الكفن لكي لا يسرقه النجس حرامي الترب . فما طعما ما يقع في أيدي الا الشقة مقتجرة التي جار المسجد . .

ثم بصق على الأرض يعلن اشمئزازه .

امسك ، حسان ، المقص بيد مترنحة ، وهبط وراء الجثة الى ظلمة القبر الرطب . تملكت جسده رعدة شديدة وهطل العرق من وجهه حتى بلل صدر قميصه ، وصوت مجموعة المقرئين يعلو بترتيل القرآن بسرعة وكأنهم على موعد مع آخر .

مرقت سحابة من بين قدميه ، وبرقت عيناها ثم اختفت في الظلام . جثا على ركبتيه بجوار أبيه وقد بدم بالمقص وراح يقطع في الكفن وكله حرص على ألا يمس سن المقص جلد جثة الميت العزيز . ربت على كتفه الحفار وهو يتمتم :

- قوم يا شيخ ربنا يستر . .

فنهض ، ومشى خلفه متراجعا بالهزة وهو يلقي السلام حتى خرج الى النور . وقف في وسط الرجال حتى أتم اللحد مهمته ، فأهال التراب على القوحة وسكب عليها الماء ، ثم روى شجر الصبار المجاور لها .

كانت الشمس الآن معلقة على قرن الجبل ، بدت القبور متشابهة مع البيوت المتناثرة في غبشة الغروب ، وصاح قائل :

- وحـــدوه . .

فجأر الجميع بصوت عميق :

- لا اله الا اللــــــه . .

وقال اللحاد :

- كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . .

والقى ، حسان ، في يد اللحاد بعض النقود خفية ، واستدار راجعا فتبعه الحشد الى فناء البيت .

* *

جلس الرجال على المقاعد الخيزران المرصوصة لتوضع فوق رؤوسهم الطربوش ، تدور عليهم فناجين القهوة كما أزيح الأحاديث عن ترتيل سورة ، يستمعون اليها في خشوع ويتريحون على الوقع ، حتى اختتم المقرئ تلك الليلة بالفاتحة فكانت ساعة انصرف الرجال ، فتبقى الرجال تلاوة كل منهم لقطعة كان يتلوها في المبيت .

قال الشيخ حمد ، وهو يربت على كتف حسان بنظرة جانبية ، انه يرجو ، كان ايضا ، الى الجميع . وكان الجدع خليق بالمواجب .

أرد عليه ، فرقاني ، وهو يهدهد كتف ، حسان ، ليصد عنه الشر :

- المخيفة كثير يفوى ! لكن ميرنه ، إنه كان يميل بوجه على الرملة ، ويقول فلان الفلاني على الجسر الفلاني وحاولوسل بعد قد كذا ، ويقطع كلامه زي الجنيه الذهب . .

طأطأ ، حسان ، برأسه في صمت وأسى ، ربما يعرفه هؤلاء الرجال خيرا مما عرفه هو ، ولكن ، لم يكن هو المتسبب في الجفوة بينه وبين أبيه ، أخرج من جيبه حفنة من المال ، يدفعها في يد الشيخ حمد ، وهو يقول بصوت قاطع :

- اصرفها على الطلبات ، الليلة كلها على حسابي الخاص .

ومدت على الطبلي صواني العشاء تحمل فاخر الثريد المرصوص عليها قطع اللحم المسلوق فقام ، حسان ، يدعو الرجال اليها ويزيدوه بعضها بشهوية منتظرا حتى انفض الجميع فأطفأت الكلوبات .

دخل البيت يجتر غربة في وحشة ، يمر بين النساء اللائي على الحصير متشحات بالسواد ، وقد أنهكهن كثرة الصراخ والعويل . انتفضت من على الأرض بينهن خيمة سوداء تحركت تجاهه ولاحت من خلال فتحتين صغيرتين عينان مدميتان مطرحتان عرف فيهما عيني ، منتهى ، زوجة أبيه . فأبرزت يدها بمفتاح وهي تتمتم بصوت نابح من كثرة ما بكت :

- الحاج الله يرحمه سلمني مفتاح الخزانة أمانة أوصلها لك . .

التقط المفتاح وهو يتمتم :

- شدي حيلك . .

مرق الى مكان الخزانة التي يعلم موضوعها منذ طفولته فأدخل المفتاح بها وجذبها إليه .

زاغت النظرة المحلقة في المياه اللامعة نجوما صغيرة على أرض الغرفة المتخلفة من غسول الميت .

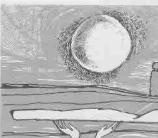
عثرت يده برزمة أوراق مالية ضخمة ، وورقة مدون بها أسماء من رصد من الجنيه المبلغ .

توقف نظره عند اسم ابنته ، ياسمين ، مذكورا كواحد من أسماء الورقة . غامت الكلمات فجلس على حافة الخشبة المبسوطة على الأرض ، المعدة لتوضع مكان السرير المفاوت وما زالت بعض قطيفاته تستند بركن الجدار ، فأسند رأسه بيديه ليقاوم الدوار .

قال :

- اسموا الطفلة ياسمين . .

كان يحبها فذكرها كواحدة من أبنائه في وصيته . كان ابن يفكر فيها الحرام يطلب رؤيتها ؟



أكثر من مرة قال : «الوجا مقيم . قبل القطيعة الأخيرة بينهما !
- لازم سافر البلد علشان ابويا الحاج يشوف خلفتي ..
كانت تشيح بأنفها الأنيق فيسكت هو . كان يسكت كثيراً .
قال : الحاجة بلقه . في احدى لقاءاتها :
« السنة الجاية تحج سوا بأوله باحسان .
ثم ارتكز بمبطانية طفل عفريت حين رأى الاستياء على وجهه وهو يتلوى بين الرجال بطوله . ومرت السنون وانتهى عمر ولم يحققا الامنية . ابتسم في أسى للذكرى ودهشة تنتابه . كيف سرقتهما الايام ولم يدرياها ! انقبض في صدره شوق مفاجيء اليه . افاق من شروده على تكاثف الجمل تحوى وتردد الصدى الآفاق . هل قطعها النحس ! وترك قوقة القبر مفتوحة ؟.

ظل الدم متصاعداً الى عنقه بحزن مرير يتسقط بخلقه مختبئاً جسده كومة ملقاة على الكنبة . مهدداً متصدعا كمن ثقل على النو غلة حانية من « زجلة » الحاج الشهيرة . لم يذق طعمها أبداً . كان يكفيه وهو صغير أن يهزها «بالجحجقلة» في وجهه زاعقاً :
« العمى لمن عصا .. »
ارتعد جسده الضئيل تحت وقع الضربات الوهمية .
- الوحدة مزعجة ! الفيل في القفص رهيب ؟ يشبهك فراقه ؟ ماذا ترى في عقمك الجديد بحيلته ؟ ..
وتعول الرياح خلال خوص النخيل وهي تهيم في وحشة الضياع في افقها المجهولة ، ثم ترق النسمات فيتصاعد هديل الحمام في الابراج أعلى البيوت مرتلاً الدعاء . ثم ينتشر النور متأنياً .
ويصيح الشيخ - حماد - من الخارج :
« بالمحكة حسان المأمور بعت الجيب توصلك المحطة وفلشن على القطر نص ساعة » .
ويدخل عواد حاملاً الطست والابريق . ويدخل في أثره منتهي وسارات محلولة الشعر يجلببف ثوبها تحمل صينية الافطار .
ويخرج الى العربة فاقداً إليها متوحداً للرجال ، فتتحرك به وخلفه دوامة من التراب ، سرعان ما ملؤت عيالاً اقلقوا على النو من نومهم وتجمعوا على صوت العربة محاولين اللحاق بها يسحقهم السمراء النحيلة شافرين الذيول في اسمائهم .

البقية رفعت

مونولوجات

الفيل .. والعصفور

إسماعيل مصطفى ثامر

في لحظة رهيبة مثيرة ، حيث تتوحد جميع التفاصيل في سؤال واحد عنوانه : لماذا ؟!
كان هناك فيل عجوز يجر سنواته بصمت في دروب الغابة ، إلى كهف أجداده الموتى ، حيث يستسلم هناك إلى الموت !!
ومن بين عصافير الغابة .. وقف عصفور يرقب منظر الفيل بحيرة لا يستطيع جناحاه الصغيران أن يطيرا بها .... !!
- سيدي الفيل (بفضاح) سيدي الفيل !
- (بتثاقل) نعم أيها العصفور ؟
- هل صحيح أنك ذاهب لكهف الموت ؟!
- نعم .. لقد آن الأوان !!
- ولكن كيف عرفت .. ؟
- ببساطة .. حاولت رفع خرطومي التحية ويجلي فلم استطع .. هكذا .. !! - سيدي .. لا اكتمك خوفي من فكرة الموت ولكن اطمئنانك هذا الذي تمشي به .. يجعلني أخاف أكثر ..
- ولماذا تخاف الموت .. ؟!
- (متنهداً بحسرة) لأنني لا أستطيع أن أتصور .. أن كل ما عرفته في حياتي سيمحى من ذاكرتي في لحظة واحدة .... قل لي

مالذي يبقى من عصفور لا جناحاه ؟!
- (مبتهجاً) نفس الذي يبقى من الفيل إذا سقطت خراطيمه !!
- هل تصدق ذلك .. كيف نعود جميعاً إلى صيغة واحدة .. !! .... أليست الحياة مثالاً واضحاً على افتراقنا ؟!
- يا عزيزي .. إن أصغر شيء في الوجود لا يعدم أن يجد مكاناً واسعاً في هذا الكون ترتاح فيه احلامه ... وليس الجبل بأكبر دلالة من الحصاة على هذا الكون الكبير ....!!
- مالذي تريد قوله سيدي الفيل؟
- حدث مرة يا عزيزي العصفور .... وأنا بعد في مقتبل العمر .... حدث أن دهست زهرة كانت تقف في طريقي الى النهر .. حيث استحم .. ولم أكن أبالي بالأمر فالقصة لا تعدو أن فيلاً ضخماً دهس زهرة في طريقه للنهر
- يبدو أن القصة مشوقة !!
- تعكر بقصتنا .. المهم .. عندما كنت استحم شعرت لأول مرة بأن الماء لا ينعشني كما كانت تفعل في السابق ....
- وبعد ..
- رجعت متعكر المزاج .. الى حيث تجمع العائلة .. وفي الطريق .. شيء بفيض فوق ناظري .. كل شيء صار مضبباً .. واللما .. حتى لكأن الألوان انسحبت من الأشياء .. وتلاشت .. !! وعندما وصلت الى حيث عائلتي واستقبلتني .. وجدت الجميع عابسين بوجهي .. حتى صديقتي الشجرة صارت لا ترتاح الى ظلي عندما يستند إليها ..
- وبعد .. ؟
- تمت تلك الليلة .. وفي المنام وجدت تلك الزهرة التي دهستها تقف باكية وهي تشكوني بصوت مفجع ...
- تشكوك لمن .. ؟!!
- إلى فيل لم أر نهاية له .. أكبر من تصوري .. المهم كنت أقف أمامه وأنا لا أجرؤ على النظر إليه .
- هذه القصة عجيبة .. أكملها بحياتك ..
- حاولت أن أدافع عن نفسي بأنني لم أرها عندما دهستها .. تصور مالذي واجهني به .. ؟ لقد قلت بأن علي شيء في الوجود إلا وسمع صراخها وهي تستغيث مني .... الا أنني أنا الوحيد الذي لم اسمعها .. تصور !
- وكيف تخلصت من ذلك .. ؟
- نظرت الى الجميع فوجدتهم يشهدون معها ضدي .
- غريب .. رغم أن الحفيف الحفيف .. يصل إلى النية الكثيرتين .
- لقد فقتني أن الزهرة تتحدث عبر أريجها ...
- صحيح .. ذكرتني ..
- المهم .. انتهت القصة .. بعد أن تعهدت أمام ذلك الفيل الذي لا نهاية له أن لا أدوس زهرة في حياتي أو أن أتجاهل صرخة كيفما كانت لغتها .... !!
- وانتهت القصة .. ؟!!
- لا .. لأنك لم تسألني عن الغريب ما فيها .
- هات .. قل لي .. إنني لم ألحظ غرابة الأمر !
- الغرابة جاءت .. بعد النهاية .. قبل أن أصحو في آخر الحلم .. وجدت الزهرة التي كانت تشكوني بفتنطاري لأرافقها الدرب .. وعند ذلك سألتها سؤالاً خطر في بالي .. قلت لها .. كيف خطر لك ذلك الفيل الذي لا نهاية له حتى تشكوني إليه ؟
- فأجابتني بسذاجة .. ولكنني لم أشكوك إلى فيل كبير لا نهاية له .. من أين جئت بهذه الفكرة .. هل أنت تحلم .. ؟ لقد شكوتك إلى الزهرة التي لا نهاية لها .... ولا حدود .... ألم تكن تقف معها .. هل نسيت .. ؟!
- هكذا .... ؟!!
- وعند ذلك .... تابع الفيل دربه إلى حيث يستسلم قرب أجداده للموت .. بينما ارتفع العصفور محلقاً بجناحين قويتين .. يبحث عن ذلك العصفور الذي لا نهاية له ولا حدود ..

اسماعيل ثامر

«كاسك ياوطن»

● أمنية إنسان بسيط في حالة صغيرة يغنيها «الحلام» رمز المستقبل



قدمت فرقة تشرين المسرحية السورية عرضا مسرحيا على مسرح سينما الخليج باسم «كاسك ياوطن» من تأليف الشاعر السوري «محمد الماغوط» بطولة واخراج الفنان السوري «دريد لحام» الذي يعد من أهم ممثلي الكوميديا في سورية منذ أن صعد على خشبة المسرح ليقدم أعماله التي كان من أشهرها: «عقد اللولو، مرايا، ضيعة تشرين، غربة ...».

ومسرحية «كاسك ياوطن» تحلل قصة بعض السلبيات الاجتماعية والثقافية والانسانية في أسلوب فكاهي ساخر لاذع من خلال بعض اللوحات الدرامية المطروحة في ساعتين متواصلتين. وكانت المسرحية مكونة من عشر لوحات متواصلة استغنت عن لوحتين عند العرض ويبدو أن هذا أثر كثيرا على بنائها الدرامي.

يفتح الستار عن محطة اذاعية «تسمي .. غرب كارلو» وتقدم ضمن برامجها الفنية الثقافية الكثير من المواد والخدمات الاذاعية في مجال الادبية والمسلسل والاعلان والموسيقى والطير، ولكن سرعان ما يأخذ المطرب الاذاعي الميكروفون من مذيعة البرنامج ويقدم نفسه في أناشيد حماسية تحت اسم الشكل الجديد في الغناء مع وجود بعض الاعلانات ... ولكن المذيعة سرعان ما تقدم «كاسك ياوطن» كعرض مسرحي في نفس الوقت الذي تقدم فيه مسلسلة إذاعية أطلق عليه «غوار وابنته احلام» وفي

● لوحات كوميدية عبر سلسلة من المفارقات الساخرة
● عندما يضطر الأب لبيع أطفاله في الطريق العام
● الإخراج بسيط وبعيد عن التعقيدات والرموز
● الديكور أعطى المكان والزمان كل مكان وإنسان
● القضية المطروحة على المشاهدين هي الأساس

المسلسل الإذاعي تظهر لنا لعبة عواد الإنسان البسيط الذي يأمل من الله العلي القدير أن يهبه طفلة صغيرة يطلق عليها اسم «أحلام» فقد يحقق بها أحلامه في مستقبل سعيد عندما تصبح طبيبة تداوي المرضى.

ويستمر العمل المسرحي الذي يقوم ببطولته الفرقة الفنان «دريد لحام» ويتحرك بنفسه من لوحة كوميدية إلى أخرى عبر سلسلة من المفارقات والمصادفات الدرامية ذات الهدف الساخر طارحا العديد من الهموم في مشاهد متوالية مطوعة بالنكات اللفظية المعبرة عن أنماط انسانية بصفة اللون والطعم والرائحة فلا يمكن أن نقول إنه كانت في المسرحية شخصية متكاملة دراميا.

ورغم نجاح المؤلف الشاعر السوري «محمد الماغوط» في اختياره لاسم المسرحية وفكرتها، إلا أنه فشل تماما في خلق مواقف درامية صلبة التكوين والهدف والبناء، فالموقف الدرامي لديه مهزوز وهو لا يقدم مجموعة من العلاقات الإنسانية الواقعية بقدر ما يبتعد عن التفاصيل ويلجأ إلى الأحداث غير الواقعية عندما يلجأ «عواد» في النهاية لبيع أولاده في الشارع، وبذلك نجح فقط في خلق النماذج التقليدية تتحرك على خشبة المسرح بشكل أقرب إلى الدمى بالعرائس والدمى المتحركة، وهذا يجعل الفترة على خلاف مشاهد بأكملها أمرا واردا وهذا ما حدث بالفعل.

والملاحظ أن المشاهد التسعة التي قدمت بالمسرحية مفككة البناء من حيث الوحدة العضوية كعمل متكامل، وهي لا تتضمن خطا دراميا واضحا، بحيث يعطي بعدا واضحا للمضمون....

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى مناقشة الإخراج المسرحي نكتشف أنه لم يلتزم بمدرسة أو مذهب مسرحي معين، وإنما راح يقدم أكثر من أسلوب، ويريد لحام نفسه بقول إنه لا ينتمي إلى مدرسة مسرحية بعينها وكل ما يريد أن يفعله هو أن يقدم العرض بأبسط الأشكال وأبعدها عن التعقيد، وهو لا يلجأ إلى الرمز أو الديكور الضخم، ويحرص على أن تكون للكلمة والقضية المطروحة على المشاهدين الدور والمقام الأول.

وإن كان ذلك لا يلغي قدرة «دريد لحام» منذ بداية العرض المسرحي في استغلال عواطف الجمهور، بحيث يخرج المشاهد مشحونا بشحنة عاطفية وليست عقلية، فقد طرح العديد من القضايا ولكنه لم يناقش عرض المشكلة، فقد خلط بين كثير من القضايا والمشاكل، أو على أبسط التقديرات لم يقدم الرؤى والتصورات الصحيحة لهذه المشكلات....

أما الديكور الذي قدم عبر المسرحية فلم يصور الأماكن الواقعية التي تعطي انطباعا لمكان أو زمان أو حدث، وإنما أبعدت المشاهد عن التأثر بواقعية المكان، حتى تتيح الفرصة لإبراز الحوار الدرامي المطروح فوق خشبة المسرح، ولذا فقد ارتبط مصمم الديكور المسرحي والمناظر بعرض شرائح عديدة ومتنوعة من أشكال ومجسمات ومناظر متنوعة القيمة والمعنى والهدف، تعتمد في معظمها على قصاصات الصحف والمجلات الصادرة في الوطن العربي، أراد بها أن يعبر عن تفكك الإنسان العربي وسط مقراه أمام عينيه من خلافات.

وقد جاءت الموسيقى جزءا من المسرحية بحيث كانت تزحف تحت كلمات الحوار المسرحي في سهولة ويسر وتعطي انطباعا وجدانيا للشخصيات والمواقف الدرامية...

وإذا انتقلنا لأداء الممثلين دراميا فإننا نكتشف دقة الاختيار وإن كانت المسرحية في مجملها اعتمدت على صفة الفردية، فهي تقوم على مسرح النجم الأوحد... وإن كنا نرى أن فرقة تشرين السورية أصبحت اليوم ضمن علامات الفرق المسرحية البارزة في العالم العربي كفرقة مسرح الخليج بالكويت التي أسسها المرحوم الفنان «صقر الرشود»، ولبعض الفرق المسرحية التي تركز على النقد الاجتماعي في مصر، وفرقة الحكواتي بلبنان، وفرقة الطيب الصديقي في المغرب، وعز الدين المدني في تونس.

إعلان

رقم (٢) لسنة ١٤٠٠هـ

دولة قطر / وزارة التربية والتعليم

تعلن عن حاجتها لشغل الوظائف التالية بإدارة الصحة المدرسية ابتداء من العام الدراسي القادم (١٤٠٠ – ١٤٠١هـ) (٨٠/١٩٨١م) الموافق ١٥ سبتمبر (أيلول) وبموجب الشروط التالية :

اولا : الأطبـــاء :

التخصصات المطلوبة	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
١ – طبيب اخصائي طب طبيعي	– بكالوريوس طب وجراحة. – دبلوم دراسات عليـــا فـي التخصص .	لا تقل عن خمس سنوات بعد الحصول على الدبلوم .

● الراتب الشهري لهذه الوظيفة بالريال القطري (٥٠٠٠) – (٥٧٥٠) وبراتب شهري أساسي مبدئي قدره (٥٠٠٠) ريال في الشهر .

التخصصات المطلوبة	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
٢ – طبيب وطبيـــبة (مدرسي وقائي)	– بكالوريوس طب وجراحة. ويفضل الحاصل على دراسات عليا في مجال الصحة العامة ([illegible])	لا تقل عن عشر سنوات في مجال الخدمات بالصحة المدرسية .
٣ – طبيبة امراض نساء	– بكالوريوس طب وجراحة. – دبلوم دراسات عليـــا فـي التخصص .	لا تقل عن خمس سنوات في مجال التخصص بعد الحصول على الدبلوم .
٤ – طبيب اسنان	– بكالوريوس طب وجراحة. الاسنان ويفضل الحاصل على دبلوم دراسات عليـــا في التخصص .	لا تقل عن عشر سنوات في مجال التخصص .
٥ – طبيب اللثة	– بكالوريوس طب تخصـــص اللثـــة – دبلوم دراسات عليـــا فـي التخصص .	لا تقل عن خمس سنوات في مجال التخصص .

● الراتب الشهري للوظائف المشار اليها في ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ بالريال القطري (٤٠٠٠) – (٤٧٥٠) وبراتب أساسي مبدئي (٤٠٠٠) ريال في الشهر .

– كما يمنح بالاضافة للراتب الشهري ما يلي :

(أ) علاوة بدل طبيعة عمل بمعدل (٢٠٪) من الراتب الشهري الأساسي .

(ب) علاوة بدل تنقل بمعدل (٦٠٠) ريال في الشهر .

(جـ) سلفة مقـــدارها (١٥٠٠٠) ريال لشراء سيارة ، ويسدد هذا المبلغ على أقساط شهرية .

ثانيا : فنيون بادارة الصحة المدرسية :

الوظائف المطلوبة	الراتب الشهري بالريال القطري	المؤهل العلمي	مدة الخبرة في مجال التخصص
١ ـ فني اسنان	٢٢٥٠	ـ شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها + شهادة في تخصص صب المعادن وخصوصاً في صب الكروم كوبلت	لا تقل عن ثلاث سنوات في صب المعادن وصب الكروم كوبلت والقيام بالتركيبات الثابتة والمتحركة .
٢ ـ معمل مخبري ٣ ـ مساعد صيدلي ٤ ـ فني اشعة ٥ ـ ممرض ٦ ـ ممرضة	١٩٥٠	ـ الشهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها + دراسة في التخصص المطلوب .	لا تقل عن ثلاث سنوات في مجال التخصص بوحدات الصحة المدرسية أو المستشفيات الحكومية .

● بالنسبة لوظيفة (ممرض) تقبل طلبات حملة الشهادة الاعدادية العامة مع شهادة دراسة في التمريض، اما بالنسبة لوظيفة (ممرضة) [illegible] أو دبلوم الزائرات الصحيات الاجتماعيات .

● كما يمنح بالاضافة للراتب الشهري ما يلي :

(أ) علاوة بدل تنقل بمعدل (٤٠٠) ريال في الشهر .

(ب) سلفة مقدارها (١٠٠٠٠) ريال لشراء سيارة ويسدد هذا المبلغ على اقساط شهرية .

شـروط عامة :

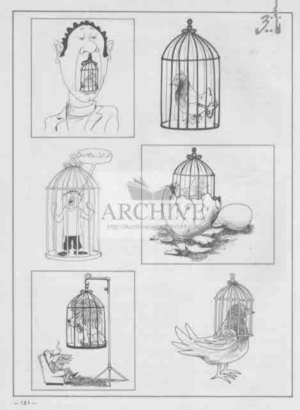
١ ـ يمنح من يقع عليه الاختيار لشغل احدى هذه الوظائف كافة المزايا المتعلقة بالوظيفة كالاجازة السنوية والسكن المجاني المؤثث بصورة مناسبة في حالة توافره لدى الدولة او علاوة بدل السكن ونفقات السفر المجاني بالدرجة السياحية له ولزوجته ولثلاث من أولاده دون الثامنة عشرة ميلادية ومكافأة نهاية الخدمة وعلاوة بدل التنقل والعلاج الطبي المجاني ، وذلك كله طبقا للقواعد المقررة بقانون الوظائف العامة المدنية ولائحته التنفيذية بدولة قطر ، كما سيتم ايضاح هذه المزايا لكل وظيفة عند التعاقد .

٢ ـ تقدم الطلبات باسم وكيل وزارة التربية والتعليم/ الدوحة ـ قطر / ص٠ب / ٨٠ ويذكر فيها : الاسم الكامل ـ الجنسية ـ مكان وتاريخ الولادة ـ الديانة ـ المؤهلات العلمية ـ مدة الخبرة والوضع الاجتماعي (اعزب / متزوج) والعنوان الكامل ورقم الهاتف (ان وجد) .

٣ ـ يلصق بالطلب صورة شخصية لمقدم الطلب مقاس (٥ × ٦) سم ، كما يرفق بالطلب صورة عن شهادات المؤهلات العلمية والخبرة ، وهي غير قابلة لاعادتها لصاحبها ، على أن يكون مستعدا لابراز الشهادات لهذه المؤهلات والخبرات فور طلبها ـ ويكتب على زاوية المغلف (طلب وظيفة بادارة الصحة المدرسية) مع ذكر التخصص بالوظيفة ، اعلان رقم (٢) لسنة ١٤٠٠ هـ .

ـ هذا وسوف لا يلتفت الى الطلبات التي وردت قبل هذا الاعلان .

٤ ـ اخر موعد لقبول الطلبات (خلال شهر واحد من تاريخ نشر الاعلان) .



حل مسابقة من . أين . ما شهر فبراير ١٩٨٠

من :
كارل ماركس
أين :
السودان
ما :
عرق سوس

١ ـ ادوارد سخاو
٢ ـ ١٩٠٦
٣ ـ ٩٠ درجة
٤ ـ كندا
٥ ـ غير صحيحة
٦ ـ كلارك ماكسويل
٧ ـ ١٩٥٠
٨ ـ في حنة العد بين الجد واللعب لأبي تمام بعد فتح عمورية
٩ ـ الأزرق والأصفر

من . أين . ما

من :
ضابط شاب خطير لعب دوراً كبيراً في تأليب العرب على الأتراك في الحرب العالمية الأولى وامتنع عن قبول وسام من دولته لتحيزها لليهود واصدارها وعد بلفور الذي كان بداية قيام اسرائيل .
اسمه مكون من ستة أحرف :
٢ ـ ٣ ـ ١ اسم حيوان زاحف
١ ـ ٦ ـ ٤ ـ ٥ عضو في رأس الحيوان

أين :
جزيرة يقال ان عصابات المافيا نشأت فيها من فلول العرب الذين قاوموا الغزو النورمندي لها اسمها من خمسة احرف :
٣ ـ ٢ ـ ٤ علا على
٢ ـ ٥ فعل امر بمعنى اسكت

ما :
جهاز من نتائج التكنولوجيا المعاصرة هو خليل العديد المستخدم يخططوا مستقبل اجيالهم في أمل من الانحلال والتدهور والضياع . اسمه مكون من ثمانية احرف :
٦ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٢ ـ ٨ يصنعون نقودا مغشوشة .
١ ـ ٦ ـ ٢ نبات ذو الياف للنسيج

الجواب الصحيح

١) ضع كلمة تاريخية قديمة تناسب كل كلمة مما يلي :
منارة ـ برج ـ سفينة ـ عصا ـ ناقة .
٢) الف ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة في القرن الرابع الهجري .
هل هذه العبارة صحيحة ؟
٣) كان الدكتور احمد زكي مؤسس مجلة العربي الكويتية، رحمه الله، استاذاً في مادة :
الفلك ـ الجغرافيا ـ الكيمياء ـ الأدب العربي .
٤) مؤلف كتاب (القانون المسعودي في الرياضيات) هو العلامة المسلم :
علي مصطفى مشرفة ـ ابو الريحان البيروني ـ محمد مرسي احمد .
٥) تحقق لليهود إقامة كيانهم في فلسطين بعد مؤتمرهم الشهير في مدينة بازل السويسرية بمقدار :
مائة سنة ـ سبعين سنة ـ خمسين سنة .
٦) معلقة امرئ القيس من بحر الشعر :
الطويل ـ الرجز ـ الوافر
٧) العلامة الدميري مؤلف كتاب حياة الحيوان كان عربيا من :
تونس ـ مصر ـ العراق ـ ونجيل .
٨) الفيل والدلفين ينتميان إلى مجموعة من الحيوانات مثل ؟
٩) في الامبراطورية الاسلامية كانت افغانستان جزءاً من اقليم :
النهروان ـ خراسان ـ سجستان
١٠) ثلاث مواد من الآتية تتكون من عنصر واحد :
الجرافيت ـ الكبريت ـ الماس ـ البرموت ـ الفحم ـ السليكون

نتيجة مسابقة شهر فبراير ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة اشهر القارئ : محمد القاضي ـ المغرب
● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة اشهر القارئ : عبد الحق محمد ـ قطر
● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك مجاني لمدة ستة اشهر القارئ : محمد علي العموتي ـ تونس

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

نبيل ابراهيم محمد جادين ـ الاسكندرية
صائب جمال سليم ـ الاردن
عمر شريف علي ـ الخرطوم
محمد لطفي الفوالدة ـ الاردن
مصطفى علي محمود ـ مصر
ابراهيم كناس ـ سوريا
احمد الحاج جلال الدين ـ السودان
عبد المنعم محمد محجوب ـ ليبيا
رياض نوري محمد الموسى ـ الاردن
مثنى موسى حمزة ـ مصر
محمد محمود حمدان ـ سوريا
احمد الادريسي ـ المغرب





مطلوب تعليق

مثل كل البسطاء يخرج في الصباح الى العمل .. فقد تعود على هذا المشوار كل يوم لادراكه بان الدنيا ارزاق .. حاول ان تكتب تعليقا من وحي الصورة

مدينة الزرقاء .. شهدت لقاءات لعدة زعماء من دول عدم الانحياز .. يعتبر رئيسها احد ابرز الزعماء الذين ساهموا في مولد هذه الحركة ..



حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ...



اسماء الفائزين

التعليق على الصورة الاولى :

● من يستخدم الناس ... وقد ... مهامهم اخيرا !!

ابراهيم احمد محسن ـ البحرين

● ولكن : من سيستمر الثاني حتى ... تعليقا لهذا الموقف !!

... ـ سوريا

التعليق على الصورة الثانية :

مدينة ... بالعراق

... ـ مصر

... ـ ...







ضع التعليق المناسب واربح ٦٠٠ ريال



اسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير وتعليق العدد ٥٥ :

البغاء : ... ان تزوجك ... ، والان لا تعطيني الفرصة لانطق بكلمة واحدة !!

... ـ سوريا

● السيد : هل حقا تستطيع الكلام ؟

البغاء : وهل تستطيعين انت الطيران ؟

ماجدة ... ـ القاهرة

● البغاء : ... من ...

انوار ...

● البغاء : ... ؟

... ـ مصر

● «لا تحمل الاسى فوق ظهرك، لانك لو عملت فوق الجسر وحدك مخترقا النهر وسط عاصفة عاتية، فالاسى موت، وغدا حياة ... والموتى لا يعودون»

«بلزاك»

● «اننا نبقى لنتعلم، ولكن عندما يجيء الوقت الذي نشعر فيه اننا قد تعلمنا، نجد انه لم يعد في العمر بقية»

«كارولين ويلز»

● «العجيب الدنيا كثيرة، ولكن اعجبها على الاطلاق هي الانسان نفسه»

«سوفوكليس»

● «نحن لا نستطيع ان نتوقع من ارنب صغير ان يصنع منه الاسود»

«اديث شتاين»

● «انني ازعم – بالوء – اني اعمل من اجل شيء كهذه الايام لاضعها امام من احب، ولقد امضيت حياتي كلها اعلق – بجنبي – هذه الكبد»

«انجيلا تريكل»

سعاد بعراوي المحمدية – المغرب

تأمين

الاول: سيارتي ٢٠٠ التي اشتريتها من تعويضات التأمين التي حصلت عليها بسبب السرقة، وانت من اين اشتريت سيارتك؟

الثاني: لقد اشتريتها ايضا من تعويض التلفيات حسب غسال الحريق..

وابتعد بعد قليل ..!

– وانت قبل ان كيف استطعت ان تحصل السوق؟!

سيد آدم
السودان



لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء هشام مصطفى عبد الله – الأردن

تقاليد عن الزواج

العريس المنتظر

الشخص الراغب الزواج في اقليم بوسنيا بوسط يوغسلافيا يعلن بطريقة مهذبة للفتاة ، فهو يدخل الى حجرة [illegible] في منزل الفتاة حيث يتناقش موضوع الزواج وامكانياته المادية ، وفي آخر المطاف تقدم له القهوة .. فاذا كانت محلاة بالسكر فهذا يعني انه مقبول كعريس .. واذا قدمت القهوة سادة .. فهو العريس الذي عليه ان يبحث عن عروس اخرى !!

تقليد غريب

في مجموعة جزر [illegible] الاطلنطي تقليد غريب فالفتاة التي تصل الى سن الزواج تضع خلف اذنها اليمنى وردة حمراء ، وبذلك اذا كانت ترغب في تلقي عروض الزواج ، اما اذا وضعتها خلف اذنها اليسرى .. فمعنى ذلك انها لا ترغب في الزواج او انها خطوبة او متزوجة ..!!

الكوتشينة العجيبة!



اوراق الكوتشينة مصممة حسب ارقام تقويم السنة على النحو الآتي : في السنة اربعة فصول وانواع الكوتشينة اربعة وفي كل فصل ٣ شهور وفي الكوتشينة ثلاثة انواع من الصور ، في السنة ١٢ شهرا وفي الكوتشينة ١٢ صورة .

في السنة ٥٢ اسبوعا واوراق الكوتشينة ٥٢ ورقة ، في اليوم ٢٤ ساعة وفي الكوتشينة ٢٤ نقطة في ١٢ صورة كل اثنين منها في صورة ، في كل يوم ليل ونهار وفي الكوتشينة لونان اسود واحمر في الشهر ٣٠ يوما في مجموع الارقام الزوجية ، في الساعة ٦٠ دقيقة في مجموع الارقام الزوجية الحمراء او السوداء .

عماد الدين موافي
مصر الجديدة

العكس تماما !

سأل الشاب الفتاة التي يريد ان يتزوجها بعد ان زار اسرتها في اليوم السابق :

ـ والآن ما رأي والديك في شأني ؟

قالت الفتاة : لا ادري ..

قال : كيف .. اليس لهما رأي ؟

قالت : المسألة ان ابي لم يصرح بعد برأيه وامي تنتظر ما سيقوله ابي لتقول عكسه تماما !

بقالي عبد الحكيم
الجزائر

نصيحة للزوجات

يجب على الزوجة ان تكون كالساعة الدقيقة في مواعيدها في البيت .

كالسلحفاة [illegible] بيتها لا تبارحه .

كالصدى تجيب على كل ما يوجه اليها من حديث .

ـ ولكن يجب ان تختلف عن الساعة في اسماع صوتها لاهل المدينة كلها ، ومن السلحفاة في حمل كل ثروتها على ظهرها ، ومن الصدى في ان يكون دائما صاحب الكلمة الاخيرة .

ياسين صويلح
سوريا

رقابة من على البعد!

فرغ الزوج الذي سافرت منه زوجته من اعمال خاصة للذهاب الى الحفل الذي دعي اليه ، وادخل يده في جيب بذلته الانيقة ليجد ورقة كتب عليها :

انت الآن في كامل زينتك ، وترتدي احسن ثيابك .. قل اين تريد الذهاب ..؟

مكرم بكر
المغرب

من كل نبع قطرة
بقلم : كمال عمار
العدد القادم



الورقة الأخيرة

من جديد حول الحب والعقاب

الضجة التي ثارت على صفحات الجرائد، لم يهدأ غبارها بعد..

هناك انسان في السجن.. ارتكب جريمة بشعة.. والناس يطلبون برأسه؟.

والحقيقة انني لا اعنى في هذه القضية بالجانب القانوني لان القانون قوالب جامدة والحياة، دائما، اغنى من النظريات ومن القانون. ولكني اعنى بالجانب الانساني وبالموقف الحضاري من مشكلة الجريمة والعقاب. منطلقا في ذلك من مفاهيم علم النفس، مفاهيم الربع الاخير من القرن العشرين، لان الجريمة ليست تصرفا لنفس شريرة، فليس هناك نفوس شريرة، ولكنها افراز اجتماعي للتشكيلة الموجودة.

من جديد نعود الى المسألة الانسانية الرئيسية، وهي العلاقة الجدلية بين الحب والعقاب.

سبق لي ان كتبت في هذا الموضوع منذ اكثر من عام، وتعرضت بسبب ما كتبته الى اللوم من قبل بعضهم. وقلت انذاك ان العقاب، كمؤسسة حقوقية، انتهت فاعليته تاريخيا لان المجتمع عندما يستعمل السوط والقمع لردع النفس فانه يضع المسألة على رأسها بدلا من ان تمشي على قدميها.

فالجريمة نتيجة اجتماعية لأسباب سابقة، والعقاب يعني اننا نسارع الى اطفاء الحريق دون ان نزيل اسباب الحريق.

ليس دفاعا عن الجريمة، ولكنه بحث في وسائل منعها واستئصال جذورها. نحن هنا امام جريمة جنسية، ناتجة عن البؤس الجنسي الذي يلقي بثقله على الناس جميعا. والكبت الجنسي هو في اساس جميع الانحرافات، ووراء جميع الامراض العصبية التي يعاني منها الناس، لان الطاقة التي لا تجد المجرى الصحيح لتصريفها، سوف ترتد وتؤثر على كافة نشاطات الانسان، بل انني اذهب الى ما هو ابعد من ذلك فالمجتمع الذي يعاني من الكبت ولا يجد الحل الانساني له المتمثل في الزواج وقداسة الاسرة وترابطها يخلف افرادا غير قادرين على التفكير السليم، مشوهين داخليا، وذوي ميول عدوانية.

واذا كان من المتفق عليه ان الاحكام تتغير بتغير الازمان، فان من المفيد جدا ان نستذكر من جديد.. ان الظروف هي التي تصنع الانسان وانه إذا كانت الظروف هي التي تصنع الانسان فيجب ان توجد ظروفا انسانية لا تنمو فيها الجريمة

ومادام الاكثرية يعيشون في ظروف غير انسانية فان من العبث ان نطلب إليهم ان يتصرفوا باكثر مما تمليه عليهم ظروف حياتهم القاسية. ماذا يستفيد المجتمع إذا قطف رأس انسان؟؟.

الـردع؟

اقولها بكل صراحة، ان الردع لا يردع احدا، ولو كان العقاب مانعا للجريمة لزالت الجريمة من حياة الناس.

ان الاحصائيات والارقام هي المقياس. فالجرائم في العالم في تصاعد مستمر، والسلطة لا تدخر نوعا من العقاب لمواجهة الخارجين على المجتمع ونظمه واخلاقياته، وانتاج المصانع من القيود والحديد والخيزرانات يتزايد كل يوم ويحقق ارباحا خيالية للصناعيين فيها. ولكن صدقوني فان حجز حرية الانسان او قطف رأسه، او جلده، كل ذلك قد يطفيء الحريق ولكنه لن يمنع اندلاع حريق آخر.

ومن جديد، ارى التساؤل في عيون الجميع... اراكم تقولون:

ولكن، إذا الغي العقاب اصبحت الدنيا فوضى، واكل الناس بعضهم..

واذا اقول لكم اطمئنوا فلن يأكل الناس بعضهم لان البديل الوحيد للعقاب هو الحب بمعناه الانساني الواسع، هو مخاطبة العنصر الانساني في الانسان.

الشعوب تقلع انشاءه ورثناها عن انساق الغابات. وإذا ارتقينا فلتمض الى الابد من عنصر الانسان الدائم، وان نتكل على عنصر الانسان الانسان. فيجب ان نبحث عن القبس الخير الموجود في اعماق كل انسان وان نحول هذه الجمرة الخافتة تحت الرماد الى لهيب يضيء افاق السماء...

انك لن تستطيع ان تأخذ من الانسان اكثر مما تطلب منه. وبصورة ادق فان من الضروري كخطوة اولى تحويل الظروف الاجتماعية البائسة التي يعيش الناس في ظلها، الى ظروف انسانية، وستجدون ان الخير لا يمكن ان يكافأ إلا بالخير، وان الثقة بالانسان هي كلمة السر، هي افتح يا سمسم، التي ستطلق المارد من القمقم وتحرك الجبال، وعندها لن تكون هناك حاجة الى القضاة والمحامين، وسنسجل اسماءنا في سجلات العاطلين عن العمل.

وربما الف كاتب في المستقبل عن هذه المهنة التي كانت سائدة في عصر سابق. حيث لم يكن الانسان قد اكتشف انسانيته بعد

واتخيل، بعد مئات السنين، عندما تغلق السجون وتحول إلى متاحف. الخيل معلمة صبية شعرها كذنب الفرس، تدور مع تلاميذها في الحدائق، يقطفون الزهور وتقول لهم:

كان يا ما كان، في سالف العصر والاوان، سجون ومحامون وقضاة وسجانون وكان الجلاد يقف بسيفه يقطع الرؤوس.

ويشهق التلاميذ وتغرورق عيونهم الصغيرة بالدموع ويصلون لراحة اجدادهم الذين كانوا على هذه الدرجة من البربرية؟.

بقلم المحامي: مصباح الغفري